

اے آخِ الہ سے زبِ جلیل محمد امین شلبي
اصولِ حقہ الہیہ، فکریہ، لوامہ سے بے غلطی
الذیہ یبصر صفتہم، تہجیہ و قدرہا، صوریہ۔

بہ شمس

فبر ۱۹۹۹

داج شمسولک

حیاتہ و فکرہ

الدکتور / السيد أمين شلبي

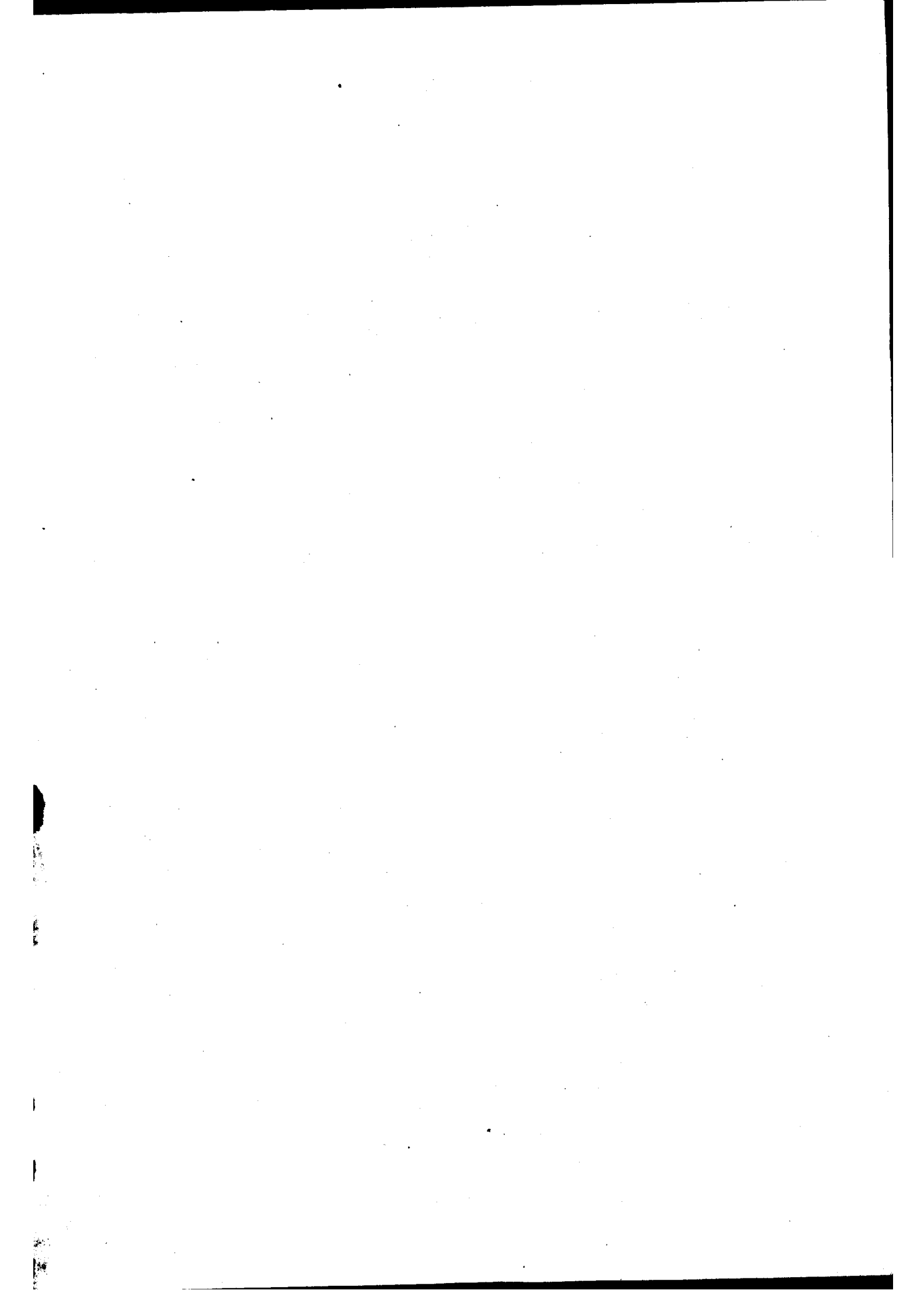


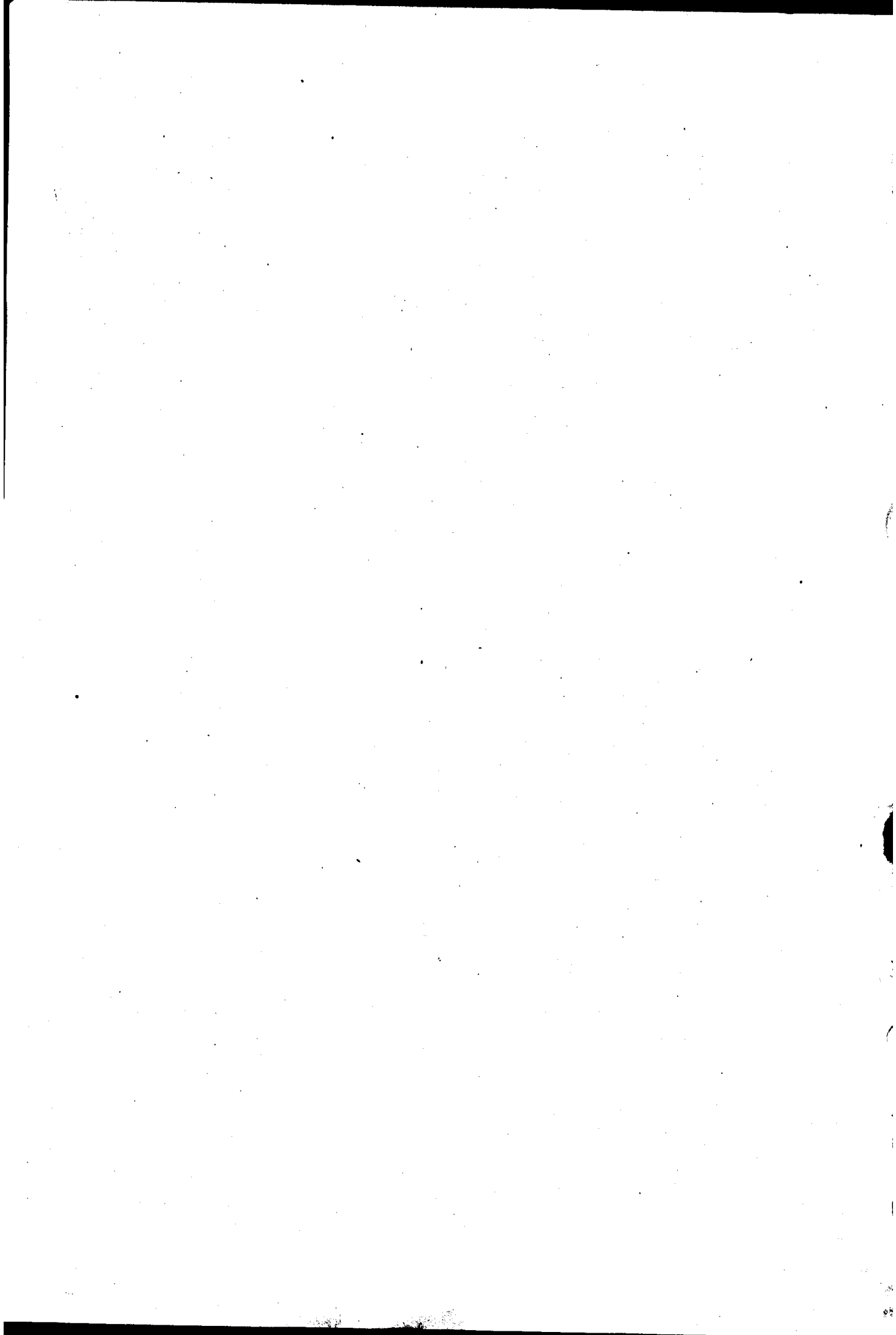
الهيئة المصرية العامة للكتاب

۱۹۹۹

الإخراج الفني والتنفيذ:

صبرى عبد الواحد





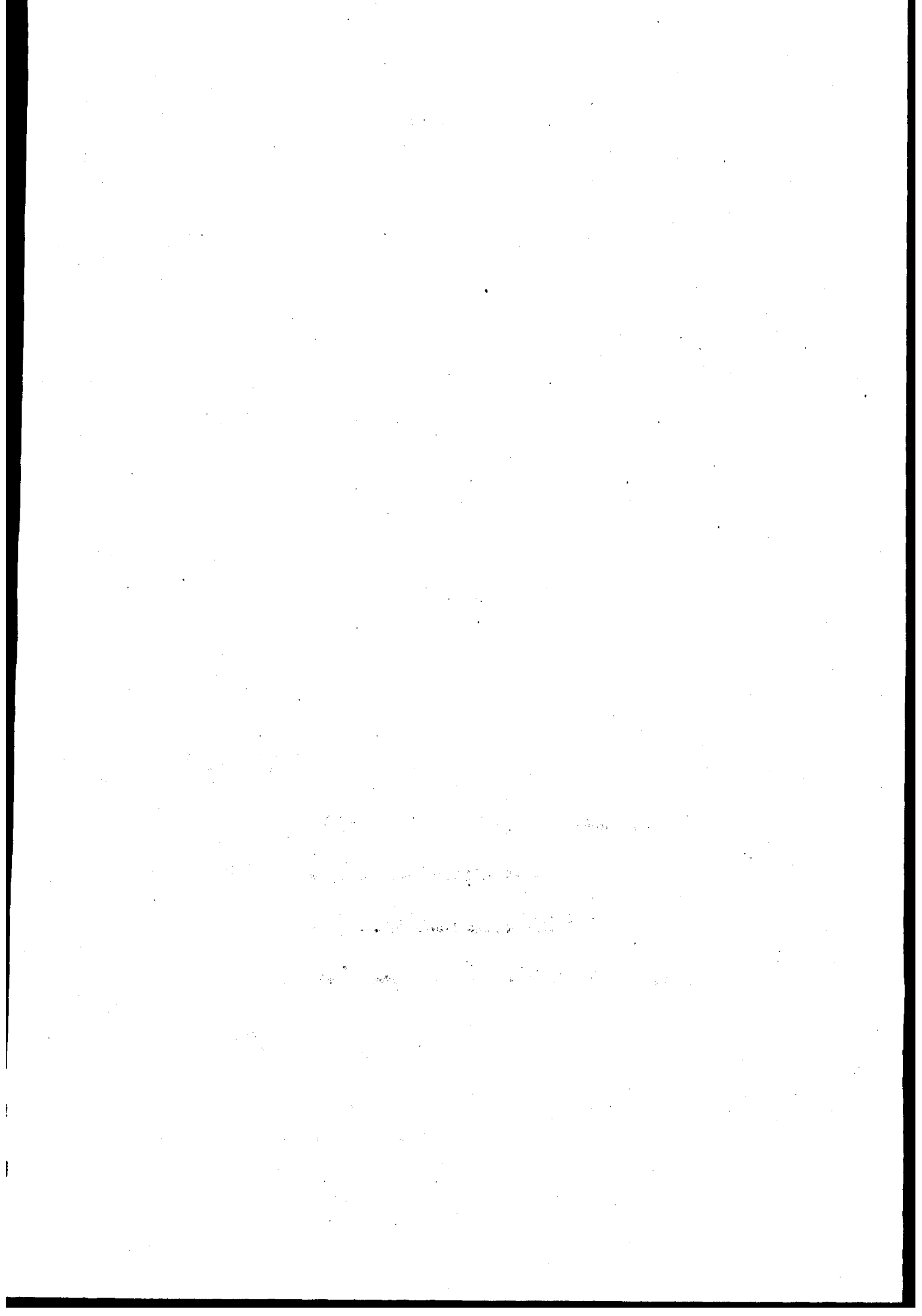
- القسم الأول :

- حالة الأمم المتحدة قبل انتخاب همرشولد

- ترشيح همرشولد وانتخابه

- تربية همرشولد : مصادر القوة

- أفكار همرشولد وفلسفته حول الأمم المتحدة



الفهرس

مداخل

٥ القسم الأول:
٢١ - حالة الأمم المتحدة قبل انتخاب ممرشولد
٢٧ - ترشيح ممرشولد وانتخابه
٣٣ - تربية ممرشولد : مصادر القوة
٥٧ - أفكاره وفلسفته حول الأمم المتحدة
٨٣ القسم الثاني:
٨٥ - الأزمات والتحديات السياسية
٨٧ - أزمة موظفى الأمم المتحدة
٩٠ - أزمة الطيارين الأمريكين فى الصين
٩٤ - أزمة السويس
٩٦ - أزمة الكونغو
١٠١ - المواجهة مع الاتحاد السوفيتى

تضاييا عامة:

- ١٠٨ همرشولد والدول النامية
- ١٢٢ همرشولد ونزع السلاح
- ١٢٨ ماذا بقى من داچ همرشولد
- ١٣١ التاملات

مداخل

□ □ عند انتخابه سكرتيرا عاما للأمم المتحدة - مارس ١٩٥٣ - ألقى داج همرشولد أمام الجمعية العامة خطابا مختصرا أنهاء بسطر من شعر سويدي يقول «إن أعظم صلاة للإنسان هي تلك التي يؤديها من أجل السلام وليس من أجل النصر». وبعد إجراءات تنصيبه مباشرة قدم التحية للكونت فولك برنادوت (*) بهذه الكلمات: «إننا ننحني أمام مثل أعلى للحياة ولنموذج من الإيمان العميق، والإيمان بكرامة الإنسان وعقله ودمائه وإدراكه للخير، وبدون مثل هذا المثل الأعلى وهذا الإيمان، من سوف يتابع طريق المفاوضة الصبور، والسعي الذي لا يتوقف من أجل المصالحة والتوفيق وتسوية الخلافات ومناشدة عقول الرجال لكي يصلوا إلى اتفاق.

وقد كانت هذه العبارات والمعاني التي تحدث بها همرشولد مع أول لحظات توليه منصبه تعبيرا تلقائيا وعميقا عن شخصيته وأفكاره ومثله ورؤيته لمن يشغل نفسه بالعمل الدولي، كما قد أصبحت هي نفس الرؤية والمناهج والمبادئ التي وجهت واهتدى بها عمله خلال فترة توليه وخلال تعامله مع ما واجهه وواجه المنظمة الدولية من أزمات. ومثل هذا الفكر وهذه المبادئ كما مارسها بالفعل خلال عمله قد جعلت منه واحدا من الرجال العظام الذين يزخر بهم التاريخ حين غرسوا أنفسهم للسلام، غير أن

(*) السويدي الجنسية والذي اغتيل في سبتمبر ١٩٤٨ وهو يعمل وسيطا دوليا للسلام في فلسطين.

أصالة همرشولد وتميزه تكمن فى الطرق والوسائل التى استخدمها واستحدثها للعمل من أجل السلام كما تكمن فى تكرسه وتفانيه فى عمله وعقلانيته وعقله المضىء النفاذ وأكثر من هذا مستوى الجهد والتركيز الذى كان يعطيه لعمله خاصة فى أوقات الأزمات وبحيث كان يعتبر أن عدم التضحية بأى وقت وجهد هو نوع من الطيش وعدم المسؤولية.. وهكذا عمل خلال أزمته السويس والكونغو وهما الأزمتمان اللتان ارتبط بهما دوره الشخصى ومزج فيهما بين مبادئ الميثاق وقرارات المنظمة الدولية وبين خياله الشخصى وتقديره الخاص للمسؤولية ولعصر الوقت وكذلك تفسيره الديناميكى لما خوله له الميثاق وخاصة فى مادته ٩٩ التى أعطت للسكرتير العام الحق فى المبادرة فى المسائل التى يراها تهدد السلام والأمن الدوليين. هذا الأسلوب الخلاق هو الذى استحدث به همرشولد الصيغ الجديدة التى استعانت بها المنظمة الدولية وسوف ترتبط بها عبر تطورها بعد ذلك فى معالجتها للأزمات والصراعات وهى الصيغ التى تبلورت فى: الدبلوماسية الشخصية Personal Diplomacy ومجموعات المراقبين U. N. Observers groups، وجود الأمم المتحدة U.N. Presence الدبلوماسية الوقائية Preventive Diplomacy ثم قوات الأمم المتحدة للطوارئ United Nations Emergency Forces والتى استحدثت لأول مرة فى أزمة السويس عام ١٩٥٦.

هذه المساهمات العملية، فضلا عن مواقف فى عدة اتجاهات ومناسبات تتصل بكيان المنظمة ومبادئها وفى علاقتها خاصة مع القوى الكبرى التى أسهمت وأعطت بعدا خاصا لدور ومسئوليات السكرتير العام وجهاز المنظمة والتى أصر منذ اللحظة الأولى على بنائها واستقلاليتها واعتبر أن مكانتها من مكانة المنظمة الدولية ذاتها وحتى لا تتحول إلى مجرد دور إدارى ذو أهمية سياسية محدودة. وفى هذا كان يردد أنه إذا

كانت الأمم المتحدة هي بحق ما تصنعه الدول الأعضاء فإن الكثير أيضا مما تقدمه يعتمد على ما يفعله جهاز السكرتارية، وكان يقول في تأكيديه لدور السكرتير العام إن من واجبه استخدام منصبه بل وجهاز المنظمة لأقصى طاقته وإلى المدى الكامل الذي تسمح به ظروف كل مرحلة، وذهب في تفسير هذا الدور، متمشيا مع فلسفة الميثاق، بأنه على السكرتير العام أن يتصرف في حالة غياب توصية من الأمم المتحدة إذا ما تبين له أن هذا ضروري للمساعدة في ملأ فراغ يمكن أن يظهر نتيجة لما يسمح به الميثاق والدبلوماسية التقليدية للمحافظة على السلام. وبشكل متماسك مع هذا التصور الديناميكي لدور السكرتير العام فسر همرشولد قرارات ودور المنظمة باعتبارها أدوات للمفاوضة وتحقيق التسويات وبشكل يتعدى مجرد مناقشة القضايا وكان في هذا يواجه المجتمع الدولي فيما يتعلق بدور المنظمة ومسئولياتها بخيارين ومفهومين للأمم المتحدة فإما أن تكون جهازا راكدا للمؤتمرات أو إدارة ديناميكية ذات تأثير في منع الصراعات أو حلها.

وقد عبر همرشولد في تأكيديه ودفاعه عن سلطات المنظمة وموظفيها واستقلاليتها كما قررها الميثاق في عدد من المناسبات وعدة اتجاهات وبمواقف عملية وخاصة مع الدول الكبرى: فعل هذا في أول معركة خاضها مع الولايات المتحدة الأمريكية حول ولاء موظفي الأمم المتحدة وأمام تيار الماكارتية (*) في هذا الوقت، كما فعل هذا مع كل من إنجلترا وفرنسا في أزمة السويس، ثم مع الاتحاد السوفيتي في أزمة الكونغو.

ونستطيع أن نقول إن داج همرشولد كان رجل الدول الصغيرة والمتوسطة في الأمم المتحدة والمجتمع الدولي وكان بفكره ينطلق من حقيقة أن الأمم المتحدة هي أكثر جدوى وفائدة للدول الصغيرة والمتوسطة

(*) نسبة إلى السيناتور الأمريكي «جوزيف مكارثي»، والذي قاد في أوائل الخمسينات حملة ضد شخصيات أمريكية وداخل مؤسساتها بتهمة اليسارية وعدم الولاء.

منها إلى الدول الكبرى، وقد تأكد هذا المفهوم لدى همر شولد بتزايد عدد الدول المستقلة وانضمامها إلى الأمم المتحدة وما سوف تحتاجه من المنظمة الدولية من دعم سياسى ومساعدات فنية ولبناء مجتمعاتها وهيكلها المختلفة وحيث رأى أن الأمم المتحدة هي الأكثر تأهيلا لتقديم هذه المساعدات وغيرها فضلا عن إدراكه أن دور الأمم المتحدة هذا سوف يحمى الدول الحديثة أن تقع فى رحى الحرب الباردة بين الكتلتين المتنافستين بالإضافة إلى هذه الاعتبارات السياسية فقد كان موقف همر شولد تجاه الدول النامية الجديدة مدفوعا بإحساسه بالعدالة وإدراكه للفجوة التى تفصل بين الدول والمجتمعات المتقدمة والدول الناشئة حديثة الاستقلال وأن هذه الفجوة يمكن أن تكون مصدرا للتوتر والقلق الدولية.

ومع شخصية مثل همر شتولد كان لابد أن يثور الجدل حول جوانب هذه الشخصية وحياتها الخاصة والباطنية. وقد كان ثمة إجماع لدى كل من عرفوا همر شولد وعملوا معه بشكل دقيق على أنه كان متحفظا للغاية فى علاقاته الخاصة وبشكل يصل إلى درجة الخجل والتباعد والحرص على الاحتفاظ بمسافة بينه وبين الآخرين ورفضه الصارم لأى تطفل على حياته الخاصة أو استغلال لصداقته.

وقد أعطت هذه الخصائص عنه صورة الرجل المتجهم الصارم وربما الناسك غير أن هؤلاء الذين كونوا المجموعة المحدودة من أصدقائه المقربين وأعضاء هيئة مكتبه عرفوا فيه الجانب الجذاب ووجدوا البهجة فى رفقته ووجدوها هو كذلك مع هذه المجموعة ومع هذه الصداقات التى كانت تمثل بالنسبة له «نوعا من الرفقة تحت نفس النجوم وحيث لا تطلب أى شىء وتتلقى الكثير» أما مايكمل هذا الجانب فهو اهتماماته العميقة والأصيلة بالأدب والفن والموسيقى.

حيث كان يجد أن الأدب والدبلوماسية يمتزجان لذلك كانت خطبه ومؤتمراته الصحفية ومحادثاته الدبلوماسية تمتزج ومشبعة بمقتطفات من شعر كل الثقافات واستشهادات منه، ولم يكن همرشولد في هذا مجرد قارئ أو مستهلك للأدب بل كان له مساهماته في الشعر والترجمة وأهله لأن يكون عضواً في أكاديمية الأدب السويسرية عضواً في لجنة نوبل للآداب.

ولعل هذا الجانب فيه نجده بشكل مكثف في تأملاته Markings التي أودع فيها بصورة شعرية لما وصفه هو بأنها «الصورة الشخصية الحقيقية الوحيدة عن نفسه وحياته الباطنية ومفاوضاته مع نفسه ومع الله» والتي لا يمكن أن يعرفها أحد غيره والتي كانت في نفس الوقت مصدر معاناته وقوته.

لقد مرت خمسة وثلاثون عاماً على رحيل داج همرشولد، فلماذا نستعيد سيرته ونموذجه اليوم وقد عاش وظهر في عصر يختلف في ظروفه وأزماته وعلاقات قواه وفي حجم المنظمة الدولية عن العصر الذي نعيشه اليوم وتعيشه المنظمة الدولية. وقد يبدو هذا التساؤل مشروعاً للوهلة الأولى ولكن في معاودة النظر سوف نجد أنه مع هذا الاختلاف فإن مجموعة المبادئ والقيم والأهداف التي تبناها همرشولد ودافع عنها سواء فيما يتعلق بدور المنظمة الدولية في الحفاظ على السلام والأمن الدوليين وعدالة العلاقات الدولية وعالمية المنظمة وتمثيلها للقاعدة العريضة للمجتمع الدولي، أو فيما يتعلق بأدواتها ومناهجها لأداء هذا الدور واستقلالية جهازها وسكريتها العام وموضوعية وحيادة وعدم تعرضه لضغوط خارجية، إذا ما تأملنا هذه المبادئ سوف نجدها وثيقة الصلة بوضع المنظمة الدولية اليوم وزوايا النظر إليها وما هو متوقع منها في ظل علاقات القوى المتغيرة وتشكيل نظام دولي جديد.

فبعد انحسار الحرب الباردة وصراعاتها التي انعكست لأربعة عقود على المنظمة الدولية وأثرت على إمكانياتها وفعاليتها ودورها بالصورة التي حددها الميثاق انتعشت الآمال في أن المنظمة الدولية وقد تحررت من ضغوط الحرب الباردة سوف تصبح أكثر قدرة على تحقيق مبادئها ومقاصدها الأصلية بل إن التوقعات قد ذهبت إلى أنه بعد اختفاء إحدى القوتين العظميتين التي كانت تشارك في إدارة النظام الدولي فإن الأمم المتحدة هي المؤهلة لكي تملأ الفراغ وتصبح هي أساس وقاعدة النظام الدولي الجديد ومبادئها هي مبادئه الأمر الذي يضمن أن لا تنفرد قوة دولية واحدة بهذا النظام وتشكيله.

وحقا قد مرت أكثر من ثمان سنوات على انتهاء الحرب الباردة ولم يتحقق ما كان مأمولاً من دور بارز وفعال للأمم المتحدة بل إن دورها وصورتها قد تعرضت للتشكيك والتراجع في عدد من الأزمات والصراعات التي ظهرت خلال هذه السنوات الأخيرة: الصومال البوسنة والهرسك وتجاوز دورها في الأزمة العراقية . غير أن هذا لا يعنى التخلي عن التوقعات التي ارتبطت بنهاية الحرب الباردة حول دور فعال للمنظمة الدولية سواء فيما يتعلق بالأمن الجماعي أو القضايا البشرية ذات الطابع العالمي والتي تشكل جدول أعمال البشرية الحقيقي في القرن المقبل وحيث الأمم المتحدة هي المؤهلة لإدارة الجهد الدولي في التعامل مع هذه القضايا . غير أنه لكي يتحقق هذا لابد أن يظل قائما الخيار الذي طرحه همرشولد من ٣٥ عاما ووضع فيه المجتمع الدولي أمام خيارين: إما أن يختار منظمة دولية تعمل كمجرد جهاز لعقد المؤتمرات والمناقشات أو قوة فعالة في منع الصراعات الدولية وتحقيق الأمن الجماعي وتسويات عادلة للمشاكل الدولية.

بالإضافة إلى هذا فإن ما يجعل سيرة همرشولد والمبادئ والقيم التي اعتنقها ودافع عنها صالحة للتذكر والاهتداء بها اليوم فهو ما تعرض له جهاز الأمم المتحدة في شخص سكرتيرها العام السابق د. بطرس غالي من حملة وضغوط من جانب قوة كبرى ذهبت إلى حد مطالبته بالاستقالة، وهو الوضع الذي يذكر بتجربة مماثلة مع همرشولد حين واجه غضب قوة دولية أخرى لأنها رأت أن أسلوب إدارة همرشولد للمنظمة لا يتفق مع مصالحها الخاصة ورغم ما كانت تلمسه من أن همرشولد يحظى بتأييد غالبية المجتمع الدولي، وهي نفس الظروف التي أحاطت ما واجهه سكرتير عام الأمم المتحدة الدكتور بطرس بطرس غالي. وهنا تبدو قيمة ودلالة تجربة همرشولد بالنسبة للمشهد الجديد فقد ركز أنه لا يدافع عن شخصية أو منصبه بقدر ما يدافع عن المنظمة الدولية ومستقبلها ومصداقيتها «فالشخص لا يهم ولكن المنظمة هي المهمة» وفي مواجهته للاتهامات التي وجهتها القوة الدولية الكبرى إليه فقد احتكم للقوى الصغيرة والمتوسطة التي اعتبر أنها صاحبة المصلحة الحقيقية للمنظمة ومن ثم فهي المؤهلة للحكم عليه وعلى أدائه وأخيرا فقد اعتبر أن ما تريد بعض القوى من سكرتير عام ضعيف وجهاز يخضع لضغوط وتوجهات القوى الكبرى إنما يعنى تجريد المنظمة من قيمتها ومصداقيتها ومن ثم من فعاليتها.

ونتصور أن هذه المبادئ والمعايير التي اعتمد عليها همرشولد في الأزمة التي واجهته وواجهت الأمم المتحدة وفرضتها عليه إحدى القوى الكبرى عنئذ، هي نفس المبادئ التي حكمت موقف السكرتير العام الدكتور بطرس بطرس غالي وهو يواجه موقفا مشابها في جوهره لما واجهه همرشولد، وهو الذي سيحكم، أو يجب أن يحكم موقف أى سكرتير عام قادم حين يتعرض وتعرض له كيان المنظمة لضغوط من أى قوة كانت.

سوف تنقسم روايتنا لحياة وفكر وعمل همرشولد إلى جزئين: يتضمن الأول حالة الأمم المتحدة التي سبقت مباشرة مجيء همرشولد حيث كان المشروع الشامل للنظام الدولي يواجه الإحباط فتبدو صورة المنظمة الدولية قائمة بعد سبعة سنوات من تأسيسها بفعل الحرب الباردة ومنافساتها ولم تنعكس هذه الصورة على المنظمة الدولية من حيث أهدافها الأصلية فحسب بل وكذلك على جهاز السكرتارية ومنصب السكرتير العام ومعهم مفهوم الخدمة الدولية الوليدة، وحيث كان هذا الجهاز يمر بحالة من هبوط المعنويات ولم يكن منصب السكرتير العام قد تأسس بعد على أسس آمنة وثابتة.

ويناقش هذا الجزء مجيء همرشولد بعد استقالة سلفه ترجفى لى بعد أن قاطعه الاتحاد السوفيتى ورفض التعاون معه، وظروف اختيار همرشولد كسكرتير عام وردود فعله الشخصية لهذا الاختيار، والتوقعات حول شخصه وأدائه. ويركز هذا الجزء بوجه خاص على تصور همرشولد للعلاقة الوثيقة بين دور ومكانة وأداء المنظمة الدولية وبين دور ومسئوليات السكرتير العام ومدى استقلاليته واستقلال جهاز السكرتارية وعدم خضوعه لتأثيرات ونفوذ قوى معينة. ويفصل هذا الجزء أفكار همرشولد حول جهاز السكرتارية ومنصب السكرتير العام وتطور تفكيره هذا بتطور تجربته فى الأمم المتحدة وتفسيره لمواد الميثاق حول صلاحيات السكرتير العام فى المبادرة وملاً الفراغ الناجم عن عدم حركة مجلس الأمن أو محدودية قرارات الجمعية العامة وتبدو قيمة هذا الجانب فى أنه يمثل على المستوى الفكرى والعملى تراث همرشولد الحقيقى وكما بدا فى أزمنة فعلية واجهتها المنظمة والمجتمع الدولى. كما يتضمن هذا القسم الأول من الكتاب تعريفاً بجوانب حياة همرشولد فى مراحلها المختلفة وأصوله الأسرية باعتبارها من أكثر مصادر التعرف على شخصيته ومكوناتها وعلى تربيته الذاتية وتكوينه الدرامى والأكاديمى والفروع التى تخصص فيها فى جامعات أو بسالا

واستكهولم وباريس، ثم صعوده الوظيفى والمناصب التى شغلها فى المؤسسات السويدية وخبرته فى الاجتماعات والمنظمات الأوربية بعد الحرب الثانية مباشرة ويكمل هذا الجانب الشخصى فى حياة همرشولد اهتماماته الأصيلة فى الأدب والفن قارئاً ومبدعاً باعتبار أنها كانت من مصادر قوته الباطنية وتكامله الشخصى.

أما القسم الثانى من الكتاب فهو يمثل التطبيق العملى لأفكار همرشولد خلال السنوات السبع فى عمله كسكرتير عام للأمم المتحدة ولأدائه خلال هذه السنوات وكيف تعامل مع الأزمات التى واجهت المنظمة فى مناطق العالم المختلفة، ويركز هذا القسم على عدد من الأزمات التى بدا فيها بوضوح وثبات دفاع همرشولد عن مبدئين ومفهومين: مفهوم الأمم المتحدة كمنظمة نشطة سياسياً، ومفهوم استقلالية جهاز السكرتارية والسكرتير العام. فى هذا سيبحث هذا القسم فى أزمات الموظفين الدوليين التى ظهرت فور توليه منصبه بل وورثها عن سلفه، ثم أزمة الطيارين الأمريكيين فى الصين الشعبية، وأزمة السويس عام ١٩٥٦ والكونغو عام ١٩٦٠ وخلافه مع الاتحاد السوفيتى فضلاً عن قضيتين لهما طابع الشمول هما قضية الدول المستقلة حديثاً ومكانها فى المنظمة الدولية والمجتمع الدولى وما يفرضه هذا من مسئوليات على المنظمة الدولية ثم قضية نزع السلاح التى كانت قد بدأت تستقطب اهتمام المجتمع الدولى بالنظر إلى تسارع سباق التسلح وأبعاده الجديدة مهددة للجنس البشرى. ويختتم هذا القسم الثانى بتفصيل الجانب الفكرى والفلسفى وشخصية داج همرشولد كما انعكس أساساً فى تأملاته الشعرية والفلسفية.

وأخيراً نورد الإشارة إلى المصادر الرئيسية التى اعتمدنا عليها فى إعداد هذا الكتاب حيث استقينا مادته أساساً من:

(أ) كتابات مؤرخى حياة همرشولد الشخصية والعامة وجميعهم أما عملوا معه بشكل وثيق فى الأمم المتحدة أو الذين كانوا ضمن المجموعة المحدودة من أصدقائه الشخصيين أو الباحثين والمتخصصين فى شئون الأمم المتحدة وفى مقدمة هؤلاء: Brian Urquhart .

الذى قدم أشمل وأدق رواية لحياة همرشولد وكتبها بتكليف من مؤسسة داج همرشولد وبموافقة وتصديق الأمم المتحدة وقد اختير إيركهارت لهذه المهمة باعتبار تاريخه الطويل فى الأمم المتحدة وحيث عمل فيها لمدة ٤٥ عاما وعاصر خلالها خمسة من السكرتيرين العامين ووصل منصب سكرتير عام مساعد عام ١٩٨٢ وكذلك Andrew Corider والذى عمل فى سكرتارية الأمم المتحدة منذ أيامها الأولى حتى ديسمبر عام ١٩٦٠ كمدير للصحافة والنشر وكمحدث للسكرتير العام خلال فترات تريجفى لى وهمرشولد وكان ضمن المجموعة الصغيرة التى كانت قريبة جدا وعلى صلة عمل يومية مع همرشولد، وعلى المستوى الشخصى كانت رؤية Bo beskow الفنان والرسام السويدي الذى بدأت صلاته بهمرشولد حين كلفه البنك المركزى السويدي برسم صورة شخصية لهمرشولد ثم توطدت العلاقة بينهما وصار من أقرب أصدقائه ولذلك وصف كتابه عن همرشولد بـ (شخصى جدا) .

وتقع ضمن هذه المجموعة من المصادر كتابات الباحثين والمهتمين بشئون الأمم المتحدة ومن أبرزهم فى هذا الوقت: Josephlash وكان أول من أرخ لحياة همرشولد بعد مباشرة عام ١٩٦٢ ، وكذلك Richard Miller والذى عالج حياة همرشولد من خلال دبلوماسية الأزمات .

(ب) أما المستوى الآخر من المصادر فقد تمثل فى بيانات وخطب وتصريحات همرشولد منذ أن تولى مهام منصبه والتى ألقاها فى الأمم المتحدة وفى تقديمه لتقاريرها السنوية وفى العديد من المناسبات التى دعى

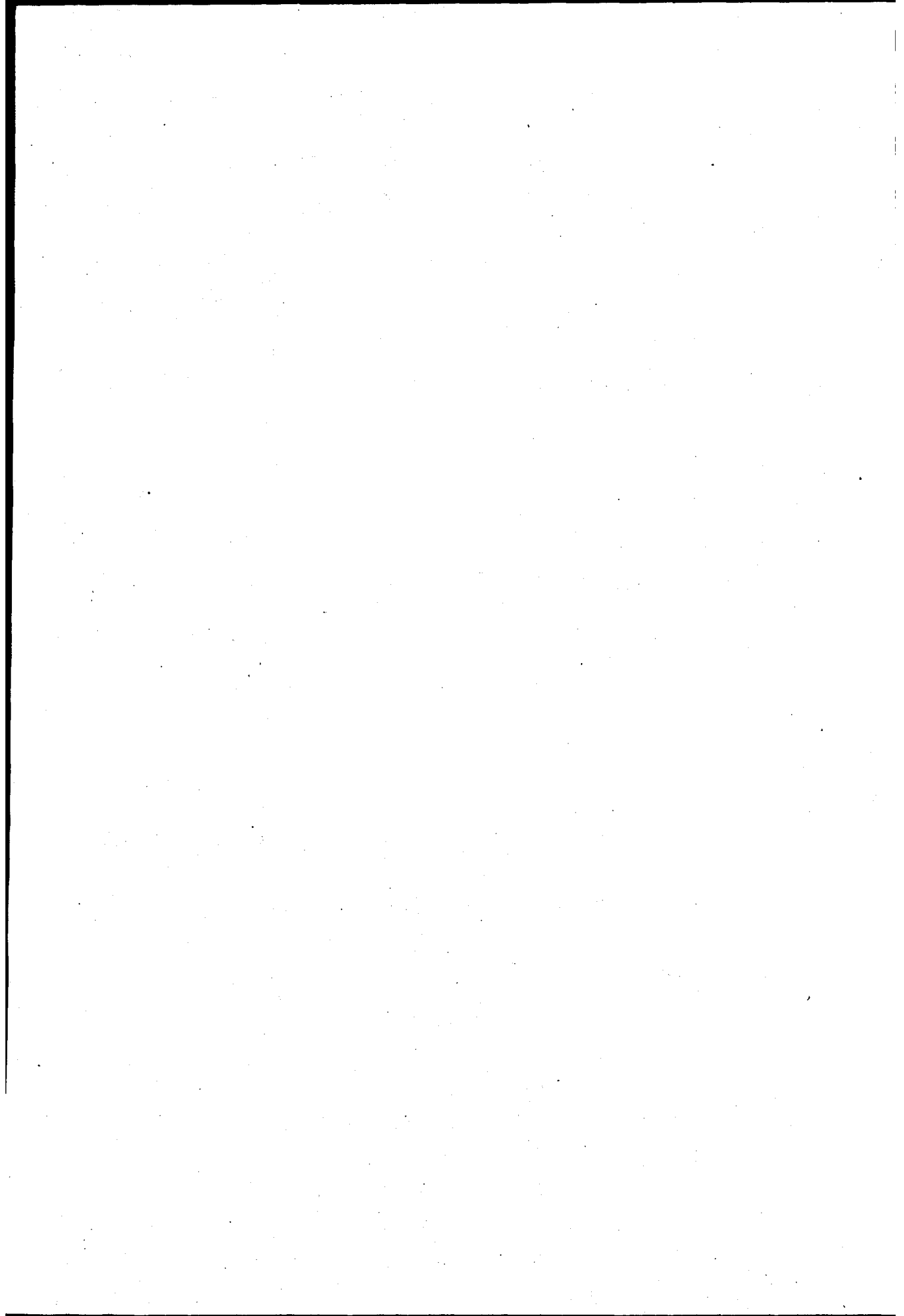
إليها في الجامعات والمؤسسات المختلفة في الولايات المتحدة وخارجها وتبدو جميعة هذه الوثائق في الدلالة على فكر همرشولد من حقيق أنه كان يكتب بياناته وخطبه بنفسه.

(ج) أما المصدر الثالث فكان مجموعة تأملات همرشولد الروحية التي سجلها على فترات زمنية منذ عام ١٩٢٥ حتى أغسطس عام ١٩٦١ ومن ثم عكست نموه ومشاغله الفلسفية والروحية وهي التأملات التي كان يحتفظ بها لنفسه ثم صدرت بعد وفاته تحت عنوان: Markings.

بهذه المادة ومصادرها الأصلية نرجو أن نكون قد قدمنا صورة صادقة عن هذه الشخصية النادرة وعن فترة حافلة من تاريخ المنظمة الدولية.

د. السيد أمين شلبي

المعادي - ١٩٩٨



حالة الأمم المتحدة قبل تولى همرشولد

تعتبر منظمة الأمم المتحدة آخر وأكثر محاولات الإنسان تقدما لبناء منظمة يمكن أن تنسق سياسات وأعمال الدول المتصارعة وقد وصلت التجربة الكبرى الأولى في النظام الدولي وهي عصبة الأمم: League of Nations وبعد بداية مشجعة، إلى درجة العجز لأنها افتقدت الإرادة والقدرة على المقاومة الجماعية لعدوان الثلاثينات والذي بلغ ذروته بالحرب العالمية الأولى. ومنذ السنوات الأولى لهذه الحرب، بدأت المناقشات للبحث عن بديل للعصبة أكثر فعالية. ففي إعلان لندن في ١٢ يونيو ١٩٤١ أعلنت الأمم التي كانت تحارب ضد ألمانيا وإيطاليا نيتها على العمل معا ومع الشعوب الحرة الأخرى لإقامة «عالم متحرر من خطر العدوان يمكن الجميع من أن يستمتعوا بالأمن الاقتصادي والاجتماعي» أما اسم الأمم المتحدة: United Nations فقد ظهر لأول مرة في إعلان الأمم المتحدة يناير ١٩٤٢ ومركزا على الاتحاد في الحرب ضد عدو مشترك أكثر من التعاون في السلام بعد تحقيق النصر.

وقد جاءت الأمم المتحدة بشكل أكثر نتاجا للحرب العالمية الثانية وثبت بعد ذلك عدم صحة الافتراضين اللذين قامتا على أساسهما، فقد تصور من فكروا في صيغة الأمم المتحدة أن تحالف القوى التي كسبت الحرب سوف يستمر وسوف يواصل الإشراف على السلام وحمايته وقد قام

دور مجلس الأمن، باعتباره الجهاز الرئيسى للمنظمة الوليدة لردع العدوان والتعامل مع تهديدات السلام وبالقوة إذا استدعت الضرورة، قام إلى حد كبير على أساس هذا الافتراض، غير أن تحالف وتناسق الدول الحليفة لم يصمد أكثر من الشهور الأخيرة للحرب العالمية الثانية حيث تبدلت كل من طبيعة وعلاقات قواها: فالصين التى حضرت مؤتمر سان فرانسسكو لم تعد هى الحكومة الفعالة التى تحكم أكثر الأمم سكانا على الأرض .

كما قد تغير وضع ومكانة عضوان دائمان آخرا هما إنجلترا وفرنسا حيث أخضعت الحرب قوة ونفوذ هاتين القوتين العظميين الاستعمارييتين فضلا عن الواقع الجديد لعالم القرن العشرين وأخذ وضعهما الدولى يتدهور بثبات، وحل محل وضعهما المسيطر عملاقان جديدا متنافسان هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

أما فيما يتعلق بالافتراض الثانى الذى قام عليه ميثاق الأمم المتحدة فإنه حتى لو كان حلفاء الحرب قد ظلوا متحدين فإن هذا الافتراض قد تعرض إلى الاهتزاز بشكل حاد حتى قبل أن يبدأ تنفيذ هذه الوثيقة وذلك بفعل التفجير الذرى الذى وقع على هيروشيما وناجازكى . فقد نص واضعو الميثاق، وفى أذهانهم عدوان الثلاثينات، على أن على مجلس الأمن أن يعبئ وأن يستخدم إذا كان ذلك ضروريا، قوات عسكرية تقليدية لردع أو هزيمة المعتدين، ولم تكن الوفود التى حضرت مؤتمر سان فرانسسكو فى بداية صيف عام ١٩٤٥، ربما باستثناء وفد أو وفدين، تعلم أنهم وهم يضعون اللمسات الأخيرة للميثاق أن المفهوم التقليدى للحرب كان يمر بمرحلة ثورية نتيجة ظهور أسلحة جديدة للدمار الشامل، فقد غير ظهور هذه الأسلحة بشكل جذرى كلا من طبيعة الحرب وعلاقة القوى العظمى

وجهدتها بعد ذلك فى توازن للرعب قلص إلى حد كبير حرية عملهم فى المسائل المتنازع عليها والتي تدخل ضمن مناطق نفوذهم ومثل هذا التغير الأساسى فى المسرح السياسى العالمى والمواجهة الأيديولوجية للحرب الباردة جعل فكرة الميثاق عن الأمن الجماعى ضد العدوان وبشكل متزايد ضعيفة الصلة بوقائع ما بعد الحرب.

وقد كان من الطبيعى بالنسبة لعالم أرهقته وأمرضته سنوات من الرعب والدمار أن يمنى النفس بآمال بمنظمة دولية «تنقذ الأجيال القادمة من لعنة الحرب» غير أنه بعد أن تلاشت الابتسامات التى سادت فى سان فرانسيسكو بدا الإدراك تدريجيا بأن حالة العلاقات الدولية مازالت كما كانت، الأمر الذى بدأ يثير خيبة الأمل ويبدد الوهم حول الأمم المتحدة وبالنسبة لأعضائها أو بالتحديد البعض منهم الذين كانت سياستهم مسئولة إلى حد كبير عن هذا الإحباط فقد كان من الأسر لهم أن يلوموا المنظمة أكثر من أن يعترفوا بالأسباب الحقيقية لعدم فاعليتها. وهكذا وبمجرد أنشائها فإن هؤلاء الذين لم يثقوا أساسا فى التنظيم الدولى قد انضم إليهم هؤلاء الذين تعرضت آمالهم وحماسهم للخيانة وشكلوا معا جوقة لنقد الأمم المتحدة وإدانتها.

وقد ظهرت بعض المحاولات للتغلب على الإحباط والعجز الذى أصاب مجلس الأمن نتيجة لحالة الاستقطاب الدولى الذى شل فعاليته وذلك بالبحث عن أساليب أخرى يمكن من خلالها تحقيق الوظيفة الأساسية للأمم المتحدة.. وفى عام ١٩٤٧ اقترح جورج مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة إمكان إعادة تكييف الجمعية العامة بحيث تملأ الفجوة الناجمة عن شلل مجلس الأمن، وفى وجه معارضة سوفيتية قوية، وافقت الجمعية العامة على مشروع وقرار ينص على إنشاء لجنة مؤقتة: Interim Committe.

تعرف بـ «الجمعية الصغيرة» تكون متاحة بشكل دائم للنظر في المنازعات الدولية رغم أنها لا تملك القوة التنفيذية التي يملكها مجلس الأمن، ولهذا لم يكن مثل هذا الترتيب فعالاً.

وقد كان من نتيجة ذلك كله وبعد أن أصبح مجلس الأمن وبشكل متزايد ضحية الخلاف والتباعد بين الشرق والغرب بدأت الحكومات تبحث خارج نطاق الأمم المتحدة عن ترتيبات للأمن القومى وهى الترتيبات التى تجسدت فى صورة أحلاف كان أبرزها حلف الأطلنطى ووارسو.

وفى عام ١٩٥٥ واجهت الأمم المتحدة أقصى اختبار لها خلال سنواتها الخمس. فقد انسحب الاتحاد السوفيتى من مجلس الأمن بعد فشل اقتراحه بأن تحل حكومة الصين الشعبية محل الصين الوطنية فى مجلس الأمن. وقد توافق مع هذا غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية وإدانة مجلس الأمن لهذا الغزو، فى غيبة الاتحاد السوفيتى ودعوته لوقف العدوان ومطالبته الدول للمساعدة على تنفيذ هذا القرار بتكوين قوات للأمم المتحدة تحت قيادة أمريكية وهكذا وبإحدى نزوات القدر ارتبطت المنظمة بعمل عسكري جماعى توجهه قوة عظمى واحدة.. وقد استمرت الحرب الكورية ثلاث سنوات كانت خلالها الأمم المتحدة ومجلس الأمن أكثر انقساماً من ذى قبل بل إن الأمر قد انسحب على سكرتير عام الأمم المتحدة تريجفى لى حيث أدى تأييده لمبادرة الولايات المتحدة حول كوريا إلى إدانة الاتحاد السوفيتى له واستخدامه الفيتو ضد إعادة انتخابه. ورغم أن الجمعية العامة قد صوتت فى صالح بقاء تريجفى لى فى منصبه ثلاث سنوات أخرى إلا أن الاتحاد السوفيتى أعلن أنه لن يعترف به ولن يتعاون معه الأمر الذى حد من فعاليته واضطره فى النهاية إلى الاستقالة. وقد أثر هذا التطور بشكل سلبى على دور وتصور منصب السكرتير العام ونال مما استحدثه الميثاق من إمكانية تحول للدور السياسى للسكرتير العام كأداة ممكنة لملاً الفراغ فى

مسائل الأمن والسلام الدوليين والذي ينجم عن عدم قدرة مجلس الأمن على التصرف.

وهكذا بدا مستقبل الأمم المتحدة بعد سبع سنوات من إنشائها قائما، وبدا مفهوم الميثاق عن السلام والأمن الجماعى ونزع السلاح قد هجر من جانب الدول الأعضاء لصالح موانيق دفاعية إقليمية والتي كانت تفترض بشكل ضمنى أنه إن عاجلا أو آجلا فإن العالم يمكن أن يشهد حرباً جديدة وبدلاً من مفهوم الوحدة الأساسية التي تأسست عليه سلطة مجلس الأمن فإن الانقسام والعداء المتبادل لهذه القوى قد سيطر على المسرح الدولى وسخرت من آمال سان فرانسيسكو. وفى الوقت الذى كانت فيه عدد من الحكومات تبدى فيه كلاماً معسولاً عن الأمم المتحدة، كانت تحاول إخفاء احتقارها للمنظمة التى أنشأتها، ولجأت بشكل متزايد إلى مختلف أشكال الواقعية السياسية رغم وضوح حقيقة أنه فى عصر ذرى فإن مثل هذه السياسات الواقعية كانت جديرة فى المدى الطويل أن تكون أقلها واقعية.

وعلى الرغم من أنه فى عام ١٩٥٢ لم يكن هناك دلائل محددة تبشر بتحول فى هذا المزاج الانهزامى السائد حول الأمم المتحدة ومستقبلها، إلا أن العام قد انتهى بظهور بعض خيوط من الأمل فى مناخ دولى أكثر استرخاء، فمن ناحية حلت فى الولايات المتحدة الأمريكية إدارة أمريكية جديدة بزعامة ايزنهاور - جنرال الحرب المتطلع للسلام - محل إدارة ترومان التى صاغت إطار وقواعد الحرب الباردة. ومن ناحية أخرى ومع الشهور الأولى منذ عام ١٩٥٣ توفى ستالين الذى كان يرمز على جانب السوفيتى - إلى حدة التوتر والتشدد الدولى. وفيما يتعلق بالمنظمة الدولية ذاتها والتى كان جهازها وسكرتيريتها مازالت تعاني من التفكك وتدنى معنويات موظفيها، إلا أن انتهاء الطريق المسدود الذى كانت قد بلغتة مشكلة السكرتير العام، والتوصل بين القوى الكبرى على ترشيح سكرتير

عام جديد، وكان هذا فى ذاته من علامات ما كان مأمولا من مناخ جديد. غير أن هذا التطور لم يكن يخفى حقيقة أن إحياء الثقة فى إمكانية الأمم المتحدة كمنظمة للحفاظ على الأمن والسلم الدوليين وعلى الاستخدام الكفؤ والخلاق لمواد الميثاق التى أتاحت للسكرتير العام مجالا للحركة ومحاولة ملأ الفراغ الناجم عن شلل مجلس الأمن. كل هذا كان يعتمد على توفر قيادة من نوع جديد ماهرة وتكرس نفسها ويتصميم للدفاع عن مبادئ الميثاق ومقاصده ويبدو أنه من حسن الحظ أن هذه الصفحات قد توفرت بوصول الأكاديمى ورجل الدولة والدبلوماسى السويدى داج همر شولد (*).

(*) فى عام ١٩٤٤ كون المعهد الملكى للشئون الدولية فى لندن مجموعة من الرسميين السابقين فى عصابة الأمم لكى يضعوا المواصفات التى يجب أن تتوفر فى سكرتير المنظمة الدولية فى المستقبل وقد ذكرت فى تقريرها أن الصفات التى يمتلكها رئيس الخدمة الدولية ليست سهلة التحديد، إنه يجب أن يكون صغير السن ذا خبرة سياسية ودبلوماسية، وإن كان ليس من الضرورى أن يكون ذا شهرة كبيرة أو شخصية بارزة، وقبل كل شىء فإن القدرة على الإدارة - بأوسع معنى، هو أمر هام، وأن يكون ديناميكيا وأن يأخذ المبادرة وأن يعرف قضيتته، وأن يدرك متى يقتنع بأن يكون موظفا إداريا، ومتى أن يكون وسيطا يسهل بشكل غير متحيز الصعاب، وعاملا مساعدا فى المفاوضات. وفى منظمة جديدة سوف تكون الصفات الوحيدة التى يجب أن تتوفر فى كل الظروف هى صفات الإدراك السليم، الشجاعة وتكامل الشخصية Integrity واللياقة.

ترشيح همرشولد وانتخابه

فكيف وصل همرشولد إلى المسرح الدولي، وكيف جرى ترشيحه وانتخابه وأهم من هذا كيف كانت ردود فعله الشخصية إزاء هذا التحول في حياته والمسئوليات التي أُلقيت عليه؟

في ١٠ نوفمبر عام ١٩٥٢ قدم ترجفي لى أول سكرتير عام للأمم المتحدة استقالته، والتي ظل محتفظاً بها لفترة طويلة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة وقال في تقديمه لاستقالته «إننى أتنحى الآن وأتمنى أن يساعد هذا الأمم المتحدة لإنقاذ السلام ولخدمة قضية السلام والتقدم والحرية فى العالم بشكل أفضل».

والواقع أن هذه الاستقالة كانت ذروة أكثر من عامين من المرارة والاضطراب كان السكرتير العام خلالها فى قلب العاصفة. ففي مناخ الحرب الباردة السيئ حكم على أول سكرتير عام أن يناضل بنجاح لإقامة الجهاز الإدارى للأمم المتحدة والبحث عن مقر دائم للمنظمة وسط مشاحنات وخلافات بين الحكومات والمهندسين والمشكلات المالية والعملية الضخمة غير أن مشكلة السكرتير العام الحقيقية قد بدأت وتطورت بتأييده لقرار مجلس الأمن مقاومة غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية بالقوة وهو الموقف الذى وضعه فى صراع مباشر مع الاتحاد السوفيتى والذى تجاهل وجوده منذ أكتوبر عام ١٩٥٠ ورفض كل أشكال التعاون معه.

ورغم أن لى قد قدم استقالته فى نوفمبر عام ١٩٥٢ إلا أن البحث عن سكرتير عام جديد للمنظمة أثبت أنه لم يكن أمرا هينا ولم يتحقق إلا فى ١١ مارس ١٩٥٣. وقد شرع مجلس الأمن بعد استقالة لى فى سلسلة من المشاورات والجلسات السرية للنظر فى المرشحين الذين تركزوا فى البداية فى ثلاثة: كارلوس رومولو الفلبينى، والذى كان يحظى بتأييد الولايات المتحدة، وليستر بيروسون الكندى الذى اقترحته الدانمرك وأيدته بريطانيا وفرنسا، وستانسلاف سكرتير وسكى البولندى وكان مرشح الاتحاد السوفيتى. غير أن الانتخابات التى جرت حول هذه الأسماء لم تصل إلى نتيجة. كذلك فشلت المشاورات التى جرت من الأعضاء غير الدائمين للتوصل وتقديم مرشحين جدد كان منهم: مسز بانديت شقيقة رئيس الوزراء نهرو، ومرشحين من تايلاند وإيران، والمكسيك وباكستان ولبنان وقد عاد ترجفى لى بعد أن شاهد هذا الفشل فى التوصل إلى مرشح يعرض استعداداه لأن يستمر إن لم يكن هناك حلا وهو العرض الذى تلقى فى الحال تأييد الولايات المتحدة ولم يظهر الممثلين البريطانى والفرنسى حماسا كافيا لهذه الفكرة. وهنا اقترح المندوب الفرنسى Henri Hopemot أسلوبا جديدا بتقديم أربعة أسماء مقبولين من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ليختارا أيا منهم، وقد قبل الاتحاد السوفيتى هذا الاقتراح وهنا اقترح المندوب البريطانى Galdwyn Jebb، وأيده المندوب الفرنسى، أن يكون داج همرشولد وزير الدولة فى وزارة الخارجية السويدية واحدا من الأربعة وعلى مدى أربعة أيام من المشاورات غير الرسمية أبلغ المندوب البريطانى مجلس الأمن أن الأعضاء الدائمين قد وافقوا على ترشيح داج همرشولد، وقدم المندوب الفرنسى اقتراحا رسميا فى هذا الشأن وأعلن أندريه فيشنسكى المندوب السوفيتى تأييده لهذا الترشيح «لكى يحل محل الشخص الذى يؤدى حاليا وظائف السكرتير العام». وقد رحب كل الأعضاء بهذا التطور فيما عدا ممثل حكومة الصين الوطنية التى امتنعت عن التصويت والتى

يفترض أنها فعلت ذلك بسبب اعتراف السويد بحكومة الصين الشيوعية وأشار المندوب البريطاني أن أحداً لا يعرف حتى الآن إن كان همرشولد سوف يقبل هذا الترشيح.

أما همرشولد فقد اندهش عندما وصله تلغراف يقول «بالنظر للأهمية البالغة للمنصب، وبشكل خاص في الوقت الراهن فإن أعضاء مجلس الأمن يعبرون عن أعظم الأمل في أن توافق على قبوله» وقد عبر بعد ذلك بفترة عن دهشته لهذا التحول في حياته بقوله «لقد التقطت ببساطة من القبعة».

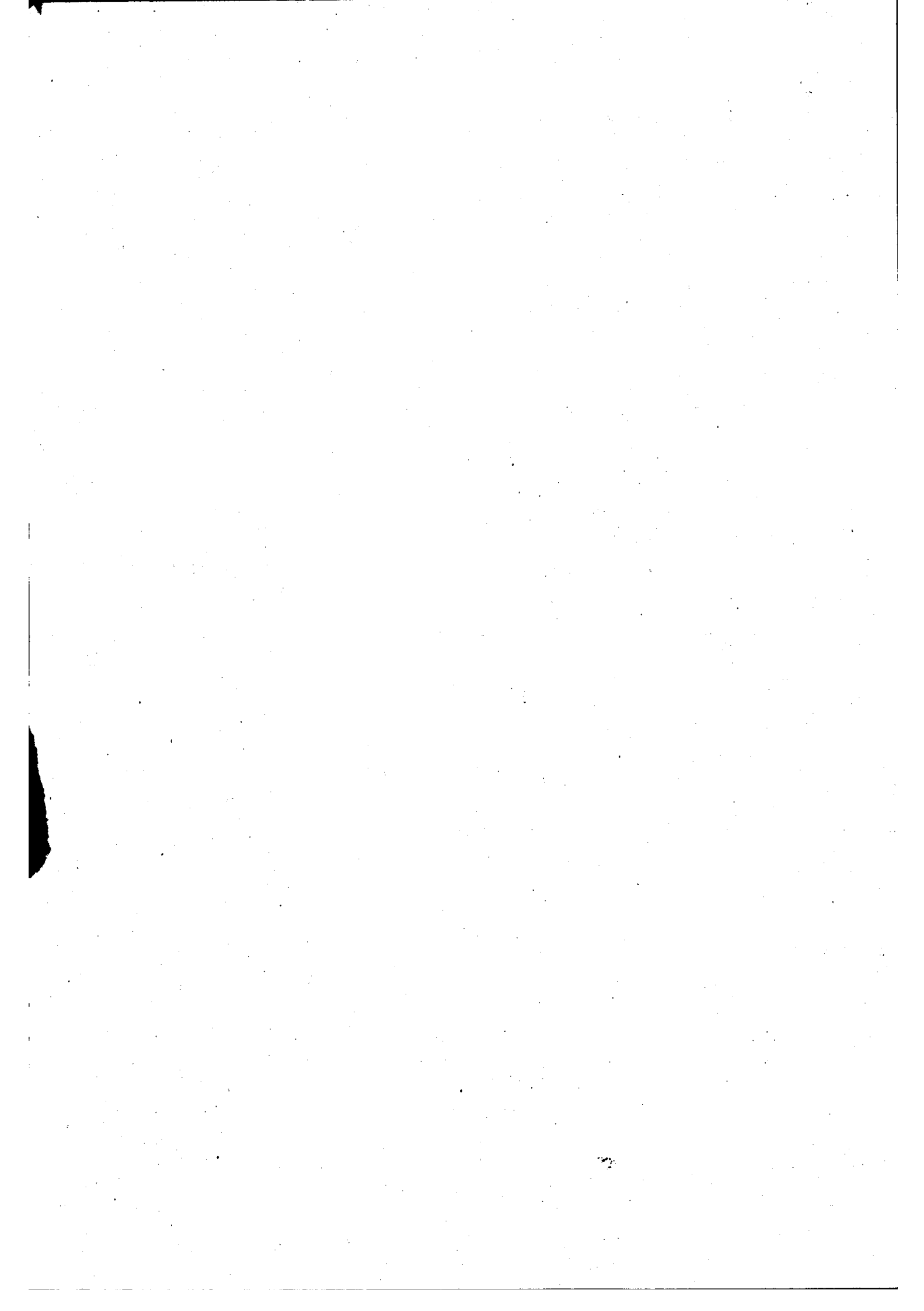
وبعد أن تشاور مع رئيس الوزراء ووزير الخارجية وحصل على إعفائه من عضوية الوزارة توجه همرشولد لزيارة أبيه في المستشفى قبل أن يبعث بموافقة النهائية التي قال فيها: «بشعور قوى بعدم الكفاية الشخصية ترددت في قبول الترشيح ولكن أشعر أنني لا أستطيع أن أرفض المهمة التي ألقيت علي».

وبعد ذلك وصف الدبلوماسي السويدي جوناريانج رد فعل همرشولد: لقد كان رد الفعل الذي يمكن وصفه بشكل دقيق بألم عدم اليقين «هل على حقا أن أقبل؟ أليس هناك أحد آخر متاح؟ ولكنه عندئذ كان قد أدرك أن قبوله أمر لا مفر منه، وبمجرد أن غادرت برقية قبوله استكهولم اختفت محنته وكأنها بضربة سحرية ولم يعد هناك تردد أو افتقار للتصميم، لقد قرر أن يقبل ونذر نفسه للأمم المتحدة، وعلى الرغم من دهشته وتردده الأول فقد رحب همرشولد بعد ذلك بهذه الفرصة التي لا مثيل لها والتي قدمت إليه لاستخدام قدراته على نطاق أوسع من ذي قبل، وفي مذكراته وتأملاته كتب يقول: «أن تكون حرا، أن تكون قادرا على الصمود وترك كل شيء دون أن تنظر إلى الخلف: أن تقول نعم، وباختصار فقد نظر همرشولد إلى منصبه الجديد بتواضع وبشيء من الخشوع».

وفى ٤ أبريل عرض همرشولد مشروع خطبته أمام الجمعية العامة على بعض أصدقائه الذين لاحظوا أنها تبدو مسرفة فى التواضع، وأن دول العالم لم تنتخبه كى تسمع منه أنه قادم إلى نيويورك لكى يتعلم الوظيفة. وقد عدل همرشولد فيما بعد من مشروعه وأفصح لأصدقائه أنه ينوى أن يعيش بشكل بسيط جدا فى نيويورك وأن يعيد للأمم المتحدة معظم مخصصاته.

ومن المفارقات التى سوف تبدو بعد ذلك أن اتفاق القوى الكبرى على ترشيح همرشولد - خاصة بعد أن اتخذ سلفه ترجف لى موقفا قويا من بعض القضايا - كان مدفوعا برغبتهم وتحقيقهم أن يروا فى هذا المنصب شخصا يركز أساسا على المشكلات الإدارية والذى سوف يمتنع عن إلقاء البيانات العامة حول القضايا السياسية والسلوك السياسى للمنظمة، وظنوا أنهم عثروا على مثل هذا الشخص الذى لا لون له فى شخص همرشولد وقد دعمت تعليقات معظم الصحف عنه هذا التصور حين وصفته بأنه متباعد والمثقف الذى ليس له تاريخ سياسى. وفى أول وصف له عن تصويره لمنصبه قال همرشولد «إن الجانب الشخصى فى الرجل يجب أن يختفى وأن يحل محله الرجل العام. وهذا الرجل العام موجود لكى يساعد هؤلاء الذين يتخذون القرارات التى سوف تشكل التاريخ، إن عليه فيما أرى أن يستمع ويحلل ويتعلم وأن يفهم بشكل كامل القوى التى تعمل والمصالح التى تتعرض للخطر حتى يتمكن أن يقدم النصيحة الصحيحة حين يتطلبها الموقف، ولا أظن أن أتباع هذا الخط هو موقف سلبى من التطورات بل إنه دور أكثر نشاطا ولكنه دور نشط كأداة وكعامل مساعد وربما مصدر إلهام» وقد أنهى همرشولد تصويره بالإشارة إلى متسلق الجبال وهو التصور الذى سوف يلزمه طوال حياته، إن الصفات التى يتطلبها متسلق الجبال هى تلك

التي أشعر أننا في حاجة إليها، المثابرة، والتصميم والصبر، واستيعاب
صارم للواقع والتخطيط الحريص ولكن ذو الخيال ووعي واضح بالأخطار
ولكن أيضا بحقيقة أن المصير هو ما تصنعه وأن أكثر من يتسلق أمانا هو
الذي لا يشكو أبدا في قدرته على التغلب على الصعاب».



تربية همرشولد: مصادر القوة

«فى الأدب المزدهر عن فن الحياة ثمة حديث كبير حول هذه الصفة النادرة: نضج العقل maturity Of Mind إنه يبدو فى غياب الخوف، فى الاعتراف بحقيقة أن المصير هو مانصنعه.... وأن كرامة الإنسان، كتبرير لإيماننا بالحرية، يمكن أن تكون جزءا من عقيدة حياتنا، وإذا ماتحولنا إلى النظر للحياة حيث نضج العقل يفسر أكثر من النجاح الخارجى، وحيث لا تقاس السعادة بشروط كمية... وليس هناك صيغة تعلمنا كيف نصل إلى النضج مثلما ليس هناك قواعد للغة الحياة الباطنية.. وقد يندهش البعض من مثل هذا الأسلوب لتناول التطورات الخارجية فى الحياة الدولية...، كما أن من يتصفون بالواقعية قد ينظرون إلى ما حاولت أن أقوله كمجرد كلمات جميلة تتصل بشكل غير واضح بالحياة اليومية والعمل السياسى، وسوف أتحدى هذا النقد. إن الأفكار التى شاركتكم فيها حول الخدمة الدولية هى خلاصات من أكثر الخبرات العملية. أن السياسة والدبلوماسية ليست تلاعبا بالإرادة أو المهارة حيث النتائج مستقلة عن شخصية هؤلاء المرتبطين باللعبة. إن النتائج تتحدد ليس بالقيم المصطنعة وإنما بتماسك الممثلين فى جهودهم، وبصلاحية أفكارهم ومثلهم، وعلى عكس الاعتقاد الشائع ليس هناك نشاط اختبر بشكل قاسٍ صلابة الرجل أكثر من السياسة إن ما يبدو من نجاح سهل مع الجمهور هو أمر ممكن بالنسبة للمتلاعب أما النتائج ذات الدوام فلا يحققها إلا البناء الصبور Patient Builder».

كانت هذه الكلمات التي تحدث بها همر شولد أمام جامعة چون هويكنز عام ١٩٥٥ تعبيرا عن الموضوع الرئيسى لحياة همر شولد الناضجة وعن بحثه الدائب عن «نضج الفكر» والذي اعتبره المصدر الرئيسى للقوة الفردية والأساس الذى لاغنى عنه للأداء الناجح للمسئولية العامة. وبالنسبة للسكرتير العام للأمم المتحدة بوجه خاص فإن البحث عن نضج الفكر له معنى عملى وملزم فالسكرتير العام بكل بروزه، إنما يتمتع فى الواقع بالقليل من روافد السلطة أو القوة، ولكن قوة منصبه تكمن أولا وقبل كل شىء فى قوة شخصيته وقدرته وشجاعته الأدبية، وبدون هذه الصفات فإن السكرتير العام لن يكون أكثر من صدفه فارغه من الأهداف والمبادئ المدوية ولكنها نوايا غير محققة بشكل كبير. لذلك كان اهتمام همر شولد بالأخلاقيات الشخصية ونضج الفكر والقوة الروحية أكثر بكثير من خاصية شخصية لرجل نبيل المشاعر. وقد استخدم همر شولد دائما كلمة «التكامل» Integrity وكانت مفتاح شخصيته ولم يكن التكامل عنده يعنى فقط النقاء والشرف، ولكن أيضا رؤية الحياة ككل متماسك يخضع فى كل أجزائه لنفس قواعد السلوك ومستويات الأداء وقد اقتربت إحدى صديقات همر شولد وهى المثالة الإنجليزية بريارا هبورت من الوصف الدقيق لهذه الصفة حين قالت: إن لدى داج همر شولد تصورا صارما للمبادئ الجمالية تماما كما لو كانت حول مبادئ أخلاقية ومعنوية وأعتقد أنها كانت بالنسبة له شيئا واحدا.

فإذا أردنا أن نفهم همر شولد كفرد، والنظرة والخصائص التى حملها لمهمته كسكرتير عام للأمم المتحدة فليس هناك مكان أفضل لكى نبدأ منه ونتعرف على أصول وروافد هذه الخصائص من عائلته.

وكما ذكر هو: «أن تكون مخلصا لميراث الإنسان فى كل فرديته فإنه كذلك الطريق للفهم الحقيقى لميراث الآخرين». وبعد أن حملته وظيفته فى

الأمم المتحدة إلى كل القارات لاحظ «بعد أن يواجه عالم الآخرين فإن الذى يتعلم أن من يستوعب كلية مايقدمه له عالمه الخاص إنما هو مزود بشكل أفضل لكى ينتفع بما هو كائن خارج حدود هذا العالم» .

وقد كانت عائلة همر شولد جزءاً من الارستوقراطية السويدية ولكنها لم تكن ارستوقراطية النبلاء وملاك الأراضي وإنما ارستوقراطية الخدمة المدنية Civil Service وحيث كان من تقاليدها العمل الشاق الذى لا يكل ولا يتعب وحيث الرجل النبيل هو الذى يعمل بشكل شاق أكثر من أى شخص آخر. كذلك كان جزء من تقاليد هذه الارستوقراطية شعارا لها «إن هذه الأرض سوف تبنى على القانون» كما وصفت الارستوقراطية السويدية بأنها «مشربة بالقانون» .

ولم يكن من الأكيد أن يدخل همر شولد الأب الخدمة المدنية فقد كانت اهتماماته المبكرة أدبية وفلسفية ولكنه أخذ القانون كطريق لدعم دخل الأسرة - بعد أن تعرضت للخسارة فى مضاربات ومشروعات محلية وحيث لم تصل إلى وضع آمن إلا بعد نضال مرير. وفى مجال القانون حقق الأب تقدماً وصل به أن يكون وزيراً للعدل. وقد كانت شخصية الأب صارمة ومسيطرة وذات عقائد حازمة والتي رآها معارضيه السياسيين كرجعية، فيما اعتبرها هو إخلاصاً محافظاً للماضى. وقد كان داج أصغر أبناء الأسرة ولد فى ٢٥ يوليو عام ١٩٠٥ وكان أكثرهم اقتراباً من أمه ومرتبطةا بها بشكل خاص وكثيراً ما تخلى عن مصالحه لكى يكون قريباً منها ومفيداً لها، وقد أثار أصدقاؤه هذا الاعتبار فى تفسيرهم عدم زواجه. وعندما كانت العائلة تقيم فى أوبسالا كانت تعيش فى قلعة مهيبة تعود إلى القرن ١٥ وكانت تطل على أوبسالا، ويتذكر أحد زملاء داج فى المدرسة «كان هناك شعور لطيف فى الأسرة وكان جميع أفرادها يعملون بشكل شاق وكانت الأم سيدة رائعة ناعمة وكان من الواضح أنها تجد صعوبة فى التعامل مع خمسة

رجال يعملون بشكل شاق ويهتمون فقط بإنجاز عملهم وكانت امرأة مثقفة، ولكن تمثل بعدة نواح الاتجاه العاطفى والأسرة» وذكر صديق آخر «لقد كانت تماما مالم يكنه الأب، فحيث كان الأب شخصية وعرة يميل إلى استخدام السلطة إلى درجة الوقاحة، كانت الأم مقبلة بحماس وحيوية تبدى الألفة تجاه كل فرد حولها وبدفء إنسانى كبير» وكان الأب يقول «إذا كان لدينا موهبة داج فى التعامل مع الناس فقد كنا سنتقدم بشكل كبير» مثل هذه الموهبة كانت تعود إلى الأم.

وفى أوبسالا سواء فى المدرسة الثانوية أو الجامعة كان داج همر شولد أكثر الطلبة تألقا وقد تذكر أحد زملائه «أعتقد أنه كان يحصل على أفضل شهادة امتحان منذ مائة عام» وكان مبرزاً فى كل الموضوعات وفوق كل شىء فى اللغات والرياضيات.

وحيث يكون أفضل التلاميذ فى الفصل فثمة مسافة تفصله عن الآخرين، وحيث تصبح المودة والألفة من الأمور التى يصعب تحقيقها فى العلاقات اليومية. وقد كان زملاء همر شولد فى الفصل فخوريين به ويحترمونه ولكن لا يحبونه. وقد أسهم هو نفسه فى ذلك باعتبار أنه بالفعل كان متباعدا قليلا وغير راغب أن يمد جسور المودة لأحد خارج عائلته بل وربما خارج حدود والدته. وفى جامعة أوبسالا حينما درس الأدب وفقه القانون والاقتصاد لم يكن يشترك فى ألوان التسلية والترفيه ولم يكن مهتما بالفتيات والرقص. وفى الأمسيات التى كان الآخرون فى الخارج للرقص كان هو منكبا على العمل. وبالإضافة إلى إشباع ذاته كان هناك والده القوى الذى كان يريد منه أن يعمل بشكل شاق وأن يتقبل ضرورة العمل، وقد قبل الابن التحدى وحيث كان الطلبة يقيمون فى مساكن الطلبة كان همر شولد يسكن مع عائلته فى القلعة المخصصة للحاكم وهو والده، غير أن هذا الوضع المميز لم يجعل منه شخصا مدللاً، فقد كان ولدا قويا وإن كان

قد برز في الألعاب الرياضية إلا أنه لم يكن يشترك في الأعمال الطائشة للشباب وقد تذكر أحد زملائه ، لقد كان موهوبا في حل المشكلات والتوصل إلى حلول عند اختلاف الآراء، إلا أنه لم يكن ناعما ولم يكن أحد يستطيع فرض إرادته عليه، .

وفي تكوينه الثقافي المبكر لم تكن الكلية أو المكتبة هي فقط التي حركته فقد كانت هناك اهتماماته الأدبية الواسعة النطاق التي كانت تنعكس على المائدة في المنزل. وباعتبار أنه كان ممثلا للسويد في مؤتمر نزع السلاح فقد كان هناك حديث كثير حول هذا وحول القانون الدولي والذي كان تقنيته في جينف يجرى تحت رئاسته كذلك كانت اهتمامات الأب الأدبية تحيط بميادين الشعر البرتغالي والأسباني والأمريكي. ومن ناحية أخرى فقد أشعلت مدينة أوبسالا الخيال التاريخي لداج همر شولد حيث إنها واحدة من أعرق المدن الجامعية في أوروبا وكانت أيضا المقر الرسمي للملكية السويدية. فقد جذبته الطبيعة والريف السويدي بشكل كثيف وصوفي وكان الريف السويدي بالنسبة له ليس فقط عالما من الألوان والصوت والحركة التي تغرى من ينزل به بالتخيل والغناء ولكنه كان في الأعماق عالما من المعاني، وقد تحدث هؤلاء الذين رافقوا همر شولد في السير على الأقدام في الريف باعتباره أفضل الرفاق الذي رأى أشياء كثيرة كان يمكن للآخرين أن يفتقدوها.

وفي هذه الجولات وخاصة في تسلق الجبال كان زملاءه يشعرون معه بالأمان وبأنهم إذا ما فقدوا الاتجاه فإن همر شولد معهم سوف يستعيده لهم بقدرته على رسم خريطة للطريق.

وفي عام ١٩٣٠ وكان عمره عندئذ ٢٥ عاما عندما انتقل من أوبسالا إلى استكهولم كان الانطباع الذي تركه في زملائه ، أن داج لديه هذا النقاء

فى الشخصية وهذا القدر العالمى من الذكاء وبشكل لا أتردد لحظة أن أقول إنه سيكون رئيس وزراء السويد فى عمر صغير .

وقد كانت حياة داج همر شولد الأكاديمية متسقة حيث تلقى درجات فى القانون والاقتصاد من جامعة أوبسالا وحصل على الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة استكهولم وفى سن الثلاثين أصبح وكيلا لوزارة المالية السويدية وعمل فى نفس الوقت كرئيس محافظى بنك السويد، وفى الوزارة عمل تحت الاقتصادى الاشتراكى Ernest Wigforss الذى اعتبره والده الثانى . وقد كتب صديق له عن هذه الفترة: «فى هذا المنصب الرئيسى الكثير المطالب الذى شغله همر شولد مالا يقل عن عشر سنوات بما فيها كل فترة الحرب كان لديه فرصة تنمية النظام الذاتى الأسطورى الذى فرض على نفسه والذى مكنه من أن يتحمل العبئ الضخم للعمل الذى تولاه فيما بعد فى الأمم المتحدة» .

وبهذا النظام استطاع همر شولد أن يعمل بقدر ضئيل من النوم وكان قادرا على أن يستوعب بسرعة خطيرة مضمون وثائق وكتب وأن يمتلك موهبة الاحتفاظ بوجهة النظر الشاملة والخطوط الرئيسية لعدد معقد من المشكلات فى الوقت الذى يفهم فهما تاما تفاصيلها . ومجموعة هذه الصفات هى التى اسبغت عليه كفاءة طاغية وكان من الطبيعى أن يلزمها ميل لأن لايفوض عملا للآخرين .

وقد تطلب نوع الحياة التى طورها همر شولد وأخذ بها نفسه صحة سليمة وعدم وجود حياة عائلية، ومن ناحية أخرى فقد أصبح همر شولد المركز الطبيعى فى دائرة مساعديه المقربين وجذبه مجتمعهم فى أوقات فراغه الضئيلة وأصبح بالنسبة لهم بشخصيته المشعة وتعدد اهتماماته رئيسا وصديقا يلهمهم ويحفزهم . وفى علاقته مع هيئة مكتبه وبوجه عام كان رئيسا محترما ومحبويا بفضل مايبديه من عطف طبيعى واهتمام شخصى .

وخلال حياته الوظيفية فى بلده، وحتى بعد أن أصبح وزيرا فى الحكومة عام ١٩٥١ اعتبر همر شولد نفسه رجلا غير سياسى، ولم ينضم أبدا إلى حزب سياسى.

وفى عام ١٩٤٧ أصبح وكيلا لوزارة الخارجية مسئولا عن الشؤون الاقتصادية وفى عام ١٩٤٩ حيث كان فى الرابعة والأربعين من عمره عين سكرتيرا عاما لوزارة الخارجية أما نشاطه كممثل للسويد فى سنوات تكوين المنظمة الأوربية للتعاون الاقتصادى ومجلس أوربا فقد أعطاه الإحساس وتذوق الحياة الدولية. وهكذا كانت خبرة همر شولد المبكرة فى المسئولية الشخصية فى الخدمة العامة إعدادا جيدا لوظيفته كسكرتير عام للأمم المتحدة. فى مؤتمر صحفى فى نوفمبر عام ١٩٥٣ ذكر.. إنى أكره أن أتحدث بشكل شخصى، غير أنه فى النهاية فإن الأمور تنتهى إلى هذا المستوى، وحيث إن ثمة حقا لا ينازع للسكرتير العام فإنى أجد من الأسهل أن أقف ضد أى ضغوط أيا كانت ومن أى جهة جاءت فعندئذ أستطيع أن أتعامل بشكل شخصى وأن أقول صراحة أن هذا شىء لا أستطيع أن أفعله وهذا فى بعض الأوقات خط قوى للدفاع غير أن تحارب فى هذا الموقف كمحام فإن ذلك فى نظرى وفى المجال السياسى موقف ضعيف».

وكما عبر آندريه مالرو، فإن ما يصنع الشخصية التاريخية ليس الدور وإنما الرسالة وهذا النداء الباطنى، وحتى أصبح سكرتيرا عاما للأمم المتحدة لم يكن همر شولد قد عثر على هذه الرسالة رغم النجاح غير العادى الذى حققه. غير أن إحساسه الجديد بالرسالة فى هذا المنصب الشديد المطالب كان حجر الزاوية فى صفاته الأخرى: الذكاء، الشجاعة، قوة الاحتمال والقدرة على التقدير السياسى. وبالنسبة له كان التحدى الذى يمثله منصب السكرتير العام أوفر النعم مثلما كان أعظم الأعباء.

ومن هنا يمكن أن نفهم كيف كان منصب السكرتير العام بالنسبة له عبودية مرحباً بها: Awelcome Bondage، وكما كتب عام ١٩٥٤: «إنى سجين أكثر من أى وقت آخر ولكنه سجن يجب أن أعترف له بالفضل» وبعد أزمة السويس وفى قمة الحملة المريرة ضده فى بعض الأقطار الأوربية سئل إن كان يستمتع بمنصبه فأجاب: «حقاً إنه يبدو أمراً لا يصدق ولكنى استمتع به»، وقد كان إحساس همر شولد بالرسالة عميقاً له جذوره فى التقاليد والثقافة والدين، ولم يكن توافقه مع الفكر المسيحى تبشيراً، ولكن فى توافق مع التقليد القديم فى تقليد المسيح فى التضحية وخدمة الآخرين وقد كان فى هذا عضواً فى جماعة صغيرة ووحيدة ارتبطت عبر التاريخ بمحاولة للتعامل مع العالم الصعب للواقع السياسى والاجتماعى والبحث بصورة لانهائية عن معنى روحى يعلو فى هذا العالم ونادراً ما كان همر شولد يتحدث أو شعر إنه يحتاج للتحدث عن عقليته الدينية وإن كان فى مقابلة له عام ١٩٥٤ قدم أكثر بياناته وضوحاً عن موقع الدين فى حياته:-

«بصراحة وبشكل مباشر فإنه لبناء عقيدة شخصية فى ضوء الخبرة والتفكير الأمين ما فى لابد أن أعترف بدون تحفظ بهذه العقائد التى ورثتها فى عمر كان مستحيلاً على أن أقيم أهميتها أو أن أجعلها فى دمنى.. لقد ورثت إيماناً أنه ليس هناك حياة أكثر مجلبة للرضا من تلك التى تنطوى على تضحية منزهة لوطنك أو الإنسانية. هذه التضحية تتطلب التضحية بكل المصالح الشخصية ولكن أيضاً تتطلب الشجاعة أن تقف بدون تردد من أجل معتقداتك حول ماهو صحيح وخير للجميع أيا كانت الآراء السائدة فى هذا الوقت.... إن الإيمان هو حالة عقلية وروحية وبهذا المعنى علينا أن نتذكر عبارات الصوفى الأسبانى جونى كروسى «... إن الإيمان هو اتحاد الله بالروح» إن لغة الدين هى مجموعة من الصيغ التى تسجل خبرة روحية أساسية وآمل أن لا ينظر إلى على أن أصف، فى شروط تحددها الفلسفة، والواقع الذى يجد طريقه إلى حواسنا.....».

وهكذا كانت عقيدة همر شولد الدينية أمراً شخصياً جداً ولا يتصل بالشعائر وهو لم يرغب لا فى فرضها على الآخرين أو أن يفرضها الآخرين عليه.

وقد تعود فى نيويورك أن يحضر الصلوات فى عدة كنائس وإن طلب منه أحد القسوس أن يحضر الصلوات بانتظام كانت إجابته سلبية. لقد كان الدين بالنسبة له حواراً بين نفسه وبين الله، وكان الإيمان هو أساس الواجب والتكرس فى الخدمة وهى الصفات التى اعتبر أنها أكثر الصفات جوهرية فيه وأكثرها مدعاة للاحترام فى الآخرين.

ولقد كان افتقار همر شولد للالتزامات وروابط شخصية ميزة عظيمة بالنسبة له وبالنسبة لقدراته على أداء واجباته الضخمة كسكرتير عام، ولم تكن ملاحظته أن الميثاق يجب أن يتضمن مادة تنص على أن السكرتير العام يجب أن يكون له بنية حديدية، لم تكن مجرد نكتة. وقد أتاح له تحرره «من العبودية الحميدة للعائلة Begnin Tyranny Of The Family أن يعمل ويفكر فى كل الأوقات وأن يغادر إلى أى مكان فى أى وقت وبمجرد الإشارة. مثل هذا الوضع الذى لا بد أن يؤدى إلى نوع من الأنانية التى لها دوافعها لم يكن يجعل الأمور سهلة بالنسبة لزملائه ومساعديه ذوى الالتزامات العائلية كما يمكن فى النهاية أن ينتج عنها عزلة خطيرة، ولكن بالنسبة لرجل كرس حياته لرسالة غاية فى الصعوبة فى مطالبتها ومسئولياتها فقد كان هذا الوضع مميزة لاتقارن. غير أن هذا لم يكن يعنى أن همر شولد كان ناسكاً وزاهداً أو إنه لفظ الرفقة الإنسانية. فقد كان يحب رفقة أصدقائه المقربين ويسعد ويتبهج بالمناسبات الاجتماعية المحدودة والأحاديث الجيدة، وكان الطعام والشراب الذى يقدمه فى شقته فى شارع ٣٧ متفوقاً على غيره، وكان أكثر المضيفين كرماً ومراعاة للآخرين وفى رحلاته العديدة كان من أكثر مسراته أن ينهى اليوم فى أحد المطاعم

المفضلة ومع هذا فقد كان عزباً بالمولد ومن المستحيل أن نتصوره يعيش الحياة العائلية المستهلكة للوقت أو فى الأوساط الاجتماعية التى تشتت انتباهه. وقد كان همر شولد يدرك وحدته، وكان فى بعض الأوقات يخشاه، وقد ظهر هذا بوضوح فى تأملاته Markings، وفى عام ١٩٥٨ بدأ يفكر فى سنوات اعتزاله «أعوام قليلة أخرى ثم ماذا؟ إن الحياة لها قيمتها فقط بفضل مضمونها بالنسبة للآخرين وبدون قيمة للآخرين فإن حياتى تصبح أسوأ من الموت، ولذلك فإنه فى هذه الوحدة الكبيرة أخدم الجميع ولهذا، كم هو عظيم بشكل لا يصدق ماقدم لى، وأى تفاهة مأضحى به».

وقد لعب الجنس دوراً صغيراً أو لم يلعب دوراً على الإطلاق فى حياة همر شولد، وقد يصعب على البعض أن يفهموا الرجل الذى يكرس نفسه كلية للعمل ولاهتمامات فكرية وجمالية وقد صور همر شولد نفسه المشكلة بشكل دقيق.

لأنه لا يجد الرفيق

فإنهم يدعون

أحادى القرن منحرفاً

وقد روج بعض الحقودين للافتراض السوقي بأن عدم زواج همر شولد يعنى أنه لوطياً رغم أن أحداً ممن كانوا على صلة قريبة منه قد فكر فى هذا. وحين ووجه فى الشهور الأولى من عمله كسكرتير عام بهذه الشائعات التى روج لها سلفه، عقب همر شولد إنه إذا كان هناك أى قدر من الحقيقة فى هذه القصة فإنه وبالنظر إلى رأى السائد لدى رأى العام عن اللوطية فإنه لم يكن ليقبل هذه المنصب. وكانت هذه الشائعات تثار من وقت لآخر خاصة حين يتعرض لهجوم سياسى، وحين كان يطلع على القصة كان يقول «أى عقل هذا الذى يكتب هذا الشيء». وحقا كان همر شولد شديد

الحساسية وكان عليه أن يبذل جهدا كبيرا للتغلب على خجله الطبيعي وحيائه، وفي تأملاته تشير عدة إشارات أنه يجد فكرة مشاركة حياته مع أحد آخر أمراً لا يمكن تصوره، وكانت فكرة الاتصال الجسدي تجعله غير مستريح وينكمش بشكل غريزي عنها، تماماً مثل ما حُمي بشكل صارم خصوصيته من غزو أصدقاء وزملاء رغم نواياهم الطيبة، هذا فضلاً عن أن خبرته في الأمم المتحدة جعلته يعتقد أن الزواج وقبول منصب السكرتير العام أمران لا يتفقان كلية.

وفي الجانب الشخصي والمهني كان تعينه سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة وهو في السابعة والأربعين من عمره نقطة تحول في حياته، وفي مواجهته لتحدي مركزه بدأ يحيى علاقات أكثر إيجابية مع الآخرين وكذلك سلامه الداخلي الذي كان ينشده منذ وقت طويل.

وعلى المستوى الفكري استطع من يقرأ تأملاته أن يخرج بانطباع عن رجل جاد رفيع الفكر بل ومتفوق في تفكيره، غير أنه ما هو بعيد عن الحقيقة أن يعطى هذا صورة عن شخص متزمت يخلو من الدعابة والمرح وينظر إلى العالم بشكل جامد بل على العكس من ذلك فإن خفة لمساته وفكره اللامح ومرحه وحب استطلاعها الذي لا حدود له وقدراته على التصور جعل منه رفيقاً جذاباً لزملائه وأصدقائه.

غير أن الصعوبة الأساسية معه كانت في مجاراة سرعة تفكيره. وكان فشل الآخرين في ذلك خاصة بعد ما أظهره من ثقة في قدراتهم العقلية - تدفعه لأحكام قاسية عليهم وللشعور بالإحباط من جانبهم. وقد كان عمله يمثل دائماً الأولوية وكانت أي محاولة للتعدى على هذه الأولوية تجلب غضبه الشديد وكان يكره ما أسماه «أحاديث حفلات الكوكتيل، وكل ما يمكن أن يشتت تفكيره غير أنه حين لا يكون هناك ما يشغله لم يكن هناك ما يمنحه السرور أكثر من الاسترخاء في مكتبه أو حول وجبة طيبة أو تنظيم

حفلة لأصدقائه المقربين، أو أن يتخير هدية مناسبة لصديق أو وردا في مناسبة تحية لإحدى صديقاته.

ورغم أسلوبه المنظم جدا في الحياة فقد كان يفضل أن يتصرف بشكل غير رسمي، ورغم أنه لم يكن يحب الأسلوب الاحتفالي الذي يتسم بالبهرجة فإن مركزه لم يكن يسمح له أن يتهرب من هذا الأسلوب وكان دائما يود أن يتأكد بإشرافه بنفسه على نجاح مناسباته الرسمية، ولكن في كل الحالات كانت العلانية تكلفة ويقلقه النجاح والأثر المشوه الذي ينتج عنها، وقد كتب في مذكراته: «علينا أن نكسب الثقة بالنفس والتي نعطي بها كل ماقد يوجه من نقد وزنه الحقيقي، وأن نقف بتواضع أمام المديح». وعلى الرغم من كل جدية ومثاليته إلا أنه كان أبعد ما يكون عن أن يبدو متظاهرا وكان جسده النحيف ووجهه الشاحب يعطي دائما الانطباع عن الحركة الدائمة لذلك كنت تراه يمشى في كل مكان كل ما كان ذلك ممكنا وبشكل رشيق الحركة، غير أنه خلال المداولات الطويلة للأمم المتحدة واجهتها كان دائما يجلس بلا حراك وغالبا لعدة ساعات يتحرك فقط من وقت لآخر لكي يكتب مذكرة لجاره أو لكي يجيب عن سؤال.

وتحت شعره الهش وجبينه المرتفع كانت عيناه الزرقاوان العميقتان تبصران بشكل .. مدهش وأخاذ، ومن ناحية أخرى كان خجله يخلع عليه في بعض الأحيان نظرة صارمة خاصة خلال المناسبات العامة غير أنه في كل المجالات وبهيئته النحيفة الشابة وغير المتكلفة تجعله له وجودا عظيما ومحسوسا في أي رفقة.

وقد كان مزاج واستعداد همر شولد يبدو بشكل أكثر في المساء والمساء المتأخر عنه من الصباح المبكر حيث كان أميل وأكثر استعدادا للإثارة وتقلب المزاج، ولكن حين يتطلب الأمر فإنه كان مستعدا للعمل لساعات طويلة وفي أي وقت وينوم قليل جدا... وفي أوقات الأزمات لا يبدو أنه

متعب بل على العكس يبدو منتعشا وحتى حين يستبد به التعب فإن ليلة واحدة من الراحة فى الريف كانت كافية لكى يستعيد نشاطه . وقد كتب عنه ليستر بيرسون :

«لقد كان رجلا هادئا ولكن بطاقة لا تصدق . ولم أعمل مع أحد مثله يبدو أنه محصن ضد التعب أو الضعف الإنسانى . وفى مرحلة من أزمة السويس جلست لثمانى ساعات متتالية معه نعمل خلال المساء وكان يبدو دائما منتعشا هادئا وغير متسرع فى الصباح شأنه فى منتصف الليل» وكان واضحا أن العمل والضغط يستحثة ويثير طاقته .

ويذكر الدبلوماسى البريطانى هارولد بيلى أنه كان يزوره عند عودته من رحلة طويلة ولم يكن قد نام خلال الثلاث ليالٍ الأخيرة وحين افتتح بيل المناقشة بقوله «لا بد أن تكون متعبا أجاب متسائلا: متعب؟ إن ذلك سيكون من قبيل التفاهة» .

ومن الملاحظات التى لفتت الأنظار أنه لم يحدث إن مرض ونادرا ماتوعك ولو بشكل طفيف وإذا ماحدث فإنه كان يكره الإشارة إلى ذلك . ولساعات طويلة من القراءة والكتابة فإنه لم يكن يستخدم النظارات وكانت هذه القدرة على التحمل وعدم التعب ترجع فى جانب كبير منها للنظام الذاتى الصارم الذى فرضه على نفسه فنادرا ما فعل شيئا لم يكن يراه ضروريا أو يقرأ ما لم يكن يود أو أن عليه أن يقرأه ، أو أن يضيق أى وقت صغير فى نشاطات اجتماعية أو متصلة بالعمل لم يكن لها فائدة وكانت قدرته على التركيز تسمح له بتوجيه كل طاقاته لما يفعله ثم التحول كلية لعمل آخر . وقد كان حرصه على النظام بشكل شديد التدقيق حيث كل شىء فى البيت أو العمل يجب أن يكون فى موضعه الصحيح ونادرا ما كان يوجد على مكتبه ورقة أو ورقتان .

وقد أحب همر شولد حياته فى نيويورك وأصبح يعتبرها موطنه الثانى فقد كتب عام ١٩٥٥: «من المفارقات أنه رغم جذورى العميقة جدا فى السويد فإن نيويورك قبل وبعد كل شىء المكان الذى أشعر فى الوقت الحاضر أننى فى وطنى» وكانت المجموعات الصغيرة من الأصدقاء والناس ذوى الاهتمامات المشتركة حين يلتقون فى شقته والأوقات الطويلة من السير فى المساء وزياراته التى لا تتوقف للمكتبات وعطلة نهاية الأسبوع فى منتجعه فى الغابات والذى كان يقع على بعد ساعة ونصف من نيويورك، كانت تقدم له نفس الاسترخاء الذى كان يريده والاستجمام الذى يحتاجه. غير أنه رغم شعوره بالارتياح فى نيويورك إلا أنه لم يفقد أبدا الحنين للسويد وحياتها وتقاليدها وريفها سواء فى ساحل البحر البعيد فى الجنوب حيث كان له منزل صغير يخطط أن يعيش فيه بعد اعتزاله، أو فى البقاع المترامية من الفضاء فى لايلاند حيث كان يحب أن يمشى أو يتسلق. وكان حب همر شولد للسويد مصدرا لقوة عظيمة ولثقة، وكانت تقاليدها الفريدة والمحددة تتجسد فى الأكاديمية السويدية التى أنتخب لها عام ١٩٥٤ وفى كلماته فإن هذا الانتخاب قد دعم جذوره الروحية وكان يحب أن يكتب عن السويد. وقد أظهرت خطبه فى الأكاديمية عاطفته الدافئة والتى لم يكن يعتبرها إلا وطنه الأصلي، وفى أيامه الأخيرة كان تطلعه للسويد قد أصبح أكثر حدة من أى وقت آخر. وفى خطاب لشقيقته التى كانت قد كتبت له تصف منطقة لايلاند قبل شهور من وفاته قال «أستطيع أن أفهمك. إن ليلة مثل تلك التى تصيفينها هناك يمكن أن تكون ذات جمال غير أرضى وإنى لسعيد جدا أن أعلم أنك ترينها على هذا النحو. والآن تستطيعين أن تفهمى لماذا تبدو لى الجزء من العالم الذى أحبه بشكل أكثر وأضعه قبل أى شىء رأيت». .

ومنذ أيامه الأولى كسكرتير عام أظهر همرشولد أداء مبهرا وكان مزيجا من المبادئ والذكاء، وقدمت ثقته فى نفسه ولمسته الواثقة وقوته

للآخرين الشعور بالاطمئنان إنه دائما هناك حين يتطلب الموقف الدعم والنصيحة فقد كان يعرف ماذا يعمل وكيف يعمل وإلى أين يريد أن يذهب وكيف يصل إلى هدفه، وبهذا المعنى كان قائدا للرجال في الوقت الذي لم يكن يبدي فيه المظاهر الخارجية التي تحيط بالقائد، وكانت قدرته الفكرية واستعداده الثقافي والذي مكنه من السيطرة على أكثر الموضوعات صعوبة استثنائيا بأى معيار.. وكان علمه وخبرته فى مجالات القانون والسياسة والمنطق والاقتصاد والمالية شاملا وكان عقله النفاذ والمحلّ يسيطر بسرعة على أى مشكلة معقدة ويبدأ فى العمل بسرعة وبشكل خلاق يستكشف التطورات الممكنة والطرق البديلة ومجموعة الأعمال التى يمكن اتخاذها وفقا لتطور الوضع وكان أى موقف صعب ينشأ يمثل تحديا لحب استطلاع الفكرى وحيث يبدي ذاكرة قوية حول التواريخ والأعداد وتفاصيل مواقف سابقة ولم يكن فى هذا يعتمد إلا فى القليل على المراجع والمذكرات وحين قدم مرتجلا فى المكسيك خطبة طويلة عام ١٩٥٩ وطلب منه وزير الخارجية نص الخطاب شرع بعد عودته فى نيويورك إلى املائه كلمة كلمة كاملا. وكان تقديمه لتقريره السنوى الأخير وثيقة من ثمانية آلاف كلمة واعتبره أكثر بياناته اكتمالا وتعبيرا عن موقفه من المسائل الخلافية لعصره فقد أملاه بدون مذكرات وبلا توقف بعد عصر يوم أحد ولم يجر تقريبا أى تصحيحات على مخطوطه الأصلى. وكان بشكل متزايد يكتب خطبة وبياناته بنفسه لأنه وجد أن هذا أسرع من أن يطلب من أحدا أن يكتبها ويصبح عليه أن يصحح النص.

وقد كان من الطبيعى أن يكون من الصعب التعايش مع مثل هذه الحيوية الفكرية وكانت سرعته وإيضاحاته المختزلة وتعدد اللغات بما تتضمنه من فروق دقيقة، ولكنته السريديّة الطفيفة وتنميته لعباراته، كان هذا فى بعض الأحيان يريك مستمعيه، وكان هذا بدوره يثير همر شولد والذي لم يكن يتسامح مع البطوة العقلى أو يتقبله بارتياح. وقد فشل كثير

من الناس فى فهمه بشكل كامل الأمر الذى كان ينتج عنه إستياء متبادل. وكان تلخيصه للمشكلات المعقدة يرهق طاقة أوثق أصدقائه حيث لم تكن تسعفهم وجهات نظره الشاملة ومرجعياته الفلسفية إذا ما فقدوا الخيط الفضى السريع لحججه. وقد أدى هذا إلى تضيق دائرته المقربة سواء بين الممثلين الدائمين للدول أو فى السكرتارية وبحيث بدأت تتكون حوله فى سنواته الأخيرة نزعات تأمرية.

وكان همر شولد يتكلم الإنجليزية والفرنسية والألمانية بإتقان وبطلاقة كاملة وإن كان نادرا ما استخدم اللغة الألمانية. وكان إتقانه الاستثنائى للإنجليزية والفرنسية يتدعم باستعماله لاصطلاحات منهما حين كان الأمر يتطلب معانى دقيقة، أو حين يكون التعبير بلغة ما أكثر دقة. وهكذا كان أسلوب عمل همر شولد فى الأمم المتحدة مزيجا من التصور الرفيع والعمل الشاق وبعد النظر والتوقيت السليم والإدراك السياسى الناجح والشجاعة الأدبية والجسارة، وكانت كل هذه الصفات تنشط ويغذيها الإحساس بالواجب والرسالة وكانت مهارته وبراعته وسرعة تفكيره بدرجة يمكن أن يتهم بها بالابتزال، ولكن كان يعفى همر شولد من مثل هذا الاتهام أن عمله وسلوكه كان يتأسس بوضوح على المبدأ والانضباط العام الذى فرضه على نفسه. وفى تأملاته نعثر على عدد من القواعد العامة التى وضعها للسلوك والتى تقدم وصفا لأسلوبه فى العمل:

- إن من الأكثر أهمية أن تكون مدركا لقواعد سلوكك أكثر من تفهم دوافع الآخرين.

- إن وجهة نظر الآخر أكثر أهمية من وجهة نظرك

- إذا كنت وأنت تدافع عن قضية الآخر - تبغى تحقيق شيئا لنفسك فلن تستطيع أن تأمل فى النجاح.

- إنك فقط تستطيع أن تجد حلاً دائماً لصراع إذا ما كنت قد تعلمت أن تراعى الآخر بشكل موضوعي وأن تختبر صعابه بشكل ذاته في نفس الوقت.
- إن الرجل الذي يحب الناس إنما يحطم مرة وإلى الأبد - الرجل الذي يحتقرهم.

- إن الكذبة الناجحة هي كذبة مضاعفة.

- إن الخطأ الذي يجب أن يصحح هو عبء أثقل من الحقيقة.

- الأمانة التي لا مساومة فيها هي فقط التي يمكن أن تصل إلى أعماق اللياقة التي يجب دائماً أن تتوقع وجودها حتى ولو تحت طبقات عميقة من الشر.

وفي أفضل حالاته كان همر شولد حساساً بشكل غير عادي لمصاعب وحساسيات من يتعامل معهم، وكان لديه موهبة استثنائية لاقتراح حلول فعالة يمكن أن تجمع بين أطراف الصراع. وقد لاحظ سير مارتين دين المندوب البريطاني في الأمم المتحدة بعد وفاة همر شولد «قدرته العالية للتوصل إلى صيغ لمعالجة ما لا يمكن مصالحته، وكتب عنه والتر ليبمان «إنه لم يحدث أبداً من قبل وربما لن يحدث مرة أخرى أن استخدم أي إنسان الفن الكثيف للدبلوماسية Intensive».

Avr Of Dirlomaiy

بمثل هذه التجارب الجديدة وغير التقليدية. وكان مفتاح نجاح همر شولد كمفاوض قدرته على الاحتفاظ بحركته وتفادي أن يضع نفسه في مأزق أو أن يدفع الآخرين بأن يلتزموا بمواقف علنية جامدة يصبح من الصعب عليهم تغييرها وتضييق حريتهم في المناورة. وهكذا كان دائماً يستطيع أن يحقق تقدماً في مواقف تبدو أن لا أمل فيها. قال عام ١٩٥٧ يصف أسلوبه في العمل «إنني يمكن أن أخطط للمستقبل، ولكن دائماً أضع

خطا بديلة» وكان إحساسه الحاد بالوقت يسمح له أن يبقى البدائل مفتوحة ويجد اللحظات الصحيحة. فكى يخلق خيارات جديدة وغير متوقعة لأطراف الصراع وحين يصل الوضع إلى طريق مسدود كان لديه موهبة أن ينسج مفهوما جديدا وبشكل يمكن لطرفي النزاع أن يستوعبوه دون أن يفقدوا ماء وجوههم. وهكذا يمكن أن نفهم المبدأ الخلاق الجديد المتمثل فى «وجود» الأمم المتحدة فى مناطق الصراع، وأهم من ذلك أجهزة «حفظ السلام» Peace Keeping التى كانت فى البداية رمزية كمحاولات لكسب الوقت واثاحة الفرصة للإدراك السليم والتصالح أن يتحقق وأن يجرى فى الباب الخلفى فى وقت وظروف لم تكن أطراف النزاع تقدر على الظهور وهم يدخلون من الباب الأمامى، وخلال هذه العملية تبدأ الأفكار ومنطق المصالحة يكتسب تدريجيا مضمونا وقبولاً.

وقد كان من الممكن أن يكون تأثير مواهب همر شولد العظيمة أقل بدون التأثير الشخصى الذى كان يتركه على معظم الناس الذين تعامل معهم فقد كان تكامل شخصيته وتنزهه ونقاء نيته واضحا حتى لهؤلاء. وكانوا كثيرين - الذين اختلفوا معه بقوة ورغم أنه لم يكن دائما محبوباً إلا أنه كان دائماً، ومع كل عالمية منصبه، فقد حافظ دائماً على نقاء طفولى وبراءة، ووصفه الرسميين فى الأمم المتحدة «لقد كان مثل ربح الشمال التى تكتسح بعيدا كل ما هو سيئ وتأتى بالجو الجيد».

ومنذ بداية عمله فى الأمم المتحدة أصر دائماً أن يكون فى المقدمة من حيث المسئولية. حدث هذا فى نضاله المبكر مع المكارثية وأصر فى هذه المعركة على مسئوليته الشخصية. وكان دائماً فى موقع الأحداث ومسرحتها بل كان يفضل أن يسبق قوات الأمم المتحدة مثلاً حدث فى أزمتات السويس ولبنان ولاوس والكونغو وكاتنجا. وقد تحمل المخاطر الساسية والجسدية إذا ماتصور أنها ضرورية كما كان لايشجع أى ترتيبات

خاصة من أجل سلامته الشخصية ولم يبدى أبداً أى اهتمام بها وكان مقتنعاً أنه ليس هناك بديل للاتصال الشخصى مع المشكلات والناس وبمجرد أن استقر فى نيويورك شرع فى برنامج زيارات لعدد من الدول ومناطق العالم ولم يتعب أبداً من رؤية بلاداً أو شعوباً أو حضارات جديدة وكانت رحلاته الطويلة ممتعة مثلما كانت واجبا ومسئولية.

ورغم عدم براعته فى العلاقات الشخصية غير الرسمية إلا إنه كان لديه نزعة لإقامة صلات على المستوى الإنسانى خاصة خلال جولاته الرسمية. وكان حب استطلاعاه واهتمامه الذى لا يكل بالأماكن الجديدة وطرق الحياة وحبه للتجول فى المدن والتقاط الصور يؤكد أنه يحصل على الحد الأقصى حتى من أقصر زيارة. وكان بالفعل يدرك خجله وبالتالي صعوبة إقامة علاقات شخصية سهلة ووجد أن «العائلة الشخصية»، ويعنى بها هيئة مكتبه تقدم له بالضبط مستوى الصداقة والتعاون والتأييد الذى يحتاجه فى عمله دون أن يكون فى هذا تطفلا على خصوصيته وسرعان ما أصبحت هذه المجموعة الصغيرة الصغيرة وظلت أساس وعماد حياته فى الأمم المتحدة وكان يستمتع بشكل كبير بدعابات هذه العائلة ولكن خارج هذه الدائرة لم تكن علاقاته سهلة دائما وكانت أحكامه على الناس يمكن أن تكون قاسية ولا يمكن الرجوع عنها، وغالبا ماتكون على أساس خطأ واحد أو سوء فهم وغالبا ما قاوم إلى حد الوقاحة - أى محاولة لاستغلال صداقته. ولم يكن يستخدم إلا قليلا المعاونين الذين لا يرقون إلى المستوى المطلوب من الزكاء والتكرس والاستعداد للتضحية بالراحة الشخصية وكان قادرا على أن يخرج الناس بشكل عميق بإعطائهم ثقته وصداقته لفترة ماثم يسقطهم فجأة أو يجمدهم. وكان فى إمكانه إذا ما استدعى الأمر أن يكون قاطعا إلى أقصى حد بل وأمام الآخرين وحين قال له أحد كبار المسؤولين فى الأمم المتحدة «إننى قادم لكى أودعك فى المطار رد عليه ببرود: «أى لطف». وكان حين يرى كثيراً من موظفى الأمم المتحدة فى جنيف

يقابلونه فى المطار ببادرهم بقوله «أنتم أيضا هنا كنت أظن أنكم مشغولون جدا»

نجد أن من ناحية أخرى كان على ولاء ثابت وفى بعض الأحيان، وعلى حسابه، لمعاونيه فى أوقاتهم الصعبة ولم يتردد أن يتحمل مسؤولية شخصية عند تصرفاتهم حتى لو كانت هذه التصرفات على غير مايتوقع.

ورغم مسؤوليات همر شولد وساعات عمله الطويلة إلا أن نظام حياته المنظم جدا قد أتاح له الوقت لاهتماماته الثقافية والتي كانت تمثل أوقات استجمامه الحقيقية، فقد كان همر شولد مهتما بشكل عاطفى بالأدب والدراما والرسم والموسيقى وكانت نشاطاته فى هذه الميادين حتى فى أوقات الأزمات مصدر حب الاستطلاع والإعجاب من الآخرين. وكان الأدب بوجه خاص يستوعب معظم وقت فراغه كما كان يضىء الجوانب الأخرى من حياته. كتب عام ١٩٥٥ بعد عودته من رحلة بكين: «إنه من العجيب كيف يمكن للخبرات أن تخصب فجأة كل منها الأخرى وفى وعى الباطن كان رد فعلى لمناظر بكين الطبيعية يضيف بالتأكيد نكهة لإحساسى بقصيدة سانت جون بيرز كما كانت تبدو بعد رؤية العديد وكأنها قصيدة جديدة لها صفة طاغية تعكس فى عناصرها المركبة روح هذا الجزء من العالم» وقد أخذت نشاطات همر شولد الأدبية ثلاثة مستويات: الاشتراك النشط فى الأكاديمية السويدية التى تمنح جائزة نوبل للأدب، وترجماته الخاصة، واستعداده الدائم لتقديم يد العون لحل مشاكل أدبية عديدة. وكان همر شولد منشغلا بتأثير الضغوط المعاصرة على الكتابة ونوعيتها وعلى الكتاب فقد كتب عام ١٩٥٧: «فى كل ثقافة شعبية حيث العلانية والعمل من أجل المبيعات وسيطرة فكرة أن الأحدث لابد أن يكون الأفضل تدنت هذه الثقافة إلى مستوى السلع الاستهلاكية والتى يمكن الاستغناء عن ماتقادم منها وهو مايمكن أن يؤدى إلى تصنيع الأدب Imdusterlireration

Of Literature ، الأمر الذى يفصل الذوق العام عن كل ما هو جوهري وحيوى. وفى وضع مثل هذا ولهذه الأسباب وربما لأسباب أخرى أكثر عمقا يجرى البحث عن كل ما هو جديد ومتوافق ويصبح أضعاف الأدب القديمة أمرا طبيعيا.. وقد طور هذه الفكرة قبل وفاته عام ١٩٦١ فى خطاب له إلى شاعر سويدي: «لأسباب عديدة أحاول أن أتبع بأفضل ما أستطيع ما يحدث فى الحقل الأدبي سواء بشكل عام وخصوصا فى السويد وفى المجموع فإن هذا الجهد ليس مجزيا جدا فئمة القليل جدا من التواضع والقليل جدا من الخضوع للهدف الحقيقى للفن والكثير جدا من البحث عن الاهتمام والتظاهر بالأساليب اللامعة الجديدة وأحيانا يبدو لى أن «تصنيع الأدب» قد تحقق ليس فقط من حيث الكم ولكن أيضا من حيث الكيف بمعنى أن الاهتمام الأساسى الآن هو أن يقدم السوق منتجا جديدا وميزته بالنسبة «للمستهلكين المرهقين» إذا ما استخدمت تعبير إعلان امريكى إنه «مختلفا» وأعتقد أن السبب فى هذا بسيط جدا فهؤلاء الذين لديهم شىء يقولونه ولديهم التكامل لى يقولونه ببساطة وبالبطريقة التى يجب أن يقال بها لم يعودوا كثيرين اليوم كما كانوا من قبل. وبوجه عام فإن التعليم العام قد خلق سوقا لا يشبعها الأدب الحقيقى الذى تنتجه هذه القلة من الناس ولذلك أصبح الحقل مفتوحا بشكل واسع لكل الطلاب المشغولين «بالكتابة الخلاقة».

وبالإضافة إلى الكتب السويدية كانت مكتبة همر شولد تضم مجموعات أدبية مختارة لأكثر الأعمال ذات المتعة الدائمة فى الإنجليزية والفرنسية والألمانية وتشمل الفلسفة والدين والاقتصاد، وكان يجمع الطبعات الأولى من الكتب المفضلة لديه بما فيها كل أعمال جوزيف كونراد وفورستر وكارول ولفنجستون وفيتزجيرالد ونيومان وديكنز وغيرهم كثيرون.

وقد توافق اهتمام همر شولد بجائزة نوبل للأدب مع ارتباطه وصداقته الأدبية مع الشاعر سانت جون بيرس Saint John Perse وكان يعرف

بيرس ويعجب بشعره حين قابله لأول مرة عام ١٩٥٥ من خلال السفير الفرنسي في الأمم المتحدة هنري هو بينوسس، وكما كتب عنه لاونو يويلرز سكرتير لجنة نوبل «إنه شاعر صعب جدا ولكنى شخصيا مقتنع إنه من نفس طبقة يتس أو جبريل ميسترال وبالإضافة لجانب الجمال الخالص لشعره هناك نوع من العظمة الجامحة Wild Grandeur في رؤيته والتي تبصر عن عصرنا بشكل أكثر من أى شاعر أعرفه اليوم..» «... ومع بداية عام ١٩٥٥ نشط همر شولد في تبني ترشيح بيرس لجائزة نوبل رغم اعترافه أن شعره معقد جدا بما يجعل أمر ترجمته لا أمل فيه.

وفي صيف عام ١٩٦٠ وبعد أن أنهى همر شولد ترجمته لعمل وجونا بمارنس: Amtiphon ترجم همر شولد إلى السويدية كتاب بيرس: Chro-nique الذى كان بيرس قد أهده له فى أكتوبر عام ١٩٥٩. وقد كان همر شولد فى ترجمته هذه يفكر فى جائزة نوبل لذلك قام بتوزيعها فى أغسطس عام ١٩٦٠ على أعضاء لجنة نوبل، وفى ٢٦ أكتوبر عام ١٩٦٠ منح بيرس جائزة نوبل للأدب ووسط كل ما كان يحيط بدورة الجمعية العامة عام ١٩٦٠ ترجم همر شولد فى خلال ليلة خطاب بيرس فى احتفال الجائزة إلى اللغة السويدية وشجع الشاعر W. H. Auden على تقديم ترجمة إنجليزية لها غير أنه لأسف همر شولد، لم يستطع أن يحضر احتفال استكهولم لتقديم الجائزة.

كذلك كان همر شولد مفتونا بفن الرسم المعاصر والنحت.

وقال فى خطاب فى الذكرى الخامسة والعشرين لمتحف الفن الحديث فى نيويورك «إن الفن الحديث يعلمنا أن نرى باختيارنا وأن نستخدم حواسنا وذكاءنا وحساسيتنا وأن نتبعه بطريقة استكشافية، إنه يجعلنا نتنبأ ونكتشف وهذا ما يجب أن يكون دائما إذا كان علينا أن نسود».

وقد قدم مقر الأمم المتحدة فى نيويورك لهمر شولد حقلا عمليا لاهتمامه بالفن المعاصر ولم يكن يتعب أبدا من السير حول المبنى والحديقة والتفكير فى طرق جديدة لتحسينها كما حاول أن يستفيد بقدر الإمكان من الهدايا الرسمية للحكومات والتي كانت غالبا غير متناسقة وأن يجرى عليها بعض التغييرات بإدخال وإضافة بعض الأعمال الفنية الأصلية.

أما تذوق همر شولد للموسيقى فقد كان قاسيا يسيطر عليه العداء للرومانسية، وكانت الموسيقى بالنسبة له مصدرا للاستجمام وقد فعل الكثير لأحيائها فى الأمم المتحدة. وفى عام ١٩٥٤ نظم من خلال منحة من توماس واتسون بناء مسرح موسيقى متحرك حيث كان من الممكن تحويل قاعة الجمعية العامة إلى قاعة لكونسرت تعمل بالكامل وكان يشارك يحرص تام فى تنظيم الحفل الموسيقى السنوى للأمم المتحدة ويختار الفنانين فى البرامج. كما أدخل تقليد عزف الحركة الأخيرة من السيمفونية التاسعة لبيتهوفن فى مناسبة لعام الأمم المتحدة وفى عامه الآخر وحين عزفت السيمفونية كاملة فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٠ وعزفها أوركسرا فيلادلفيا السيمفونية وصفها بأنها «تجسد الاعتراف الضخم بالإيمان بانتصار الروح الإنسانية والاخوة البشرية وهو الاعتراف الصالح لكل الأزمنة وتحتوى على عمق فى التعبير لم يتجاوزه أحد أبدا».

ورغم أنه كان عميق الجذور فى التقاليد الأوربية، إلا أنه كان يرحب دائما بالطرق والخبرات الجديدة ورغم خجله وحساسيته الشديدة إلا أنه كان يراعى الأخوة البشرية وإمكانياتها وقد وصفه هنرى هوبيتوت المندوب الفرنسى فى الأمم المتحدة بعد وفاته بقوله: «لن أضيف لكل ما قيل منذ غيابه عن خصائصه الظاهرة كإنسان: مجاملته التى لا تنضب، وطباعه الرحيمة، وحياته وأسلوبه الذى يخفى تحت نعومته حزمه غير المرن من أجل هدفه. وقد كانت بعض التقاليد الأوربية الرفيعة تجد ملجأ لها وتظل

حياة فى هذه الواحة التى ظلت محمية لأكثر من قرن ونصف من الحروب
والثروة وكانت روحه مثل قلبه مفتوحة لكل هذه الريح التى تحدث عنها
الشاعر الذى أحبه:

رياح بالغة العظمة على وجوه الأحياء

رياح عظيمة تعصف بكل قوافل هذا العالم

تجفف وتستنزف القحط والجذب فى قلوب الرجال

أما الصديق الذى فقدناه حيا ومتجدداً دائماً كما أن شيئاً لم يجف فى
قلبه والذى حمل منصبه أعلى مسئولية عرفها الإنسان والتى لم يتولاها أحد
بوضوح وشجاعة أكثر من ساعة رحيله إلى المرحلة الأخيرة على أعتاب
تلك الليلة الإفريقية.

أفكار همر شولد وفلسفته حول الأمم المتحدة

تولى داج همر شولد منصبه كسكرتير عام للأمم المتحدة وهو يحمل أفكاراً واقعية واضحة حول طبيعة ومركز وحدود المنظمة الدولية. وبعد توليه منصبه بعامين قال «إن الأمم المتحدة تعكس كلاً من الآمال والقصور عن تحقيق تلك الآمال، ولكن النضال المستمر لعبور الفجوة بين الآمال والأداء إنما يصنع الفارق بين المدنية والفوضى».

وقد اعتبر همر شولد أن الوظيفة السياسية الأولى للأمم المتحدة وجهدها اليومى هو التحكم فى الصراعات التى تهدد السلام وتهدئتها من خلال نظام من الوساطة والتوفيق الذى يتطور على أساس من المساواة والسيادة بين الدول وهذه الوظيفة الأولى سارت جنباً إلى جنب مع الجهد الطويل الأجل لتحقيق عدالة اجتماعية أوسع ومساواة بين الأمم والأفراد. كما كان يعتقد أن التقدم فى هذا الاتجاه يجب أن يستند على الاحترام النامى للقانون الدولى وعلى ظهور خدمة مدنية دولية حقيقية متحررة من كل ضغط قومى ونفوذ ويعترف بها على هذا النحو من جانب كل الحكومات. كما كان يدرك جيداً مناخ فقدان الأمل الذى يحيط بالأمم المتحدة، وبعدم الصبر الذى ينظر به بشكل متزايد لما تقوم به حول العالم.

وفى حفل تكريمه فى سبتمبر عام ١٩٥٣ قال «إن علينا أن نواجه عدم صبر هؤلاء الملاحين الذين يتوقعون أن يروا غدا الأرض فى الأفق،

وكذلك سخرية أو الشعور بالعقم من هؤلاء الذين سوف يسلمون ويتركونا
ننجرف بشكل عاجز، وعلى الشيطان لدينا هؤلاء الذين يبدو أنهم يشعرون
بالبهجة من نقد العاصفة التي تهب على الباخرة بدلا من الجو المحيط
بها.. إنه مازال علينا أن نبرهن على قضيتنا. وكان مغرما في مواجهة
نقاد الأمم المتحدة باقتباس عبارة بول فاليري «هؤلاء الذين يفضلون الغرق
على السباحة في الظروف التي يفرضها الماء» معبرا بذلك عن حقيقة
بسيطة وهي «حين نحاول تغيير عالما، علينا أن نواجهه كما هو». وقد
رحب همر شولد باختفاء الوهم المبكر أن الأمم المتحدة ستكون قادرة على
فرض السلام وفرض تسويات للمنازعات السياسية، وأعتقد أن تصورا أكثر
واقعية سوف يقدم نقطة بداية جديدة للمنظمة في عالم مضطرب، فإذا
كانت الأمم المتحدة لا تستطيع فرض السلام فليس هناك «تحالف قائم من
الأمم في عالم اليوم الذي يستطيع أن يفعل هذا» رغم حقيقة «أن سياسة
التحالف وسياسة التوازن تسيطر على انتباه الحكومات والشعوب كذلك»،
وفي ظروف الحرب الباردة وقتئذ فإن هذا كان يعنى عنده أنه رغم بحث
القوتين المتصارعتين عن الأمن العسكرى بما يتطلبه من ميزانيات سوف
يستمر خارج نطاق الأمم المتحدة، فإن العالمين الغربى والشيوعى كان
عليهما أن يتعلما العيش معا كبديل وحيد لحرب ثالثة تحارب بأسلحة نووية.
وفي مثل هذا الموقف أعتبر أن الأمم المتحدة يجب أن تكون قادرة على أن
تستجيب بشكل عملى وإيجابى لمأزق العالم باعتبار أن ميثاقها كان تعبيرا
عن الهدف الأخلاقى الذى يمكن أن يتفق عليه الجميع. كما كان همر شولد
يعتقد أن المنظمة قد قدمت رغم الحرب الباردة مكان اللقاء ومركزا
للتصالح وكذلك لتخطيط البقاء للمستقبل، وهى بهذا المعنى كما عبر
همر شولد «جهاز يسمح فيه للأيدلوجيات أن تتصادم داخل الإطار الأوسع
من الوحدة الأساسية حول هدف السلام» وهى منظمة قد خلقت «لا من
أجل أن تأتى بنا إلى الجنة ولكن من أجل أن تنقذنا من الجحيم».

ومثلما المحنا من قبل، فحين جاء همر شولد كان المشروع الشامل للنظام الدولي يواجه الإحباط، مجلس الأمن قد تجمد إلى ما يقرب انعدام الحركة حول العديد من المشكلات الهامة نتيجة للحرب الباردة، والجمعية العامة تسيطر عليها الأغلبية التلقائية للولايات المتحدة، أما جهاز السكرتارية بما كان يمثل من خدمة دولية وليدة، فقد كان يمر بحالة من هبوط المعنويات خاصة وأنها كانت مفهوما دوليا جديداً وكانت فكرة خدمة مدنية دولية غير مقبولة تماماً من الحكومات، ووزارات خارجيتها، وكان هناك ميل للنظر إلى الرسميين الدوليين ككتبة وبيروقراطيين من الدرجة الثانية ومتطفلين على الحقوق المشروعة للحكومات والسيادة الوطنية. كذلك ضاعفت أزمة السكرتير العام السابق ترجفى لى وعدم اعتراف الاتحاد السوفيتى به من مشكلة السكرتارية فى نفس الوقت الذى أصبحت فيه ساحة للتيار المعادى للشيوعية من جانب سلطات الولايات المتحدة الأمريكية وتعقبها لموظفيها حتى الأمريكيين منهم.

أما منصب السكرتير العام وبوضعه الخطير والخطر على قمة هذا الجهاز فقد كان أبعد ما يكون قد تأسس على أسس ثابتة وآمنة. فقد أسند له الميثاق ضمن مواد قصيرة: ٩٧ - ١٠١، وظيفتين رئيسيتين فهو الموظف الإدارى الرئيسى للمنظمة وهى وظيفة يمكن أن تستهلك فى ذاتها كل وقته.

غير أنه بابتعاد جذرى عن المفهوم غير السياسى للسكرتير العام كما تصوره واضعوا ميثاق عصبة الأمم، فإن ميثاق الأمم المتحدة قد أسند إليه وظيفة سياسية مبهمة ولكنها بعيدة الأثر، وكانت المادة ٩٩ من أكثر المواد تحديداً فى هذا الشأن فقد أعطت للسكرتير العام الحق فى أن يضع أمام مجلس الأمن أى مسألة تهدد فى رأيه الحفاظ على السلام والأمن الدوليين، وبهذا أصبح السكرتير العام - بين أمور أخرى - تجربة جديدة فى الدبلوماسية المتعددة الأطراف واتجه الجانب السياسى فى عمل السكرتير العام إلى أن يغلب على وظائفه الإدارية. وحين وصل همر شولد إلى

نيويورك عام ١٩٥٣ كان مسئولاً عن هيئة تعدادها ٥٧٠٠ موظف من ٦٧ جنسية مبعثرين في العالم كله، ومع عام ١٩٦١ بلغوا ٧٠٠٠ موظف من ٨٧ دولة.

من ناحية أخرى لم يكن همر شولد المرشح الذي تسانده الولايات المتحدة. وكان أول ما واجهه هو أن يتساءل بل وحتى أن يتحدى الكثير من إجراءات الولاء الداخلي الأمريكي. كما لم يبد أنه لم يكن يرى الأمور الصعبة من وجهة نظر واحدة مع المندوب الأمريكي كابوت لودج. كما لم يكن وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس ميالا في البداية لأن يأخذ السكرتير العام الجديد مأخذ الجد كما كان من الواضح أن المؤشرات الأولى تقول إن هذا السويدي الهادئ ذو المظهر الشاب له أفكار قوية حول ما هو صحيح وما هو خاطيء وهي الأفكار التي استثارت دالاس. كما كانت زيارة السكرتير العام الجديد لواشنطن في ٦ مايو عام ١٩٥٣ على مستوى ضعيف وغير هامة فيما عدا الوقت الذي استقبله فيه ايزنهاور الذي يبدو أنه قد تفهم أصرار السكرتير العام على حقه في الحكم المستقل. أما في لقائه مع دالاس فبعد تبادل محبط لوجهات النظر ذكر له همر شولد صراحة أن الرأي العام الأمريكي يجب أن يكون راضيا إذا نجحت الأمم المتحدة في أن تكون هيئتها على الحياد السياسي، وخلال هذه المقابلة لم تناقش أي مسائل سياسية، وقد غادر همر شولد واشنطن بلا أي أوهام حول مركزه في العاصمة الأمريكية.

ومن المفارقات أن علاقة همر شولد مع الاتحاد السوفيتي قد بدأت بشكل أكثر سلاسة منها مع الولايات المتحدة وخاصة حول المسائل المتعلقة بأفراد

(*) تنص المادة ١٠١ على:

١ - في أدائهم لواجباتهم فإن السكرتير العام وهيئة السكرتارية لن يطلبوا أو يتلقوا تعليمات من أي حكومة أو سلطة أخرى خارج المنظمة وسوف يمتنعون عن أي عمل يمكن أن ينعكس على مركزهم كموظفين دوليين مسئولين فقط أمام المنظمة -

الأمم المتحدة وموظفيها وحصاناتهم في مواجهة الإجراءات الأمريكية، غير أن سلاسة هذه العلاقة مع الاتحاد السوفيتي لم تمنع همر شولد من اتخاذ مواقف حازمة، فقد كان المندوب السوفيتي فيشنسكى قد رشح اسما سوفيتيا لشغل منصب كبير في سكرتارية الأمم المتحدة وقد اعترض عليه همر شولد لصغر سنه - ٣٥ عاما - الأمر الذي رآه همر شولد إضعافا لهذا المنصب كما أنه حسب تعبيره لن يشتري Acat in the bag والذي لم يتح له حتى فرصة إجراء مقابلة معه وعندما رد فيشنسكى أن همر شولد نفسه كان: Acat in the bag ، رد «همر شولد أنه لم يكن من الصحافة من الاتحاد السوفيتي أن يقبل ذلك خاصة وأن هذه القطة قد ثبت أن لها طريقها الخاص. وقد قبل فيشنسكى هذا التناول بابتسامة عريضة وقبل اقتراح همر شولد بترشيح سفير الاتحاد السوفيتي في استكهولم لهذا المنصب. وقد استمرت علاقة همر شولد بمندوب الاتحاد السوفيتي تتسم بالود حتى وفاة فيشنسكى عام ١٩٥٤.

وقد كان من أكثر المسائل التي واجهته إلحاحاً ما كان يتعلق بمكانه ومستقبل سكرتارية الأمم المتحدة وأدائها. وفي عاميه الأولين أخذت أعماله الإدارية الأولوية على أى شىء آخر.

وقد عالج مشكلات سكرتارية الأمم المتحدة من خلال تقليد سويدي ناضج حول الخدمة المدنية غير السياسية، وربما بدون هذا التقليد، فإنه كان سيواجه حتما بخيبة أمل قد تقعد غيره عن المحاولة غير أن همر شولد لم يتخل أبداً عن الصراع من أجل بناء جهاز السكرتارية وفاعليته

٢ - يتعهد كل عضو في المنظمة أن يحترم الطابع الدولي الخالص لمسئوليات السكرتير العام وهيئته وأن لا يسعوا إلى التأثير عليهم فى أدائهم لمسئولياتهم. وتنص المادة ١٠١:

إن الاعتبار الأعلى فى تعيين هيئة السكرتارية وتحديد شروط الخدمة سيكون ضرورة ضمان أعلى مستويات الكفاءة والاختصاص والتكامل، وسوف يعطى الاهتمام الكافى لأهمية تعيين هيئة السكرتارية على أساس جغرافى واسع بقدر الإمكان.

واستقلاليتها، وفي عامه الأخير وجد نفسه مرة أخرى يحارب من أجل مبدأ الاستقلال في دفاعه عن منصبه هو وقد كان واضحا منذ البداية أنه في منظمة تتكون من دول متنافسة ذات سيادة فإن بناء وأداء خدمة مدنية دولية مدنية كانت مشكلة طويلة الأجل وليس لها حلول سريعة وسهلة، وقد ذكر في ديسمبر عام ١٩٥٣: «في بعض الأحيان حين أنظر إلى الأمام فإن المشكلات التي تثيرها حاجتنا لتطوير خدمة دولية مدنية مستقلة حقا تبدو لي أمراً يتجاوز القدرة البشرية. غير أني أعلم أن هذا ليس كذلك.. إننا في الوضع المحفوظ للرواد وكل شعب له مستوياته في الحكم على الأشياء وأخلاقياته وقيمه الخاصة وقوانينه الخاصة للسلوك، إننا فقط في البداية الأولى في تنمية مثل هذه المستويات داخل المنظمة».

وفي الحديث عن جهود وعلاقة همر شولد بجهاز السكرتارية ونظرته إلى دوره في البناء الأشمل للمنظمة ودوليا تجدر الإشارة إلى المحاولة الأولى لبناء سكرتارية دولية والتي جاءت من جانب سكرتير عام عصبة الأمم السير اريك درموند. Eric Drummond والتي كانت في ذاتها تجديدا جذريا في الشؤون الدولية. أما في نطاق الأمم المتحدة، فقد كشفت المناقشات التي جرت في اللجنة التحضيرية للمنظمة عام ١٩٤٥ عن وجهتي نظر مختلفتين، حول المسائل الحاسمة لتعيين أفراد السكرتارية وضمان حرية واستقلال الطابع الدولي للسكرتارية وفقا للمادة ١٠٠، ١٠١ من الميثاق(*) وقد ألفت وجهة نظر الأولى مسئولية متفردة على السكرتير العام، وكانت هذه هي وجهة نظر الأغلبية، أما وجهة النظر الثانية فقد اعتبرت أن التعيين يجب أن يكون خاضعا لموافقة الحكومات المرشحين وهي وحدها التي تتحقق من مؤهلاتهم.

ورغم أن الأغلبية اعتبرت أن مثل هذا الأسلوب سوف يدمر استقلال السكرتارية إلا أنها قد انتهت إلى أن الإدراك السليم يتطلب أن يكون موظفي السكرتارية مقبولين بقدر الإمكان من حكوماتهم ولكن دون أن

يكون هناك نص يعطى للحكومات حقوقا خاصة فى هذا الشأن أو يسمح بالضغط السياسى على السكرتير العام.

وفيما يتعلق بالاتجاه العام لهمر شولد فقد كان مقتنعا بأن فعالية الأمم المتحدة كمنظمة دولية قادرة على تلبية مطالب عالم يتكون من حكومات مستقلة ذات سيادة، سوف يعتمد إلى حد كبير على مقاومة أى محاولة من جانب الحكومات للتدخل وممارسة ضغوط على السكرتارية الدولية.

أما علاقة همر شولد بأجهزة الإعلام وممثليها وخاصة الصحافة فقد كان رغم حرصه - وخاصة فى الجوانب السياسية - على أن يبقى على ثقة الحكومات وعلى أن لا يجعل العلانية تؤثر على هذه الثقة، إلا أنه كان يدرك أيضاً أهمية الصحافة فى عمل المنظمة، ولم يكن يود أن يخيب آمال الصحفيين فيه، ولذلك خاطبهم فى مؤتمره الصحفى الأول بقوله: «سوف أقول لكم بكل علانية كل ما أستطيع أن أقوله دون أن أضرب المصالح التى يجب أن أخدمها، وسوف أقبل بامتنان، وسوف أتعلم من كل أنواع النقد من جانبكم طالما كانت قائمة على الحقائق، وتوجه بإحساس بالمسؤولية التى أعلم أنها توجهكم جميعاً». وقد أدرك همر شولد منذ البداية أن الإعلام وأخباره يشكل عنصراً جوهرياً فى جعل الأمم المتحدة فعالة، وأن علاقته معهم حاسمة بالنسبة لأدائه، فى نفس الوقت كان يدرك أثر العلانية، مهما كانت مؤيدة، وتعارضها مع الدبلوماسية الهادئة والفعالة، قد بذل سلسلة من المحاولات لحل هذه المعضلة. وفى مؤتمره الصحفى الأول طلب من المراسلين أنفسهم أن يقترحوا طرقاً لحل مشكلة العثور على «توازن مناسب بين رغبتى فى مساعدة الصحافة وخدمة رأى العام من ناحية، ومن ناحية أخرى فى أن أتمكن من العمل وأن أعيش فى أكبر قدر من الهدوء الممكن». وقد تطور تذوق همر شولد للمؤتمرات الصحفية والاستمتاع بالتحدى الفكرى والإجابة على الأسئلة، والتى نادراً ما تجنبها، دون أن يتخلى عن حرصه وفطنته أو خرقه للثقة، وقد تمكن من ذلك خلال

تطويره لأسلوب من استخدام الاستعارات والتجريد وأسلوب يجمع ما بين الشرح والتفصيل وبين الغموض، ورغم أنه كان يبدو أسلوباً لامعاً إلا أنه كان من الصعب استيعابه، كما كان يبدو صريحاً ومباشراً إلا أنه لم يكن يقدم ما يشبع الصحفيين من معلومات. وقد أثار هذا الأسلوب إعجابهم وتذمرهم في نفس الوقت حيث كانوا يجدون أنفسهم في نهاية المؤتمر الصحفي والذي نوقشت فيه أمور هامة دون أن يخرجوا بأنباء مثيرة والقليل مما يمكن أن يكتبوا عنه. وبعد وفاته قدم له الصحفيون تحية كان سوف يقدرها «استمتعنا بعلاقة خاصة مع السكرتير العام الذي دائماً ما أشار إلى الصحافة كجزء مكمل للأمم المتحدة. نحن فخورون بهذه العلاقة، وقد عرفناه أيضاً كرجل عظيم وأصبحنا نحمل له احتراماً عميقاً وعاطفة». وقد أنشأت رابطة المراسلين صندوق همر شولد التذكاري لدعوة شباب الصحفيين من الدول النامية لمقر الأمم المتحدة.

وفي أدائه لوظيفته كسكرتير عام للأمم المتحدة وفي تصوره لهذا المنصب ودوره ومسئوليته كان همر شولد يقيم علاقة وثيقة بين فعالية هذا المنصب واستقلالية صاحبه وثقة الحكومات فيه وبين دور المنظمة الدولية واحترامها وقدرتها على القيام بمهامها وتحقيقها للمبادئ الأصلية لميثاقها في الحفاظ على السلام والأمن الدوليين في تحقيق المساواة والعدالة الدولية. وقد رأينا كيف كان من أول مهام أو تحديات همر شولد بناء جهاز سكرتارية الأمم المتحدة واستعادة الثقة فيها. وفي نفس الوقت تأكيد استقلالية أفرادها وثقتهم في أنفسهم ورفع معنوياتهم وهو أمر كان أيضاً يربط بينه وبين ما يكون عليه السكرتير العام نفسه من ضعف أو قوة. ومنذ البداية كان لدى همر شولد وجهات نظر محددة حول ما يجب أن يفعله وأكثر من هذا حول ما لا يجب أن يفعله، كما كان يدرك تماماً أن السكرتير العام يمكن أن يكون فعالاً ومستقلاً فقط طالما كان لدى الحكومات ثقة كاملة في موضوعيته واستقلال حكمه. فإذا ما شعر أنه مضطر تحت

ظروف طاغية لاتخاذ موقف سياسى علنى - كما فعل همر شولد ذلك فى أزمات السويس والمجر والكونغو، فإنه كان يفعل ذلك وعينه على قيمته فى المستقبل كوسيط مقبول وعلى نزاهة مواقفه واستقلاليتها.

وقد تحرك همرشولد ببطء مقصود فى تطويره للإمكانيات السياسية لمنصبه وأمضى عاميه الأولين فى هدوء وبلا تطفل فى تعلم وظيفته وفى التعامل مع المشكلات العاجلة للسكرتارية وفى إعادة تأسيس مركزها ومعنوياتها وإتجاهها وبناء ثقة وتفهم - الحكومات لدورها، ورغم أنه لم يسع إلى الانغماس فى القضايا السياسية إلا أنه لم يتهرب منها حين كانت تتطلب وجوده وكان هذا الوجود ضروريا. وفى مناقشته لقدراته على المبادرة ذكر فى عام ١٩٥٤ «أساسا فإن مسئولية السكرتير العام كما أراها هى أن يستخدم أى حق قد يعطى له أو يقذف له به بأقصى قدر من المرونة ويرد فعل سريع جداً لأن الوقت يعنى الكثير جداً فى هذه الظروف.. إن مبادرة السكرتير العام هى من حيث المبدأ عمل مكمل، فحين تصل الحكومات إلى طريق مسدود فإنه قد يكون الشخص الذى يمكن أن يساعدهم وأن يخرجهم من هذا المأزق أما إذا تمكنت الحكومات من أن تمسك زمام الأمور وتتفادى المأزق واستمرت فى مناقشاتها واتصالاتها المباشرة فإن على السكرتير العام أن يقف فى الخلف وليس لديه أى سبب أن يقفز إلى المسرح أو أن يحل محل أى حكومة مسئولة».

وكانت أفكار وتصوره همر شولد لمنصب ومسئوليات وإمكانيات ودور السكرتير العام تستند أساساً على تفسيره للمادة ٩٩ من الميثاق والتي تخول السكرتير العام أن يلفت نظر مجلس الأمن لأى مسألة قد تهدد فى رأيه الحفاظ على السلام والأمن الدوليين وقد ذكر لجمع من المستمعين فى لندن عام ١٩٥٤: «أن المادة ٩٩ هى شىء جيد ولكنها لا تذهب بعيداً بما فيه الكفاية. إن المادة ٩٩ تخول للسكرتير العام الحق فى أن يبادر فى مجلس الأمن حين يشعر أن هناك تهديداً للسلام والأمن ولكن الأهمية

الحقيقية هي أنه مهيب ومن حقه أن يقوم بهذا النوع من المبادرة. والأهمية الحقيقية لهذه المادة هي أنها تعنى أن حكومات الأمم المتحدة تتوقع من السكرتير العام أن يتخذ مسئولية مستقلة بغض النظر عن اتجاهاتهم لكي يمثل العنصر المتجرد وغير المتحيز في الحياة الدولية للشعوب وفي بعض الأحيان سيكون عليه أن يعرب عن رغبات الشعوب ضد هذه الحكومة أو تلك.

وقد بدا هذا المفهوم المحافظ نسبياً لقدرات السكرتير العام على المبادرة السياسية بخبراته في قضية المسجونين الأمريكيين في بكين ودوره في أزمة الشرق الأوسط عام ١٩٥٦. وفي عام ١٩٥٧ وصف دور السكرتير العام والسكرتارية بالاستشهاد بالفيلسوف الصيني Sung Tzu وأتباعه:

«دائماً يقابل بالزجر ولكن ذلك لا يثبطه أبداً، إنهم يسعون من دولة إلى دولة يساعدون الناس على تسوية خلافاتهم ويحاربون ضد هجومات جائر ويدعون إلى إلقاء السلاح وكبحه، حتى يمكن للعصر الذي يعيشون فيه أن يتخلص من حالة الحرب الدائمة. من أجل هذه الغاية فإنهم يقابلون الأعداء ويحاضرون عامة الناس، وقد لا يحققون النجاح في الحال ولكنهم يواصلون بعناد مهمتهم حتى يرهق الملوك والعامة من الاستماع إليهم إلا أن هذا لا يردعهم ويواصلون فرض أنفسهم على اهتمام الناس».

في سنواته الأولى كسكرتير عام تحدث همرشولد عن قيمة «الدبلوماسية الهادئة» كمحرك، لدبلوماسية الأمم المتحدة، وقد حدد الدبلوماسية الهادئة على أنها «الدبلوماسية التي تستطيع فيها أن تضمن الفوارق الدقيقة فيما تقول بكل الثراء الممكن في الحديث الخاص وحيث تستطيع أن تتراجع دون أي مخاطر من فقدان ماء الوجه وحيث تستطيع اختبار الأفكار وليس تقديم مقترحات».

ومع عام ١٩٥٩ وبعد ست سنوات من الخبرة العملية طور همرشولد

أفكاره إلى أبعد من ذلك وربما أبعد مما سوف تبرره الأحداث المقبلة «إن فلسفة الميثاق كما تعكس في المادة ٩٩ تعطي السكرتير العام إمكانيات سياسية ودبلوماسية واسعة لعمل ذي طبيعة أقل رسمية وعلانية، وفي نطاق هذه الإمكانيات رأينا تطوراً مستمراً جداً في السنوات الأخيرة.. إنى أعتقد أن من واجبه أن يستجيب دون اعتبار للمخاطر إلى الحد الذى يطلب منه إلى الدول الأعضاء وفقاً لروح الميثاق مساعدته في هذا الشأن. لقد حاولت أن أفعل هذا ومنه نمت علاقة جديدة ومشجعة بين السكرتير العام والحكومات الأعضاء.. دعونىؤكد أن أيا كان القصور فسوف أفعل ما أستطيع لى أطور المنصب فى ضوء مواد الميثاق إلى مستو عالمى من الفائدة للحكومات وبالقدر الذى تسمح به الظروف». وأمام ما يفتقده السكرتير العام من سلطة إلا أن هناك ما يعوض هذا النقص، فلأنه ليس لديه مجموعة ضغط خلفه، ولا أرض ولا برلمان بالمعنى العادى للكلمة فإنه يستطيع أن يتحدث بحرية أكثر وصراحة أعظم وأن يقترب من الحكومات ببساطة أكثر.. «وبشرط توفر خط سياسى واضح من جانب الجمعية العامة ومجلس الأمن، فإن الافتقار إلى وسائل الضغط «يمثل ضعفاً حضارياً ولكن يعوض بحرية العمل وحرية التعبير وهو الحق الذى يستطيع السكرتير العام أن يعطيه لنفسه وأنا سعيد أن ألاحظ أن الحكومات أيضاً تمنحه له». وقد ثبت مرة أخرى أن هذا كان تقديراً مسرفاً فى تفاؤله.

وبعد إعادة انتخابه عام ١٩٥٧، طور همر شولد بثبات تصور دور نشط للأمم المتحدة من خلال إثبات ما يمكن للمنظمة أن تفعله. فقد ذكر عام ١٩٥٩: «إن خط السياسة كما أراه هو أن الأمم المتحدة ببساطة يجب أن تستجيب لهذه المطالب التى تفتقر لها فإذا كانت هذه المطالب أبعد من القدرات المالية للمنظمة فإن هذا من وجهة نظرى ليس سبباً فى أن أقول لا، ذلك أنى لا أستطيع أن أعرف القدرة الحقيقية لهذا الجهاز، لقد استجبت لأزمة السويس وصعدت تلالها الشديدة الانحدار، وتستطيع المنظمة أن

تتولى أزمات أخرى مماثلة..... إن إتجاه سياستى يظل.. إن الأمم المتحدة يجب أن تستجيب وأن يكون لها ثقة فى قوتها.

وقد كان همر شولد مقتنعا وبشكل متزايد أنه فى المجال السياسى فإن الأمم المتحدة يجب أن تركز على العمل الوقائى Preventive أكثر من العمل التصحيحي Corrective والذي كان أقل فعالية وأكثر تكلفة فى المدى البعيد. وقد طور هذه الفكرة خطوة أبعد فى تقديمه لتقريره السنوى عام ١٩٦٠ «إن هذه الجهود «لمنع الصراع» يجب أن تهدف إلى إبقاء الصراعات الناشئة حديثا خارج نطاق خلافات التكتلات، وأكثر من هذا فإنه فى حالة الصراعات التى تقع على هامش خلافات التكتلات، فإن الأمم المتحدة يجب أن تعمل لإخراج هذه الصراعات من هذا المجال من خلال حلول تهدف فى المحل الأول إلى حصرها فى نطاقها المحلى بشكل صارم، فالعمل الوقائى فى مثل هذه الحالات يجب فى المقام الأول أن يهدف إلى ملأ الفراغ حتى لا تملأه أى من القوى الكبرى. ودخول الأمم المتحدة فى الصورة إنما يقوم على أساس عدم ارتباطها بأى كتلة. إن الحاجة والإمكانية الخاصة لما أسميه هنا دبلوماسية الأمم المتحدة الوقائية قد أثبتت نفسها فى حالات حديثة فى السويس وغزة ولبنان والأردن ولاوس والكونغو».

وباستقلال المزيد من البلدان والنمو المضطرد لعضوية الأمم المتحدة، رأى همر شولد المنظمة أكثر وأكثر كمدافع عن الأمم الصغيرة وكنقطة تجمع لها فى عالم مازالت تسيطر عليه القوى الكبرى وقد شعر همر شولد بأن الدول الصغيرة وبالتجمع معا فإن الأمم المتحدة يمكن أن تجعل صوتها مسموعا فى الحوار من القوى الأعظم. وقد كتب عام ١٩٦٠ «إن الأمم المتحدة قد أصبحت بشكل متزايد المنبر الرئيسى والحامى لمصالح الدول الفقيرة الكثيرة التى تشعر بقوتها كأعضاء فى العائلة الدولية ولكنها ضعيفة فى عزلتها. إنها تنظر إلى المنظمة المتحدة كمتحدث وكممثل للمبادئ التى

تمنحهم القوة فى المجتمع الدولى والذى تستطيع فيه أصوات أخرى أن تحرك كل الثقل والقوة المسلحة والثروة، والدور التاريخى، وهذا النفوذ الذى يمثل الجانب الآخر للمسئولية الخاصة بالسلام والأمن» وذهب همر شولد إلى أن بزوغ مجموعة من الدول، المستقلة قد خلق قوة جديدة فى السياسة الدولية والتى هى إلى حد ما تعويض عن فشل القوى العظمى التقليدية فى تحمل مسئوليتها كنفوذ موجه فى المجتمع الدولى» .

وبعد حديثه هذا عن القوى الصغيرة ومكانها فى المنظمة وحين طالبه بعده بشهور خروشوف بالاستقالة كانت هذه الدائرة من الدول الصغيرة والمتوسطة هى التى اعتبرها همر شولد المدافعة عنه والتى احتكم إليها واعتبرها الحكم النهائى فيما وجهه إليه من اتهامات. وقبل وفاته بعدة شهور قال «أستطيع أن أقول إننى أرى مستقبل هذه المنظمة إلى حد كبير كجهاز يحترم فى المقام الأول مصالح البلدان الصغيرة والتى بدونها لن يكون لها منبر تتحدث منه فى الشئون الدولية، ومع هذا فإن هذه الدول الصغيرة تتعاون بشكل وثيق مع القوى الكبرى داخل المنظمة» .

وفى تنفيذه لعمليات حفظ ووقاية السلام تحول همر شولد بشكل متزايد للقوى الصغيرة والمتوسطة وممثليهم من أمثال لستر بيرسون ممثل كندا، وهانز انجت ممثل النرويج وفرديريك بولاند الايرلندى ومنجى سليم التونسى والذين كانوا بالنسبة له رجالا ذوى مبادئ عالية وعمليين يمكنهم تقديم العون والفهم والذى يجعل من الممكن إنشاء والمحافظة على هذه الآليات الجديدة والمعقدة لعمليات حفظ السلام.

غير أنه فى نفس الوقت كان يدرك أنه فى نهاية الأمر فإن موافقة القوى العظمى ولو الضمنية كانت حاسمة. وكان نشاط همر شولد المضطرب ومبادراته قد وضعت على طريق ملء بالأخطار بين إحساسه الخاص بالمسئولية وبين مصالح وحساسيات القوى الكبرى. وبشكل متزايد كان

يرى ويفسر مسئولياته كواجب لاستخدام منصبه ونفوذه للتغلب على الجمود وعندما تصل الأمور إلى طرق مسدودة يمكن أن تؤثر على سلام العالم، فبالدبلوماسية الشخصية Privare Diplomacy في لبنان ولاوس، قام بمخاطر محسوبة حول مدى المبادرة التي يمكن أن تتسامح معها القوى الكبرى. وقد كانت المخاطر كبيرة في هذا الشأن باعتبار أن أحد أهدافه كان الإبقاء على المشكلات الدولية بقدر المستطاع خارج نطاق الحرب الباردة وقال عام ١٩٥٩: «إنني اعتبر أن من الوظائف الطبيعية للسكرتير العام هو الإبقاء على المشكلات بقدر الإمكان خارج محيط الحرب الباردة لعدة أسباب: أحدها أنها إحدى الطرق التي يمكن التغلب بها على الصعاب التي تخلفها الحرب الباردة أمام الأمم المتحدة وعملياتها لحفظ السلام، كما أنها إحدى الطرق، إن لم يكن لإزالة جليد الحرب الباردة، فعلى الأقل للحد من تأثيرها على الحياة الدولية». إلى أي مدى كان يمكن أن يذهب في تفسيره لحقوقه وفقا للميثاق دون أن يستثير معارضة العمالقة؟ كان ذلك نوعا من المغامرة التي تضمنت وتطلبت عبقرية في الأداء والإجراءات مثلما حدث حين عرض الوضع في لاوس أمام مجلس الأمن من خلال تقديم تقريره وليس من خلال المادة ٩٩ والعديد من التجديدات العملية مثل «وجود الأمم المتحدة، وإيجاد ممثلين شخصيين للمناطق ذات المخاطر المحتملة» بهدف مساعدة الحكومات في جهودها قبل هذه النشاطات بما فيها النص على «المساعي الحميدة» في النزاعات بين الحكومات والتي كان يقوم بها في بعض الأحيان بدون تفويض محدد من مجلس الأمن رغم أن أعضائه كانوا يحاطون علما بهذه المساعي.

ولوقت ما بالغ همرشولد في المدى الذي يمكن لبعض الحكومات أن تتسامح مع نشاطه وقال عام ١٩٥٩ «إنه ليس عن طريق كبت وجهات نظره ولكن عن طريق تكوين وجهات نظره على أساس مستقل والمحافظة عليها بشكل دائم ومتناسك يستطيع السكرتير العام أن يكتسب الثقة التي

يعتمد عليها وباتباعه لمثل هذا الخط المستقل فقد يثير غضب وخصومة مجموعة اليوم والأخرى غداً ومجموعة ثالثة بعد غد غير أن هذا لا يجب أن يقلقه إذ سوف تدرك الحكومات الأعضاء أنها سوف تكسب كثيراً وتخسر القليل من استقلال السكرتير العام في الصراعات الدولية، وهكذا فإن خلق العلاقة الصحيحة مع الدول الأعضاء والإبقاء عليها دون استثناء ليست مضرة لتكامل السكرتير العام بل على العكس إن مثل هذه العلاقة إنما تعتمد على تكامله.

وعلى عكس ما كان يأمل همر شولد ويتصور، فقد ثبت أن استقلاله، وأكثر من ذلك تكامل شخصيته وسلوكه، كان أمراً غير مقبول لبعض الحكومات.

ولم يكن همر شولد يتردد في الأعراب على أفكاره حول تطوير سلطات منصبه وحين قدمها في تقديمه لتقريره السنوى لعام ١٩٥٩ كان يتوقع أن تكون موضع تحدٍ كامل غير أنه لدهشته كان كريشنا مينون الوحيد الذى توقف عندها في الجمعية العامة قائلاً عن حق تماماً، إنها تمثل فلسفة سياسية ونظرية لها تأثير هام على مستقبل الأمم المتحدة الأمر الذى لم يلق اهتماماً مناسباً من الجمعية العامة. وكان همر شولد فى خطاب له فى كوبنهاجن عام ١٩٥٩ والذى أشار له بعد ذلك بأنه دليل مختصر Little Hand book فيما يتعلق بممارسات الأمم المتحدة، وتاريخ الأمم المتحدة وفنون الأمم المتحدة «يهدف إلى إظهار «أى إمكانيات توجد فى المنظمة»، وفى هذا الخطاب طور همر شولد فكرة تملك الأمم المتحدة وجوداً وإمكانات العمل مستقلة عن إرادات وسياسات الدول الأعضاء. هذه الإمكانيات تنبع من الوضع المستقل للأمم المتحدة ومن مواقعها المستقلة عن المواقف التى تشيع لهذا الطرف أو ذاك وهى تعتمد أولاً وأخيراً ولا يسيطر عليها إلا الأهداف المبينة فى الميثاق.

وقد كانت هذه الآراء أمراً مستفزاً للكثيرين إذ اضطرب بعد أيام أن يوضح أنه لم يكن يقصد بهذه الأفكار أن تكون اقتراحات من جانبه فقد ذكر لمؤتمر صحفى «لقد كنت أوضح أى إمكانات تمتلكها الأمم المتحدة دون أن يعنى هذا أن هذه الإمكانيات يجب استخدامها».

غير أن همر شولد كان يتقدم لوضع أفكاره موضع التنفيذ حينما يشعر أن الموقف يتطلب ذلك، وكان يفعل هذا بافتراضه أن نوعاً ما من النظام والضمير الدولى يتشكل فى الأمم المتحدة، وإنه - السكريتير العام - فى أفضل موقع لكى يكون المتحدث، بل وحتى المنفذ؛ لأنه بطبيعة منصبه وانتخابه كسكريتير عام قد ارتفع فوق الصراعات التى تقسم المنظمة. غير أنه حين جذبته التيارات المعاكسة والمتعارضة لأزمة الكونغو إلى صراعات الحكومات الأعضاء فإن مفهومه للنظام الدولى الجديد بدأ يواجه معارضة عنيفة.

وقد طور همر شولد الخط الذى عبر عنه فى كوبنهاجن بعد ذلك بعام فى خطاب له فى شيكاغو قائلاً إن وضعه باعتباره الموظف الدولى الأول والممثل لكل الحكومات قد دفعه إلى نشاطات دبلوماسية حرة وسياسية متزايدة وواسعة. وفى المراحل الأولى من هذا التطور فإن هذه النشاطات كانت يجب أن تكون «على أساس شخصى تماماً» وفى صورة تجريبية «ولكن فى المدى الطويل فإنه من المحتمل أن تتطلب تجديداً دستورياً بناءً وذا خيال» وقد كان طريقاً مليئاً بالمعانى المعقدة والأخطار وحيث «ثبات الهدف ومرونة الأسلوب هما وحدهما الضمان أن ما تستكشفه من إمكانيات سوف تختبر بشكل كامل».

وحين جاءت العاصفة فى نهاية عام ١٩٦٠ كانت عنيفة وقضى همرشولد معظم العام الأخير له فى الدفاع عن أفكاره وأعماله ولم يكن الاتحاد السوفيتى وحده الذى كان رد فعله قويا تجاه تجديدات أفكار همر

شولد حول المنظمة ودورها، فقد اتهم ديجول - ورغم أنه كان معتدلاً وأقل تطرفاً من خروشوف - الأمم المتحدة «بالطموح للتدخل في كل الأمور، وهو ما ينطبق بوجه خاص بالنسبة لموظفيها، إنها شغوفة بتأكيد ذاتها حتى بقوة السلاح كما فعلت في الكونغو». كما عبرت حكومات أخرى أيضاً عن مخاوفها الحقيقية.

ووسط هذا الهجوم الحاد كان همر شولد مصمماً أن يدافع بكل ثمن عن موقفين: استقلال السكرتارية وسكرتيرها العام ومفهوم الأمم المتحدة كمنظمة نشطة سياسياً تستطيع إذا كان ضرورياً أن تتخذ إجراءات عملية في مواقف الصراعات. وفي الدفاع عن هذين المفهومين الأساسيين تغير أسلوبه بشكل جذري وانتقل من الإشارات والاستعارات والمعاني الفلسفية إلى الرد على نقاده الذين حاولوا الانتقاص من قدره بوضوح وصراحة والعزم واستقلال الفكر وبشكل مختلف مع الأسلوب الحذر والأقوال الغامضة لسنواته الأولى. ولم يعدم فرصة لكي يضع أمام الحكومات الأعضاء الخيار بين بديلين للأمم المتحدة ومستقبلها. فأما مجرد جهاز للمؤتمرات وإطار لمفاوضات علنية مجرد من إمكانيات العمل للحفاظ على السلام بما يعنى العودة إلى نمط عصبة الأمم، أو منظمة نشطة من أجل السلام كما كانت ببطء خلال السنوات الخمس الماضية. وكان همر شولد مقتنعاً أن السلوك المستقل وغير المتحيز للسكرتير العام يقع في قلب هذا الاختيار، فقد ذكر عام ١٩٦١ «إننى أعتقد بكل قوة أن المبدأ الأساسى للعالمية كما تأسس بشكل خاص فى المادة ١٠٠ هو مبدأ حاسم ذلك أنه إن لم يطبق ويحترم ماذا سيكون لدينا؟ سيكون لدينا سكرتارية وتنفيذيين يصبحون فى الحقيقة تمثيل على مستوى منخفض للحكومات الأطراف، فإذا أصبح الأمر كذلك فلن يكون لديك طرفاً تنفيذياً غير متحيز لقرار أو اتفاق، وإنما سيكون لدينا بمعنى ما مفاوضات مستمرة أو مجهود مستمر للتوصل إلى قرارات». وفى آخر خطاب له فى أكسفورد فى مايو عام

١٩٦١ حذر من التضحية بفكرة خدمة دولية موضوعية يقودها سكرتير عام مستقل ومثل هذا التطور «يمكن أن يكون ميونيخ التعاون الدولي كما تصورناه بعد الحرب العالمية الأولى، ثم تطور بعد ذلك تحت مأساة الحرب الثانية: أن تتخلى عن المبادئ التي يقوم عليها هذا التعاون أو تساوم عليها قد لا يكون أقل خطرا من أن تساوم حول مبادئ تتعلق بحقوق أمة، وفي كلا الحالتين فإن الثمن الذي يدفع قد يكون هو السلام».

وقد جاءت أزمة الكونغو ١٩٦٠ - ١٩٦١ لكي تثير مشكلات تتعلق بسلطة وعمل السكرتير العام والسكرتارية وهي المشكلات التي لم يتوقعها همر شولد رغم أنه لم يكن لديه أوهام حول مصداقية تكوين مفهوم خدمة دولية موضوعية ومستقلة تعمل في عالم من دول مستقلة ذات سيادة. وكانت ضرورة التعامل مع طوارئ الموقف في الكونغو في غياب توجيهات واضحة من الأجهزة الدولية للأمم المتحدة قد أثارت مسألة مركزية مختلف عليها بشكل كبير تتعلق بالمبدأ وحول استقلال وسلطة السكرتير العام. وكان همر شولد مقتنعا أن نتيجة هذا النقاش سيكون ذا تأثير حيوى على مستقبل وفعالية الأمم المتحدة كأداة لحفظ السلام والأمن الدوليين وكان مصمما أن لا يقتصر ولا يقدم أى تنازلات يمكن أن تؤثر على إمكانات السكرتير العام في المستقبل لكي يلعب دورا مفيدا.

ورغم أن دور همر شولد كسكرتير عام قد طغت عليه خاصة في سنواته الأخيرة المسؤوليات السياسية وكوسيط وكمحافظ فقط على السلام والأمن الدوليين وعلى مسئولياته الإدارية باعتباره الموظف الإدارى الأول في المنظمة، رغم هذا فإن ولاء واحترام أعضاء وموظفى السكرتارية له قد تزايد بمرور السنوات. وكان لابد أن يكون ثمة أعضاء في السكرتارية يشعرون بالاهمال أو عدم التقدير الكافى، وربما أيضا أنه تحت ضغط الأزمات السياسية كانت صلات همر شولد المنظمة مع الإدارات المختلفة قد أصبحت متقطعة ولكن ظلت هيئة السكرتارية ككل فخورة به إلى حد

كبير وتقدر تأثير نشاطه على وضع ومكانة الأمم المتحدة والسكرتارية نفسها على الخريطة. فى هذا ذكر رئيس هيئة السكرتارية فى الاجتماع الذى خصص للاحتفال ببداية فترة ولايته الثانية عام ١٩٥٨ «إن هيئة السكرتارية تشعر بالفخر للإنجازات العديدة التى حققتها والتى أضافت بشكل عظيم إلى منصبك والمنظمة ككل. وخلال تتركسك لقضية الأمم المتحدة ومن خلال مهارتك التى لا تجارى والنابعة من قوتك الداخلية فقد وضعت مبادئ وأهداف الميثاق فى مقدمة المسرح العالمى. لقد خلقت أسلوبا جديدا فى الدبلوماسية المعاصرة والتى باشرت بها بخيال وحيوية وقد قدمت مركزا وطريقا هادئا فى الأوقات المضطربة والمتعبة التى نعيشها». وقد رد همر شولد بخطاب نابع من القلب: «إننا لسنا فاتيكان ولسنا جمهورية كما أننا لسنا خارج العالم إنما فى العالم بشكل كبير وحيث هذا النوع من الانتماء وهذا الإحساس العميق بالوحدة. وآمل أن نكون فى طريقنا إلى هذا الإحساس وأشعر أننا تحركنا فى هذا الاتجاه، وإلى الحد الذى يعتمد هذا على شخصيا فإنى أستطيع أن أقدم لكم تأكيدا واحدا: إن ما أستطيع أن أفعله لهذا الهدف سوف أفعله».

وفى السنوات الأولى من منصبه مر همر شولد بلحظات من التفاؤل الكبير حول تطور الخدمة المدنية الدولية. وقد انعكس هذا فيما ذكره فى مؤتمر صحفى عام ١٩٥٤ «لدى انطباع أن السكرتارية فى علاقاتها مع الأجهزة الأخرى الرئيسية إنما تتقدم بشكل أكثر إلى الوضع الذى أعتقد أنه من حقها. فمن ناحية فهى بالضرورة الجهاز الخادم، خادم كما قلت دائما.. والخادم يجب عليه فى اللحظة الصحيحة أن يقدم لسيده ما يعتقده عن الاتجاه الصحيح».

وقد سارعت أزمة السويس والدور الذى أدته الأمم المتحدة والسكرتير العام فيها بتطوير السكرتارية كأداة عملية وتنفيذية.

كما جاءت أزمة الكونغو والمواجهة التي تلتها بين السكرتير العام والاتحاد السوفيتي لكي تضع مبدأ سكرتارية دولية مستقلة في مركز النقاش والخلاف والجدل حول طبيعة الأمم المتحدة ذاتها. ومع أكتوبر عام ١٩٦٠ وجد همرشولد نفسه مرة أخرى منغمساً وبشكل علني هذه المرة مع قوة أعظم أخرى مثلما فعل في التحدي الأول عندما وصل إلى نيويورك عام ١٩٥٣ : «لقد تحدث الميثاق عن «الفعالية والتكامل والكفاءة باعتبارها العناصر الحاسمة في الموظفين الدوليين» كما ذكر اللجنة الخامسة في إحدى إجاباته العديدة على النقد السوفيتي «بالنسبة لي فإن التكامل يعنى أن الموظف الدولي يجب أن يكون له ولاء واحد في أداء واجبه وهو ولاءه للأمم المتحدة.. ولكن يتهم الناس الذين يخدمون هذه المنظمة وفقا للروح الحقيقية للميثاق ويتكامل يتعدى الثناء وولاء بلا أى تحفظات، أن يتهم مثل هؤلاء الناس بأنهم يتحدثون باسم كتلة أو أخرى بسبب جوازات سفرهم إنما هو استخفاف وتجاهل لرجال ونساء يستحقون أفضل من ذلك بكثير».

وفي ٢٤ يونيو ١٩٦٠ وقبل أسبوع واحد من بداية أزمة الكونغو قدم همرشولد للجنة الثانية تقديرا لمشكلاته والذي توقع بشكل دقيق بعض الصعاب التي سوف تحدث به وبالسكرتارية. فقد وسع التغير السريع وغير المتوقع من وظيفة وعضوية الأمم المتحدة وبشكل كبير التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سيكون على المنظمة أن تستجيب لها. وحيث لم تقدر الحكومات الأعضاء بشكل كامل حجم هذا التغيير الذي ألقى أعباء على السكرتارية وحيث بدت وكأنها تتوقع من السكرتارية، بكلمات همرشولد «إن تذهب لصيد أسد دون أن تكون مستعدة لتزويدها ببندقية لصيد طائر» كما ذكر لمجموعة من الخبراء «أنه بالنظر إليها كقضية سياسية فإن عمل السكرتارية والمنظمة كجهاز إداري فإن المرء يستطيع ويجب عليه فيما يواجه بشكل واقعي إمكانية أن تفشل في إفريقيا، إن تفشل هنا وتفشل هناك لأننا لسنا مخلصين بشكل كاف».

وفى وصفه لوضع السكرتير العام الصعب فى مواقف موضع خلاف سياسى أشار همرشولد إلى أنه فى الوقت الذى يجب على السكرتير العام تنفيذ قرارات الأجهزة الرئيسية للأمم المتحدة فإنه يجب عليه كذلك أن يعيش بإحساسه الذاتى بالمسئولية وخاصة حينما لا تكون - لعدة أسباب - ثمة توجيهات محددة من أحد الأجهزة الرئيسية وقد تساءل «هل كان عليه أن يتخلى عن عملية الكونغو لأن فى أى قرار اتخذه يتعلق بتكوين القوة ودورها سيكون معارضا لاتجاهات بعض الأعضاء كما ظهرت فى المناقشات أو حتى فى التصويت»؟ إن مسئولية السكرتير العام وفقا للميثاق لا يمكن أن تنحى جانبا لمجرد أن تنفيذه للقرارات من المحتمل أن تكون موضوع خلاف سياسى. إن السكرتير العام يظل تحت التزام تنفيذ القرارات كما تبنتها الأجهزة والمطلب الرئيسى هو أن يفعل هذا على أساس مسئوليته الدولية الخالصة وليس لصالح دولة أو مجموعة من الدول».

وقد كان من رأيه أن سكرتارية الأمم المتحدة لابد ستعرض من وقت لآخر لخلاف سياسى حاد وللاتهام بالافتقار للحياء ولكنها لا يمكن أن تتهم بالافتقار للحياء ببساطة لمجرد اتخاذها موقف حول مسألة خلافية حين كان ذلك واجبا وبشكل لا يمكن تجنبه «ولكن يظل هناك مشكلة فكرية وأخلاقية ونحن نتحرك داخل منطقة يجب أن يقوم فيها الحكم الشخصى بدور وفى النهاية علينا أن نتعامل هنا مع قضية التكامل أو مع - إذا أذنت - «قضية الضمير» مضيفا «أن الموظف الدولى يجب أن يبقى نفسه تحت أدق مراقبة وهو ليس مطلوبا منه أن يكون محايدا بمعنى أن لا يكون له كإنسان تعاطفه وتنافره، أو أنه ليس هناك اهتمامات قريبة منه بصفة شخصية وأن يكون له أفكار ومثل تهمة، ومع هذا فإن عليه أن يكون على وعى كامل بردود الفعل البشرية وأن يكبح نفسه بشكل صارم وبصوت لا تسمح لهذه الاهتمامات الشخصية أن تؤثر على أفعاله». وقد طور همرشولد أفكاره حول حياد الموظف الدولى والإنسان بوجه عام فذهب إلى أنه «قد يكون

صحيحاً أنه بالمعنى الإنسانى العميق ليس هناك فرد محايد لأن كل إنسان إذا كان له قيمة يجب أن يكون لديه أفكاره ومثله، أشياء عزيزة عليه وهكذا، ولكن ما أستطيع أن أدعيه أنه حتى الإنسان بهذا المعنى يستطيع أن يقوم بأعمال محايدة لان ذلك فى النهاية عمل من أعمال التكامل Integrity ويعنى هذا أنه قد لا يكون هناك إنسان محايد ولكن - إذا كنت تمتلك التكامل - عمل محايد من الشخص الصحيح. ومثل هذا الحياد يمكن أن يتطور إلى نوع من الهزل Jeu de Mots إنى لست محايداً فيما يتعلق بالميثاق ولست محايداً فيما يتعلق بالحقائق ولكن هذا مالا نغنيه فما نغنيه بالحياد فى مثل هذا السياق هو الحياد فى علاقته بالمصالح وهنا أستطيع أن أرى أنه ليس هناك صعوبة لا يمكن التغلب عليها لأى شخص لديه النموذج الملائم من المبادئ الموجهة لممارسة هذا الحياد ١٠٠٪.

ومثلما عالج همرشولد مسألة الحياد الشخصى عالج أيضاً موضوعاً قريباً وهو العلاقة بين القومية والعالمية:

Nationalization Versus Internationalism

معتبراً أنهما يكملان بعضهما بعضاً رغم أنهما كثيراً ما يساء استخدامهما وتفسيرهما واستعمالهما بشكل مجرد يضعهما فى تضاد وتعارض، ولكن همرشولد ينظر إليهما ويفسرهما تفسيراً آخر ويخرج من هذا التفسير بنتائج مختلفة وذلك إذا فهمنا بمعنى الاعتراف بقيمة وحقوق الأمة من ناحية واعتماد الأمة على العالم من ناحية أخرى «فكل فرد اليوم فى جانب من وجوده ينتمى إلى بلد واحد بتقاليده الخاصة ومشكلاته، ولكن فى جانب آخر من وجوده فإنه مواطن للعالم والذى لم يعد يسمح بالعزلة الوطنية»، وينتهى همرشولد فى حل مثل هذا التناقض المفترض بين القومية والعالمية بقوله «إن المسألة ليست إما القومية أو العالم وإنما كيف فى خدمة القومية إنما تخدم العالم وفى خدمة العالم فإنك تخدم قوميتك».

ومن القضايا التي تأمل فيها همرشولد وحاول تفسير تناقضاتها قضية أخطار العالم المسيسي The dangers Of Politicized World فقد اعتبر أن السياسة كانت مقصورة من قبل على الخبراء وعدد محدود من الناس ولكن عصرنا هذا هو عصر التوسع في وصول السياسة في مجالات عديدة من حياة الناس. وبشكل يجعل أى إنسان يحاول أن يفصل نفسه عن المظاهر السياسية للحياة إنما يقطع بينه وبين تطورات لها تأثير عميق على مصيره.

وينظر همرشولد إلى ظاهرة انتشار الاهتمام بالسياسة في حياة الناس من زاويتين. فمن ناحية إذا كان هذا الاهتمام سيؤدى إلى أن يطور الفرد قدراته على الحكم السليم على الأمور والقضايا التي تتعلق بالطريقة التي ينمو بها المجتمع والأسلوب الذي يتناول به القادة تشكيل المستقبل، مثل هذا التأثير يعتبره همرشولد أمرا ومرحب به وإيجابى. أما الجانب الآخر والذي يتضمن على أخطار وسلبيات فإنه يتمثل إذا ما كانت السياسة سوف تؤخذ وتبدو كردود أفعال وخضوع للفرد لصالح الجماعات ويصبح التطابق Conformism هو المثل الأعلى وهنا سوف نصبح فى عالم يعطى فيه الأولوية للتكنيكات على الجوهر، وتفقد فيه رؤية المصالح الحقيقية ويصبح الاهتمام هو إحراز نقاط للدعاية. ويشبه همرشولد هذا الوضع بالواعتظ الذي يتعرض لإغراء بذل جهد أعظم لكى يكسب المؤمنين أكثر من بذل الجهد لتحويل المذنبين إلى مؤمنين ويعتبر همرشولد إنه إذا ما خضعنا لهذا الخطر فإننا سوف نفقد القدرة على أن نوصل أخلص ردود أفعالنا للآخرين من ذوى وجهات النظر المختلفة متناسين كيف نستمتع لما قد يكون لديهم ليقولوه لتوضيح مواقفهم ويستخلص همرشولد أنه إلى المدى الذى يسمح لهذا أن يحدث فإن عالما مسيسا سوف يصبح عالما بلا إنسانية.

وفى سبتمبر ١٩٦١ وقبل ٥ أيام من مغادرته إلى الكونغو، ١٠ أيام قبل مصرعه، خاطب همرشولد هيئة السكرتارية للمرة الأخيرة حيث تحدث

مرة أخرى عن ضرورة سكرتارية دولية مستقلة «إذا كنا ننظر لسكرتارية دولية حقا لا يدين أفرادها بأى ولاء لأى حكومة عندئذ فإن السكرتارية سوف تتطور كأداة للحفاظ على السلام والأمن وذات أهمية ومسئوليات متزايدة، أما إذا أخذنا بوجهة نظر معارضة فإن الدول الأعضاء لن يكون لديهم سكرتارية تصلح كأداة لخدمة نشطة ونامية لمصالحهم المشتركة».

وفى ٨ سبتمبر ١٩٦١، وكأنه نوع من تصفية الحساب وتسجيل سجله وسجل سكرتارية الأمم المتحدة وأدائها فى عهده، خاطب همرشولد هيئة السكرتارية فى يومها السنوى وبعد أن قدم لزملائه أحر تحية قدمها لهم استخلص «أنه عمل زائف أن نفتخر أمام العالم بأهمية عملنا ولكنه أيضا تواضع زائف، وقد يكون فى النهاية مدمرا أن لا نعترف، ونقر بامتنان أن عمل فرد ما كان له معنى، دعونا نتفادى الوهم الثانى كما تفادينا الوهم الأول، ودعونا نعمل باعتقاد أن عملنا له معنى أبعد من المعنى الفردى الضيق وأنه كان يعنى شيئا بالنسبة للبشر».

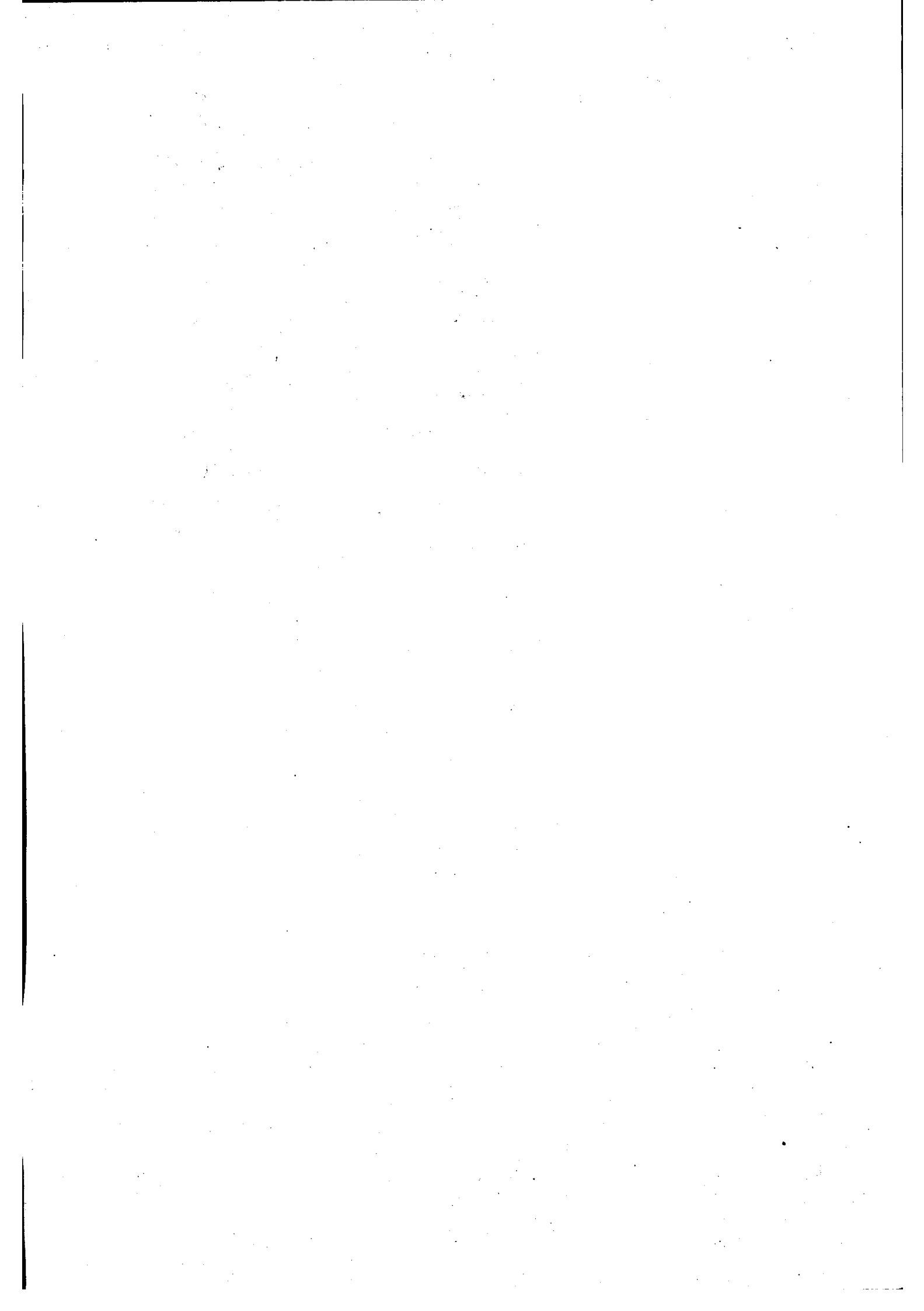
وقد أظهرت مذكراته الشخصية وتأملاته لصيف عام ١٩٦١ مزيجا من الحالات النفسية: التصميم والاستسلام والارهاق والوحدة والإيمان وربما كان ما يلفت النظر فى هذه التأملات فى مثل هذا الوقت وما حدث قوله:

«لا أعرف من وضع السؤال ولا متى وضع ولا أذكر أنى أجبت ولكن فى لحظة أجبت بنعم لشخص ما أو لشيء ما من هذه اللحظة ينبع التعبير أن الوجود له معنى ولهذا فإن حياتى وخضوعى له هدف». من هذه اللحظة عرفت ماذا يعنى «أن لا تنظر إلى الخلف وأن لاتلق بالا إلى الغد».

هذه الفقرات الأخيرة من تأملاته وحديثه الأخير لهيئة السكرتارية إنما تشى بالهدوء والأمل الذى كان مفقودا فى كثير من بياناته خلال العام الماضى. إنها صوت إنسان يمر بعواصف أكبر وتعرضت معتقداته للاختبار وهذا منها المحن والشدائد ومن ينظر بأوهام قليلة وبواقعية الخبرة إلى

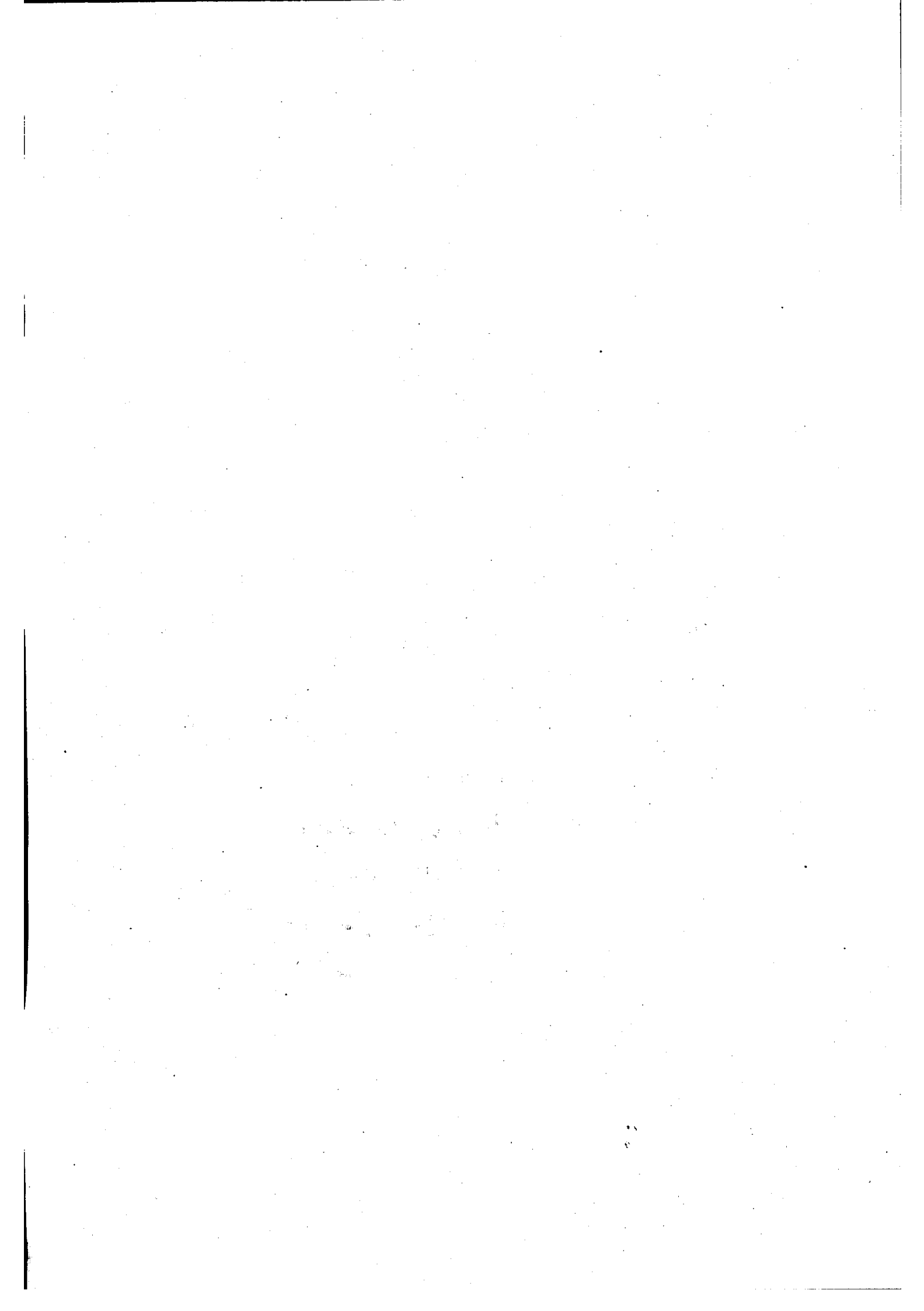
مستقبل أكثر هدوء. ويعبر واحد من خطابه الشخصية الأخيرة لأحد أصدقائه عن هذا المزاج بشكل آخر:

أن صديقنا ستن سلندر: Sten Selender (شاعر سويدي)، والذي كما تعلم لم يشب أبدا عن روح المغامر المكتشف كتب لي مرة بلهجة الحسد لهؤلاء الذين يخلقون الشعر بالعمل.. إنه مفهوم جميل وقد يكون فيه عنصرا من الصدق ولكنه واهم في الأساس. أننا جميعا نظن أننا احرار في تشكيل حياتنا الخاصة وفقا لمستويات قد تجد تعبيرا عنها في الشعر ولكن الاضطرار للفعل وخاصة في الحقل السياسي إنما هو خطر أكثر منه امتيازاً وفي المرحلة الحالية فإن الأحداث على كل المستويات تجعل من الصعب ترجمة التأمل إلى فعل وجعل الفعل مصدرا للتأمل على أية حال فإننا لانختار بأنفسنا الرف الذي نوضع عليه.



-القسم الثاني:

- **الأزمات والتحديات السياسية.**
- **همرشولد والدول النامية.**
- **همرشولد ونزع السلاح.**
- **ماذا بقي من داج همرشولد.**
- **التأملات.**



الأزمات والتحديات السياسية

لمسنا فى الفصل السابق كيف كان من اهتمامات همرشولد وتحدياته الأولى منذ وصوله إلى نيويورك عام ١٩٥٣ - استعادة الثقة وبناء خدمة مدينة دولية تكون أداة فعالة وكفئاً ومستقلة للمنظمة الدولية، كذلك رأينا كيف انصب جهده من البداية على بناء جهاز سكرتارية الأمم المتحدة باعتباره تجسيدا لهذا المفهوم. أما المفهوم الثانى الذى حرص همرشولد على تثبيته فهو دور ومسئوليات السكرتير العام وحقوقه المخولة له فى الميثاق وتفسيره لهذه الحقوق بالشكل الذى يخدم الأهداف العريضة للمنظمة الدولية وحماية وضمان السلام والأمن الدوليين، وكما رأينا فقد ذهب همرشولد لمفهومه لدور وأهمية جهاز السكرتارية ودور واستقلالية السكرتير العام إلى أن يربط بشكل عضوى بين ما يمكن أن تؤديه المنظمة من متطلبات السلام والاستجابة لهذه المتطلبات وبين قوة أو ضعف السكرتارية والسكرتير العام. وكما رأينا فقد ظل همرشولد عبر سنواته يطور أفكاره حول الأمم المتحدة وأجهزتها وعلاقاتها وأن يدخل بالتالى مفاهيم جديدة للعمل والدبلوماسية الدولية مثل الدبلوماسية الوقائية والدبلوماسية الشخصية ووجود الأمم المتحدة والمراقبين الدوليين.

غير أن أفكار ومفاهيم همرشولد حول الأمم المتحدة ودورها وحول السكرتارية ودور ومسئوليات السكرتير العام كأداة فعالة فى هذا الدور لم تظل مجرد تصورات ذهنية أو مفاهيم نظرية وإنما وضعت موضع التنفيذ

والاختبار من خلال أزمات استدعت تدخل الأمم المتحدة ولعبت فيها بالفعل ولعب فيها السكرتير العام دورا حاسما ونعنى بهذه الأزمات بوجه خاص: أزمة السويس ١٩٥٦ - ١٩٥٧، أزمة الكونغو وهي الأزمات التي وضعت كذلك - وخاصة في أزمة الكونغو - دور الأمم المتحدة والدور الشخصى للسكرتير العام موضع النقاش والجدل، بل إنه بسببها اصطدم السكرتير العام بقوة عظمى هي الاتحاد السوفيتى وكان هذا الصدام فى حقيقة الأمر وكما فهمه وتعامل معه همرشولد حول مسئوليات واستقلالية السكرتير العام.

أما القضايا الأخرى التى ارتبط بها همرشولد بقوة فقد تركزت بوجه خاص فى قضيتين : الدول الجديدة حديثة الاستقلال فى أفريقيا وآسيا والتى رآها همرشولد من عدة زوايا: ما تفرضه على المنظمة الدولية من مسئوليات ومساعدتها فى بناء هياكلها ومؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية، وما سوف تحدثه بانضمامها إلى المنظمة الدولية من توسيع للقاعدة الدولية للمنظمة ويشركها فى اتخاذ القرارات الدولية، ومن ثم تغيير طابع وتشكيل المنظمة و جعل المنظمة فى النهاية الضمان والحامى الرئيسى لهذه الدول الصغيرة.. أما القضية الثانية فقد كانت قضية نزع السلاح وخاصة فى ضوء الأبعاد الجديدة التى اتخذها سباق التسلح ودخول العنصر النووى وهو التطور الذى يجعل سباق التسلح ونزع السلاح اهتماما بشريا عاما وليس قاصرا فحسب على القوى الكبرى.

سيعالج هذا الفصل الأزمات التى واجهها همرشولد منذ توليه منصبه، وسنركز فى هذا بوجه خاص على تلك التى بدت فيها أدوار همرشولد ودبلوماسيته الشخصية وما استحدثته فى تناولها من آليات ومناهج سواء بالنسبة لدور السكرتير العام أو الأمم المتحدة ومسئولياتها، فى هذا سنتناول أزمة «داخلية» فى الأمم المتحدة وهى ما عرفت بأزمة ولاء هيئة وموظفى

المنظمة الدولية وسكرتيريتها وبدت أهميتها لأنها كانت تتصل بقوة كبرى بل والدولة التي تقع الأمم المتحدة في أراضيها وهي الولايات المتحدة . كما سنعرض لأزميتين ارتبط بهما بشكل حاسم دور همرشولد وهما أزمة السويس عام ١٩٥٦ والكونغو ١٩٦٠ - ١٩٦١ . واستكمالا للصورة والاهتمامات الواسعة للأمم المتحدة فسوف نتطرق لمواقف همرشولد من الدول النامية الجديدة ودورها على المسرح الدولي وكيانها داخل المنظمة الدولية وكذلك قضية نزع السلاح وما اكتسبته من أبعاد شاملة نتيجة لتسارع سباق التسلح وطبيعة تكنولوجيات الأسلحة الجديدة ونظمها .

أزمة الموظفين :

توافقت هذه الأزمة مع تولى همرشولد منصبه عام ١٩٥٣ ولم تكن في الواقع بأزمة طارئة بل قد ورثها من سلفه السكرتير العام السابق ترجفى لى وساهمت في تلويث جو المنظمة وعلاقات العمل فيها كما توافقت مع ما هيا همرشولد نفسه له في أن يولى اهتماما أوليا لما أسماه بتنظيم وإعادة كيان « هذا البيت » ويعنى به مقر الأمم المتحدة وسكرتاريتها .

وقد بدأت هذه الأزمة بتصاعد تيار الماكارثيه في الولايات المتحدة التي امتدت لتشمل فحص ولاء موظفي الأمم المتحدة بما فيهم الأمريكيين وقد كان هذا يعنى عمليا تقويضا لمفهوم الموظف الدولي بل لمفهوم وطبيعة الخدمة الدولية الحقيقية ، وعلى هذا لم يكن هذا بالوضع السهل حين وصل همرشولد إلى نيويورك وهو الوضع الذى أسماه فيما بعد « بالكابوس القصير » . وسواء كان ذلك خطأ أم صوابا فإن الطريقة التي عالج بها السكرتير العام السابق ترجفى لى هذه المشكلة قد فسرت بأنها خضوع للضغط الماكارثي واعتبرت العديد من الوفود أن استقلال السكرتارية قد ضحى بها بشكل خطير وأصبحت موضع المساومة . وعلى هذا كانت من

اللحظات الحرجة التي واجهها همرشولد وكان عليه أن يضع قدمه في المكان والخطو الصحيح. وكانت أول تحركاته أن يطلب من عملاء وكالة الاستخبارات الفيدرالية FPI ويبلغهم أنهم «لا يمكن لكم أن تكونوا هنا أيا كان الأمر الذي حصلتم عليه قبل ذلك» وأن وجودهم «لا يمكن التسامح فيه وبشكل مطلق» والواقع أن همرشولد في تناوله لهذه المشكلة كان عليه أن يلبي حاجتين: التصدي لمطالب الولايات المتحدة في طرد الموظفين، وعدم إغضابها وكسب عدائها خاصة وأن تأييد الولايات المتحدة للمنظمة الدولية هو أمر لا غنى عنه وهو نفس التأييد الذي يحتاجه السكرتير العام. غير أن هذا لم يكن يعنى الاستسلام للولايات المتحدة أو الظهور بخضوع المنظمة الدولية للإرادة الأمريكية إذ أن هذا كان يعنى تقويض الثقة في المنظمة الدولية وفيه شخصيا.

وقد كان من حسن حظ همرشولد أنه كان هناك مندوب دائم لأمريكا يتميز بالتعاون والتفهم وهو السفير هنرى كابوت لودج. أما الأسلوب الذي لجأ إليه همرشولد في علاج هذه المشكلة فقد اعتمد على وضع مجموعة من القواعد من شأنها أن تخلق نوعا من القانون المشترك وقد كان من شأن مثل هذا الإجراء القضائي أن يعمل كحاجز ضد الخضوع للضغط. وقد شعر الوفد الأمريكى والخارجية الأمريكية بالارتياح لهذا الإجراء خاصة وأنهم لم يكونوا مرتاحين لتجاوزات لجنة ماكارثي وأنهم بهذا الإجراء يستطيعون الإجابة على الكونجرس الأمريكى ولجانه بأن الأمر يجب أن يأخذ طريقه القضائي. وبهذا حين كان يثور أى ادعاء ضد أى من موظفى المنظمة كان همرشولد يقول إن لدينا عملية قضائية لا مكان فيها للشهادات المجهولة «أو للشهادات التي لا تستطيع أن تصمد فى محكمة القانون» ووفقا لهذا الإجراء لم يجرّد أيا من الموظفين من وظيفته لأسباب سياسية وإن كانت قلة قد طردت لأسباب أخرى.

ومع نهاية عام ١٩٥٣ وحين وافقت الجمعية العامة على مقترحات همرشولد حول تعديل نظم وقواعد الموظفين كان ما واجهه استقلال السكرتارية من تحدٍ قد انتهى وخلقت هذه النظم الجديدة الموانع الأكثر وضوحا على المحاولات التي يمكن أن تنعكس بشكل سلبي على موظفي المنظمة وعلى ما يجب أن يتميزوا به من «تكامُل واستقلال وعدم تحيز».

ومن ناحية أخرى فقد خاطب همرشولد بعض أعضاء هيئة الموظفين الذين تخوفوا من النظم الجديدة بأنه لا يستطيع أن يدافع عن استقلالهم واستقلال السكرتارية ما لم يرتفع كل عضو لمستوى الاستقلال الصارم المنصوص عليه في المادة ١٠٠ من الميثاق من «أعلى مستويات الكفاءة والاختصاص والتكامل».

The highest level of: Efficiency, competence and integrity.

واعتبر أن مثل هذه المستويات والاستقلال المطلق للسكرتارية هي أمر حيوي لأنها الأسلحة الوحيدة التي تمتلكها «إن الدول تتسلح من أجل أن تكون قادرة على التفاوض من موقع القوة» كما ذكر لموظفي المقر الأوربي في جنيف و«السكرتارية أيضا عليها أن تفاوض ليس فقط من أجل مصالحها ولكن أيضا من أجل السلام والتطور السلمي للعالم وما لدينا من وزن لا تصنعه القوة المادية ولا دوائرنَا الانتخابية، إنها تقوم فقط على الثقة في عدم تحيزنا وعلى خبرتنا ومعرفتنا ونضج حكمنا».

وباعتبار أن هذه كانت أول أزمة يواجهها همرشولد فإن الطريقة التي عالجها بها كانت مؤشرا على أنه في توليه لمهام منصبه فإنه سيكون الشخص الذي سيؤسس سوابق ويستحدث نظما وقواعد جديدة أكثر من أن يكون تابعا وبالتأكيد ليس مجرد كاتب Clerk.

أزمة الطيارين الأمريكيين فى الصين : مهمة بكين

إذا كانت مشكلة موظفى الأمم المتحدة والقواعد التى تحمى استقلالهم كانت أول ما واجهته فى مهمته فى «إدارة هذا البيت» . فلقد كانت مهمته الثانية هى تحريك الأمم المتحدة إلى مركز الدبلوماسية الجادة . وقد لاحت له فرصة استعادة الامتيازات السياسية للأمم المتحدة من خلال المهمة التى أسندها إليه قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ديسمبر ١٩٥٤ طالبة فيه أن يفعل ما يستطيع لتحقيق إطلاق سراح الطيارين الأمريكيين المعتقلين فى بكين . وفى نهاية عام ١٩٥٤ حاكم النظام فى بكين ١١ طيارا أمريكيا أسقطت طائرتهم فى يناير ١٩٥٤ وادعت الصين أن الطائرة قد احترقت فى الفضاء الجوى الصينى وقالت الولايات المتحدة أن الطائرة قد أطلق النار عليها فوق كوريا الشمالية . وقد حكم على الطيارين فى هذه المحاكمة بالسجن وفى نفس الوقت كشف عن أن الصين كانت مازالت تحتفظ بـ٤ طيارين أمريكيين أسقطوا خلال مهام لهم فى الحرب الكورية .

وقد لاقى قرار الجمعية العامة انتقادا داخل الولايات المتحدة واعتبر أنه تعبير عن الضعف فى مواجهة بكين ، ورغم توالى الانتقادات داخل الولايات إلا أنه لم يكن من الممكن وقف همرشولد من اتخاذ «مايراه من وسائل» فى إنجاز هذه المهمة كما خوله قرار الجمعية العامة .

وقد كان هدف همرشولد الأول هو «اختراق البوابة» فى بكين الأمر الذى لم يكن مضمونا مادام تكليفه قد نشأ بقرار من الإدانة «فأنت إما أن تدين أو تتفاوض» ، ولكن لا يستطيع أن تفعل الاثنين» وقد استخلص همرشولد أنه من المستحيل أن يستقبل فى بكين كممثل لقرار الجمعية العامة ولذلك فهو لم يقدم حتى على إرساله إلى بكين وقدر أن الورقة الوحيدة التى يحملها تجاه الحكم فى بكين هو إدراكهم أن الإساءة إلى السكرتير العام

لن يساعد في كسب قضيتهم في دخول الأمم المتحدة الأمر الذي كانوا يركزون عليه جدا في هذا الوقت، فزجرهم لهرشولد سوف يوصد بشكل أكثر باب الأمم المتحدة أمامهم ويدعم المطالب في الولايات المتحدة بإجراءات متطرفة ضد بكين.

وقد أبرق همرشولد إلى رئيس الوزراء الصيني شوان لاي أنه قادم لكي يناقش معه بشكل شخصي في بكين مسألة الطيارين المسجونين ورد عليه شوان لاي أنه «خدمة للسلام وتخفيف التوتر الدولي فإني مستعد أن استقبلكم في عاصمتنا بكين لمناقشة مسائل وثيقة الصلة، وإن كان في برقية أخرى وصلت في نفس الوقت قال شوان لاي «إنه ليس هناك مبرر أن تحاول الأمم المتحدة التدخل في مثل هذه المسألة الداخلية مثل إدانة محكمة صينية لجواسيس».

ولم يكن هذا الموضوع يتصل فقط بالعواطف والاهتمام الإنساني بالطيارين المسجونين والذي أثار خيال الرأي العام ولكن هناك أيضا الدراما الواسعة للعلاقات الأمريكية الصينية وحيث كان على الجانبين - الصيني والأمريكي - المتطرفين الذين كانوا يريدون المواجهة، ومن هنا كانت دقة مهمة همرشولد في بكين.

وفي طريقه إلى بكين حصل همرشولد على تقييم من إيدن في لندن ومنديس فرانس في باريس واللذان تفاوضا مع شواين لاي، وقد نصحا به بأن ثمة قلة من المفاوضين في العالم على مستوى شواين لاي، وأنه سوف يجد رجلا من الصعب السيطرة عليه وذكر منديس فرانس أنه سوف يجد في رئيس الوزراء الصيني سيداً عظيماً: Grand Seigneur، ورجل دولة ليس فقط واعيا بقوته ولكن رجلا يتحدث بثقة في النفس لأسرة كانت جزءا من الطبقة الصينية الحاكمة لآلاف السنين.

ورغم قسوة البرد فى بكين ورياحها الثلجية القادمة من السهول المنغولية، ولكن داخل المدينة السماوية تحدث همرشولد وشو لأربع أيام وسط ذوبان متزايد للثلج وحيث كان الرجلان متشابهان بشكل ملحوظ فكلاهما كان من نبلاء وسطه: شو شخصية ماركسية بارزة، وهمرشولد نموذج لارستوقراط دولة الرفاهية، ولذلك سرعان ما تأسست العلاقة وقد دامت مناقشتها الرسمية فى قاعة الزهور الغربية أكثر من $13\frac{1}{4}$ ساعة ووصف أحد مساعدى همرشولد بأن «الجو كله كان مشبعاً بالجدية البالغة، ولم يكن هناك صوت ولا ضجة من أى نوع فى القاعة كلها وجرت المحادثات الرسمية بشكل عميق ولبق، ومثلما عبر همرشولد بعدها، إذا كنت قد عبرت عن نفسى بعبارات تتميز بالحيلة فلم يكن ذلك يقاس بأسلوب شو وقد استخدم شو بشكل فائق لغة غير مباشرة وتوقع من السكرتير العام نفس الشيء، وقد جعلت دبلوماسية شو المصقولة همرشولد يشعر أنه «كبيرى سوقى وأنت تعلم أنى لست هاويا فى هذا العمل».

وقد كانت المشكلة الأولى أمام الرجلين هى إيجاد صيغة الالتفاف حول مشكلة يعتبرها شو من الشئون الداخلية للصين ومع منظمة محظورة عليها. وقد استحدث همرشولد ما أصبح يعرف «بصيغة بكين»، فالمناقشات قد جرت ليس على أساس قرار الجمعية العامة الذى رفضته بكين ولكن على أساس سلطة السكرتير العام وفقاً للميثاق وعلى هذا كانت موافقة شو على مناقشة المشكلة لم تكن تتطلب الاعتراف المسبق من بكين بسلطة الأمم المتحدة أو موافقة مسبقة بما سوف يستخلصه السكرتير العام.

وبتخففه من قرار الجمعية العامة والتعامل مع بكين على أساس سلطة السكرتير العام وفقاً للميثاق استطاع همرشولد أن يناقش مع شو ليس فقط مشكلة الطيارين ولكن سلسلة أخرى من قضايا ومشكلات الشرق الأقصى.. وفى مشكلة الطياريين الأمريكيين كان همرشولد على وعى

بقوة المشاعر الأمريكية التى أثارها الحكم عليهم، وقد يكون هذا الحكم وفقا للقانون الصينى مسألة داخلية إلا أن لها تأثيرات وانعكاسات أولية خطيرة كما أخبر شو. وفى الوقت الذى ليس من حق السكرتير العام أن يزج بنفسه فى الشئون الداخلية للصين فإنه مخول لمناقشة الأمر بالنظر لانعكاساته الدولية. وقد أجاب شوبأن الصين تعترف بالميثاق وبالأمم المتحدة وبالسكترير العام واهتمامه بالأمر وهذا لأنه من المشروع بالنسبة له إثارة هذا الموضوع ربعد أن تأسس هذا الفهم استمر همرشولد فى أن يضع أمام شو الحالة الكاملة لإطلاق سراح الطيارين. وعندما غادر بكين كان تقريره أن الطيارين سوف يطلق سراحهم ولكنه لو أعلن ذلك فسوف يؤثر على هذه النتيجة وكان واضحا له أن الصين كانت تحتاج إلى وقت لكى تفصل إطلاق سراحهم عن أى مظهر للاستسلام للضغط وقد قدر همرشولد ذلك ستة شهور .

وفى أغسطس وبعد يومين من عيد ميلاده كان همرشولد يقضى إجازة فى بيته الريفى فى جنوب السويد حين وصلته برقية من الحكومة الصينية بأنهم سوف يطلقون سراح الطيارين خلال بضعة أيام ليس بسبب قرار الجمعية العامة ولكن من أجل المحافظة وتقوية العلاقة مع السكرتير العام وقد انتهت البرقية بتهنئة همرشولد بعيد ميلاده والتى اعتبرها همرشولد من أفضل التهانى بهذه المناسبة.

وقد كان من أبرز نتائج هذه المهمة والنتيجة التى انتهت إليها والأسلوب التى أديرت به أن هذا التحقق المفاجئ من الدول الأعضاء سواء من الشرق أو الغرب أنهم فى شخص همرشولد لديهم دبلوماسى يمتلك قدرات استثنائية فى التوصل إلى حلول، وأنهم فى منصب السكرتير العام لديهم جهاز يمكن أن يملأ الفراغ الناجم عن عجز مجلس الأمن كأداة للتفاوض والوساطة والمبادرة.

على الرغم من أن جهود همرشولد كانت أساسية في حل مشكلة الطيارين الأمريكيين إلا أنه قد تداخلت معها جهود الهند ومساعها وهو ما شجعتة الصين وأرادت بذلك أن تعطى بعض الفضل للهند حيث كانت تدعم الجهود في الأمم المتحدة لكي تمثل بكين مقعدها في الأمم المتحدة.

أزمة السويس

لم تكن أزمة السويس التي نشبت نتيجة لعدوان قوى ثلاثة هي إنجلترا وفرنسا وإسرائيل على دولة عضو في الأمم المتحدة مجرد أزمة محلية أو إقليمية وإنما كانت لها كل الأبعاد الدولية المتصلة بتهديد الأمن والسلم الدوليين. فبالإضافة إلى عدوان مسلح وقع على دولة عضو فقد ارتبطت الأزمة في مقدماتها ومرحلة الصراع المسلح التي اتخذته بشريان حيوى هام هي قناة السويس بالنسبة للملاحة والتجارة الدولية، ومن ثم قدمت حالة ملحة من الحالات تستوجب تدخلا من جانب المنظمة الدولية وبشكل خاص فيما يتعلق بترتيبات وقف إطلاق النار وانسحاب القوات المعتدية و أوضاع ما بعد الانسحاب والآليات التي سترافق هذه الترتيبات وتنفيذها. في هذه الأزمة تصرف همرشولد بشكل صارم على أساس من الميثاق وقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن غير أن الجديد في هذا أن المسئوليات التي فوضت له كانت واسعة جدا وبشكل تطلب الكثير من المبادرة من جانبه وبشكل يساعد على ملء الفراغ الذي تتركه النظم التقليدية لحماية السلام. لذلك فإنه بعد إطلاق النار تأسست هذه التجربة الفريدة التي تمثلت في قوات الطوارئ الدولية: United Nations Emergency Forces, (U N E F) والتي تكونت من الدول الصغيرة والمتوسطة مثل كندا، والسويد، والبرازيل، والهند.. وقد كانت هذه القوة تجربة جديدة في تاريخ التنظيم الدولي، فرغم تجربة الاتحاد من أجل السلام United for Peace التي استخدمت في النزاع الكورى وإمكان الحصول على بعض

التوجهات منها فى تشكيل قوة الطوارئ الدولية الجديدة إلا أن ملفات الأمم المتحدة لم يكن بها ما يكفى فى هذا الشأن وما يمكن أن يفيد ويقدم النصيحة فى الوضع الجديد، ومن هنا كانت تجربة قوة الطوارئ الدولية التى استحدثت واستخدمت فى أزمة السويس طريقا جديدا فى أرض جديدة أو كما عبر همرشولد ووصفه بالوضع الفريد للظروف التى عملت فيها قوة الطوارئ الدولية.

كما كان يمكن الاستعانة ببعض الخبرة من نشاطات مجموعة المراقبين الدوليين كما استخدمت من قبل على خطوط الهدنة المصرية - الإسرائيلية والأردنية الإسرائيلية غير أن سابقة حقيقية لم تكن متوفرة لعملية كبيرة مثل السويس. ولذلك كان على الأمم المتحدة أن تنفذها بكفاءة وبسرعة بل وبجراحة إذا كان لها أن تنجح، وعلى هذا كان على السكرتير العام أن يبدأ من الصفر. هذه الحقيقة وأداء همرشولد وتعامله معها وبطاقة وسعة حيلة التى أبداهها قد جذبت انتباه المجتمع الدولى إليه، وفيما عدا فى فرنسا وإنجلترا وإسرائيل، خلقت سمعة همرشولد، ورغم أنه كان يعمل فى هذه التجربة بنصيحة ليستر بيرسون فإن تجربة قوة الطوارئ الدولية كانت خلقه الذاتى ارتفع بها إلى مستوى من النفوذ والسلطة لم يبلغها سكرتير عام من قبل. وقد جعل هذا الرئيس الأمريكى إيزنهاور يشير إلى الوضع الجديد للسكرتير العام فى الشؤون الدولية حين ذكر فى مؤتمر صحفى فى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ «إن آخر شىء يجب أن تفعله هو أن نتدخل فى المفاوضات الحساسة التى تجرى حاليا تحت قيادة السكرتير العام همرشولد ولا يجب أن نقدم على أى عمل يمكن أن يؤخر عملياته أو يعيقها أو يضر بها بأى طريقة. إن قدرات الرجل لم تتأكد فحسب ولكن التحمل الجسدى الذى يدعو للإعجاب وبشكل لا ينام فيه ليلة بعد ليلة أكثر من ساعتين ويعمل طول النهار ويعمل بذكاء ويتكرس».

وفى خطاب إلى إيزنهاور كتب همرشولد «وؤكد لكم أن ليس هناك شيء خاص وغير عادى حول الطاقة التى كرسنها لمهمتى بخلاف أن لدى إحساس عميق بالأهمية البالغة للوقت وإلا فإن الكارثة والخطر بالفعل سوف يقع ويتدهور إلى شيء أسوأ.

وفى أعقاب أزمة السويس وخلال عملية إنشاء قوة الطوارئ الدولية وقبل زيارته للقاهرة ١٩ مارس ١٩٥٧ كتب لأحد أصدقائه يقول «شخصيا مازلت أشعر مثلما فعلت منذ ٣٠ أكتوبر فطالما أنه لم يكن أحد فى منصبه يمكن أن يدير مثل هذه الأزمة بشكل ملائم دون معجزة ودون أن يعرض رقبته للخطر سياسيا، وحتى الآن لم يحدث ذلك غير أنه ليس هناك ضمان بالنسبة للمستقبل».

ومع الدور الذى قام به همرشولد فى أزمة السويس والذى كان سببا فى برونزه على المسرح الدولى فقد ثار التساؤل حول ما إذا كان من الممكن أن يكون أداء داج همرشولد أفضل مما قدم. يجيب ليستر بيرسون، وهو من أكثر من تعاونوا مع همرشولد خلال أزمة السويس وأكثرهم قربا منه، يجيب بالإيجاب على هذا التساؤل ويعتبر أن همرشولد كان يجب أن يتمسك بأن تكون العبارات التى صيغت بها قرارات الجمعية العامة أكثر وضوحا وتحديدا فى تحديد المهام المطلوب أداؤها وليس بالصيغة الموجزة المبهمة التى صدرت بها قرارات نوفمبر ١٩٥٦، وأن هذا الغموض وعدم التحديد قد استغلته إسرائيل فى تأخير انسحابها.

أزمة الكونغو

كان من المتوقع أن ترى القوى الأجنبية ومصالحها المختلفة فى الوضع فى الكونغو وإمكانات تطوره ما يؤثر بشكل قوى على مركزها الدولى ولذلك كان من الطبيعى أن يكون لها وجهات نظرها القوية حول

الاتجاه الذى يجب أن تتطور إليه الأوضاع فى الكونغو ولكن تعود بشكل يخدم مصالحها ونفوذها الدولى . ونظرا لما تفتقر إليه الكونغو من تقاليد ومؤسسات سياسية وفى غياب أى استقرار يسمح بقيام مثل هذه المؤسسات، فقد كان الباب مفتوحا لمحاولات وجهود التأثير فى التطورات فيه، والتأثير على طائفة أو تلك أو شخصية أو أخرى . غير أنه وفقا لمبادئها فإن الأمم المتحدة كان عليها أن تركز فى عملها فقط وتسترشد بمصالح شعب الكونغو وبحقه فى أن يقرر بحرية لنفسه بدون أى تأثير خارجى وبمعرفة كاملة بالحقائق ولذلك فإن المنظمة وخلال العام الأول لعملها فى الكونغو قد رفضت ما كان يرغب فيه البعض للسماح بمواردها ووجودها أن تستخدم لتأييد حزب على آخر وبشكل يحكم مسبقا على اختيار الشعب الكونغولى . ولهذا كان عليها تتبع خطا يحمى الاختيار الحر للشعب ويتضمن مقاومة كل الجهود الخارجية للتأثير على هذا الاختيار . هذا الخط الذى اتبعته المنظمة قد وضعها موضع الشك من هؤلاء الذين خاب أملهم فى الحصول على تأييد المنظمة، ولهذا اتهموا المنظمة بالتحيز . كذلك فإن بعض العناصر الخارجية فى محاولتها أن تكسب موضع قدم فى الكونغو حين واجهت عقبة الأمم المتحدة وجهت لها اتهامات مماثلة . وكما كان مأمولا فإنه إذا نجحت الأمم المتحدة فى التوصل إلى تحقيق المصالحة الوطنية وإقامة برلمان وممثلين منتخبين وقدمت بذلك أساسا لمستقبل سلمى مستقر للكونغو الموحد، فإن هذا كان من شأنه أن يؤكد صحة الخط الذى تبنته الأمم المتحدة فى الكونغو والواقع فإن ما تم تحقيقه بواسطة البرلمان فى واحد أغسطس يمكن أن يقال إنه قد فعل هذا بوضوح .

ومع هذا فقد كان دورا غير مشكور للمنظمة، وكان من السهل إساءة فهم أن تظل المنظمة محايدة فى علاقتها بالصراع الداخلى وتقديم مساعدة نشطة من أجل حماية حقوق وإمكانيات الشعب لكى يجد طريقه، غير أن هذا كان الطريق الوحيد لكى تتمكن المنظمة من خدمة هدفها المعلن فى أن

تدفع إلى الأمام بالاستقلال الكامل وتحقيقه بالمعنى الكامل وغير المشروط للكلمة.

كان ما تقدم هو تلخيص لما عرضه همرشولد في أغسطس ١٩٦١ عن السياسة التي اتبعتها بثبات في الكونغو خلال العام الماضي من اندلاع أزمتها، وكان قراره زيارة ليوبولد فيل في سبتمبر يعكس ليس فقط إمكانيات التقدم التي أتاحها قيام حكومة دستورية ولكن فوق كل شيء حرصه على أن يعالج مشكلة كاتنجا المتبقية قبل أن تجتمع الجمعية العامة. وقد كتب رالف باناش بعد ذلك أن دافع همرشولد في الذهاب إلى الكونغو لم يكن استجابة لدعوة مهذبة تلقاها من رئيس الوزراء آدولا، ولكن لسبب آخر أكثر إلزاما فقد كان في ذهنه تحديد أن يحاول حث تشومبي الدخول في محادثات مع آدولا وكان يفضل في ليوبولد فيل وكان يعلم أنه إذا تحقق هذا فإنه يمكن أن يعفى الجمعية العامة من نقاش طويل وخطر حول موضوع الكونغو وهو النقاش الذي كان يقدر أنه لن يخدم الكونغو والجمعية العامة.

ومثلما عبّره منجى سليم مندوب تونس الدائم في الأمم المتحدة والذي عاصر همرشولد، وكان شاهدا على فترات عمله في الأمم المتحدة وتعاون معه بشكل وثيق في أزمة الكونغو، إن مهمة الأمم المتحدة في هذا القطر الأفريقي بظروفه المعقدة ربما كانت يجب أن تنفذ أبعد مما نفذت به مهمتها في السويس، حيث دعت الأمم المتحدة لإرسال قوات للمساعدة في استعادة وحفظ النظام في بلد منهار وهو ما استجاب له همرشولد وفعله في الحال وخاطب شخصيا الدول الأفريقية، خصوصا من أجل منع الكونغو من السقوط ضحية للحرب الباردة، ولذلك دعى دول أفريقية مثل غانا وأثيوبيا وتونس والجمهورية العربية المتحدة ومراكش وهي الدول التي شكلت قواتها ما سمي بعملية الأمم المتحدة في الكونغو وللأسف فقد تدهور الموقف

بسرعة فى الكونغو ووجهت الأمم المتحدة ليس فقط بمهمة استعادة السلام ولكن كذلك بتقديم مساعدات فنية كانت مطلوبة بشدة وعلى نطاق واسع لتمكين الخدمات الإدارية والصحية والاجتماعية والاتصالات من العمل كما تدهور الموقف السياسى الذى وصل إلى حد الشلل بالتهديد بانفصال كاتنجا واثارات تشومبى واتحاد المناجم والبلجيك وإلى الحد الذى أصبحت فيه عمليات الأمم المتحدة المدنية مهمة مستحيلة تقريبا.

ورغم هذا فإن همرشولد لم ييأس فقد أصدر تعليمات صارمة إلى قوات الأمم المتحدة بأن لا تزج بنفسها فى الشئون الداخلية للكونغو وأن لا تطلق النار على أحد إلا فى حالات الدفاع عن النفس.

على الرغم من حياد همرشولد الصارم فى إدارته لأزمة الكونغو إلا أن مؤرخى هذه الفترة يعتبرون أن الأمم المتحدة لم تكن بلا أخطاء فى الكونغو، ويوردون على ذلك أمثلة منها:

(أ) ترددها فى الاستجابة لرغبات لومومبا الأمر الذى كان مصدر استياء كبير من قطاعات من الشعب الكونغولى.

(ب) تردد همرشولد فى تفسير التزامات مجلس الأمن بصورة أكثر إيجابية وفاعلية، فى وقوفه بسلبية تجاه ما تعرض له لومومبا

(ج) عدم تجريد جيش الكونغو من السلاح فى المراحل الأولى من النزاع .

(د) كان ثمة شعور معادى من رجال الأمم المتحدة فى الكونغو تجاه لومومبا رغم محاولة السكرتير العام المحافظة على موقف حيادى ومقبول .

(هـ) عهد السكرتير العام المسئولية الرئيسية فى المرحلة الأولى لعملية السلام إلى ثلاثة مسئولين أمريكيين يعملون فى الأمم المتحدة: رالف بانس

- واندرو كورديسيه - ووزنشوف الخبير فى الشئون الأفريقية، ويمكن أن نتصور رد فعل واشنطن إذا ما استخدم ثلاثة من الروس فى مثل هذه المناصب وعلى عكس ما كان همرشولد يتبعه فى الأزمات الأخرى من حرص على استخدام مسئولين ينتمون للدول الصغيرة والمحايدة.

غير أن هذه الانتقادات لا تنفى أن وجود الأمم المتحدة فى الكونغو قد منع الحرب الباردة من أن تترسخ فى هذا البلد الأفريقى وأن وجوده وكيانه قد تأسس إلى حد كبير بفضل جهود الأمم المتحدة التى ساعدت على تفادى فوضى وشيكة كانت تهدد السلام والأمن ليس فقط فى الكونغو بل وفى القارة الإفريقية بأسرها.

وليس من شك أنه لإنجاز هذه المهام كان الأمر يحتاج لشخصية مرموقة مثل همرشولد تتمتع بصفاته الفكرية والأخلاقية وبالموهبة والخيال والفاعلية للقيام بهذه المهمة.

المواجهة مع الاتحاد السوفيتى

ارتبطت أزمة الكونغو فى تاريخ المنظمة الدولية وسكرتيرها العام عندئذ داج همرشولد بالمواجهة التى تطورت بين السكرتير العام والاتحاد السوفيتى والتى نشأت أساسا نتيجة تصور الاتحاد السوفيتى أن وجود سياسات الأمم المتحد فى الكونغو تتعارض مع وجوده السياسى فى هذا البلد الافريقى والصراع حوله وقد جاء التصور السوفيتى نتيجة لتفاعلات داخلية بين الأطراف الكونغولية المتصارعة بما أثر على وجود الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الأخرى فى هذا البلد الأمر الذى أرجعه الاتحاد السوفيتى عن غير حق إلى وجود الأمم المتحدة وإدارتها للأزمة.

وقد جرت هذه المواجهة بين الاتحاد السوفيتى والسكرتير العام وبشكل واسع وحاد خلال اجتماعات الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر ١٩٦٠ والتى كانت بكل المعايير دورة استثنائية حيث حضرها ٢٣ رئيس دولة و ٥٧ وزير خارجية وكانت هذه الدورة دليلا على الأهمية الجديدة للأمم المتحدة فى فترة من النصفية السريعة للاستعمار والصعاب الضخمة التى كانت المنظمة تواجهها ويكفى الإشارة على أهمية هذه الدورة وحيويتها أن حضرها خروشوف وكاسترو ونكروما وناصر ونهرو وسوكرانو والملك حسين وماكميلان وايزنهاور وتيتو.

وبعد تقديمه لتقريره السنوى حاول همرشولد كالعادة تقديم تحليل للوضع السياسى الراهن فى الأمم المتحدة ولكى يكون هذا التحليل مرشدا لمداولات الجمعية العامة. وقد تركزت المقدمة على تجربة الكونغرو والتي اعتبرأنها «تضع الأمم المتحدة موضع الاختبار سواء فيما يتعلق بوظائف مؤسسات هذا البلد البرلمانية أو فيما يتعلق بقدراتها التنفيذية، وقد كان الموضوع الرئيسى فى تقرير همرشولد هو «قدرات عمل جوهرى من جانب الأمم المتحدة فى عالم منقسم، وكان دعوة موجهة بوجه خاص للدول الجديدة وغير المنحازة لكى تستخدم الأمم المتحدة ولكى تظل الصراعات الناشبة خارج نطاق الكتلتين. واعتبرأنه فى الشرق الأوسط والكونغرو ولاوس فإن دور الأمم المتحدة هو أن تملأ فراغ القوة بين القوتين الرئيسيتين «حتى لا تحاول أى منهما ملأه... كما ذكر: «وانتظارا لملأ الفراغ بالوسائل الطبيعية فإن الأمم المتحدة تدخل الصورة على أساس من عدم ارتباطها بأى من الكتلتين وكمنظمة عالمية محايدة فى صراعات القوى العظمى حول الأيدولوجيات والنفوذ فى العالم، وباعتبار أن المنظمة الدولية تخضع فقط للإرادة المشتركة للحكومات الأعضاء ومتحررة من أى تطلعات للنفوذ والقوة لنفسها فإن الأمم المتحدة تستطيع أن تقدم الخدمة التى يمكن ان تقبل بدون شكوك وأنها تستوعب بدون أن تؤثر على الاختيار الحر للشعوب، وكان موضوع همرشولد الإضافى فيما يتعلق بصلاته بالدول النامية فالأمم المتحدة هى انهاء قد أصبحت بشكل متزايد المنبر الرئيسى والحامى لمصالح هذه الأمم الصغيرة التى تستشعر قوتها كأعضاء فى العائلة الدولية وضعفها وهى منعزلة».

وكان من الطبيعى أن لا يلقى هذا التفكير ترحيب أى من الدول العظمى، وقد ثبت أن الأمم الصغيرة تنظر إلى المنظمة كمتحدث وكمعبر عن المبادئ التى تمنحهم القوة فى الأسر الدولية وحيث تستطيع أصوات أن تعبئ كل ثقل القوة المسلحة والثورة والدور التاريخى».

وقد كانت هذه الدائرة من الدول الصغيرة ممثلة تمثيلا جيدا بين رؤساء الحكومات الذين حضروا الدورة الخامسة عشرة.

فى هذه الدورة انطبعت بيانات المتحدثين بطابع الاعتدال والأمل فى دور المنظمة ومسئولياتها بإشارات خاصة للوضع فى الكونغو.

غير أن الوحيد الذى اختلف بشكل جذرى عن هذا الخط العام من الاعتدال والإيجابية هو رئيس الوزراء السوفيتى نيكيتا خروشوف الذى كان يرأس الوفد السوفيتى فى هذه الدورة وقد بدأ بيانه بإدانتة ايزنهاور حول حادث الطائرة U2 وحول سياستها نحو كوبا والهجوم العنيف على الاستعمارين بوجه عام وعلى نشاطاتهم فى الكونغو بوجه خاص ثم استطرد «ومن المؤسف انهم يؤدون عملهم القذر فى الكونغو من خلال السكرتير العام للأمم المتحدة وهيئته أن الجمعية العامة يجب أن تدعو مستر همرشولد أن يؤكد لنا أنه لن يسىء استخدام مركز السكرتير العام وإنما سيمارس وظائفه مراعاة صارمة لمواد ميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن»، وفى موضع آخر من خطابه عاد خروشوف إلى الهجوم على همرشولد «إن الظروف قد نضجت بوضوح إلى الحد الذى يجب أن يزال منصب السكرتير العام والذى يدير وحده هيئة السكرتارية ويفسر وحده وينفذ قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة».

«وبدلاً من هذا فإن الجهاز التنفيذى للأمم المتحدة يجب أن يتكون من ثلاثة أشخاص يمثلون الكتل الثلاثة الغربية والاشتراكية والمحايدة وهى الصيغة التى عرفت باسم «الترويك».

ولم تكن خطبة خروشوف مثار اندهاش كامل من همرشولد ذلك أن الأحداث فى الكونغو والتى توجت بطرد موبوتو لسفارات الدول الاشتراكية وتصويت ساحق بالثقة فى السكرتير العام فى الدورة الاستثنائية للجمعية

العامه وشاركت فيها كل الدول الآسيوية والأفريقية بدلا من اتباعها لقيادة الاتحاد السوفيتى واعتدال لهجة المتحدثين الذين سبقوا خروشوف كل هذا قد أثر فى مزاج خروشوف بغض النظر تماما عن العوامل الرئيسية.

غير أن موضع أسى همرشولد هو اتجاه خروشوف لإضفاء الطابع الشخصى على الخلاف حول قضية الكونغو كما رفض اعتبار اقتراح التروبا كمسألة ثقة فيه . غير أنه فيما يتعلق بالمبدأ شعر همرشولد أن عليه أن يعارض بقوة هذه الفكرة وبكل السبل الممكنة حيث اعتبرها ترقى إلى محاولة مد سلطة الفيتو لعمل السكرتارية وتمس مستقبل فاعلية الأمم المتحدة نفسها . وفى ٢٦ سبتمبر خاطب همرشولد الجمعية العامة بما يرقى إلى اعلان مبادئ يهدف إلى إظهار الخطورة الكامنة فى الموقف بالنسبة للدول الصغيرة والمتوسطة خاصة تلك التى استقلت حديثا والتى تعتبر الأمم المتحدة بالنسبة لهم أفضل ضمان ضد ضغوط القوى الكبرى وقد بدأ همرشولد بيانه بقوله «أن الجمعية العامة تواجه مسألة لا تتصل بأعمال محددة وإنما بالمبادئ التى ترشد نشاطات الأمم المتحدة . فى هذا الشأن فإنها ليست مسألة رجل ولكن مؤسسة .. إن الحياد الصارم الذى يتبعه شخص ما يمكن فى أى مرحلة أن يصبح عقبة فهؤلاء الذين يعملون من أجل أغراض سياسية معينة والتى يرون أنها يمكن أن تخدم بشكل أفضل أو يمكن أن تتحقق بشكل أسهل إذا ساوم السكرتير العام وتماشى مع هذا الاتجاه ولكن إذا فعل فإنه سوف يخون بشكل خطير ثقة هؤلاء الذين يعتبر الالتزام الصارم بهذا المبدأ أفضل حماية لهم فى الصراع الدائر فى العالم من أجل القوة والنفوذ .. بل إن أفضل أن يحطم منصب السكرتير العام نتيجة اتباعه الحازم مبدأ الاستقلال وعدم التحيز والموضوعية من أن ينجر إلى المساومة على هذه المبادئ وهذا هو الاختيار الذى يواجه يوميا السكرتير العام وهو أيضا الاختيار العلنى الذى يواجه الجمعية العامة سواء فى الجوهر أو فى الشكل .. إنى أعتقد أن كل هؤلاء الذين تصون الأمم

المتحدة مصالحهم سوف يتحققون أن هذا الاختيار لا يلاءم اللحظة الراهنة فقط وإنما هو اختبار حاسم من أجل مستقبلهم» .

وحين عاد خروشوف يتحدث حول هذا الموضوع بعد يومين، من خطابه الأول ذهب إلى أبعاد أطول مركزا على اعتباره أن مسؤوليات تنفيذ قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة تقع على رجل واحد «دع هؤلاء الذين يعترفون بالقيديسين يتمسكون برأيهم ولكننا لا نصنق هذه التصح» وفاجأ الجمعية العامة بقوله: إن همرشولد هو عميل البلدان الرأسمة التي ولدت إن لم يستطع أن يستجمع شجاعته ويستقبل بطريقة فروسية فإننا سوف نستخلص النتائج الحتمية من الموقف، فليس هناك مكان لرجل خرق ويستقيل المبادئ الأولية للعدالة في مثل هذا المركز الهام كسكرتير عام» .

ورغم هدوئه الظاهر إلا أن همرشولد تملكه الغضب الشديد ويشكن طلب من رئيس الجلسة أن يعطيه الكلمة في الحال لكي يرد، ولكن رئيس الجلسة شعورا منه يغضبه نصحه أن ينتظر لجلسة بعد الظهر لكي يعد إجابة مدروسة وقد قبل همرشولد بامتنان هذه النصيحة .

وقد أملى همرشولد رده على خروشوف قبل أن يلتقى مع مساعديه في مكتبه على الغذاء وقد أحضر مشروعه للرد ومرره عليهم خائفا منهم التعليق على الشكل فقط . وقد بقيت الخطبة كما أملاها همرشولد، وفي جلسة بعد الظهر ألقاها في لهجة حادة وقاطعة أمام جمعية عامة وهي تصغى بشكل غير عادى .

«إن رئيس الوفد السوفيتى فى الجمعية العامة هذا الصباح وفى ممارسته حقه فى الرد قال بين أمور أخرى إن السكرتير العام الحالى كان دائما متحيزا ضد الأقطار الاشتراكية وأنه استخدم الأمم المتحدة لتأييد القوى الاستعمارية التى تحارب الحكومة الكونغولية والبرامان من أجل فرض استعمار جديد على الكونغو، واننى إن لم أستجمع الشجاعة الكافية

لكى أستقيل وبطريقة فروسية فإن الاتحاد السوفيتى سوف يستخلص النتائج الضرورية من الموقف، وفى تأييده لهذا التحدى ذكر ممثل الاتحاد السوفيتى أنه ليس ملائما لرجل هزء بالعدالة الأولية أن يحتل مثل هذا المنصب كسكرتير عام وأخيرا وجد مبررا لكى يطلب من الوفود أن عليهم أن لا يخضعوا للعبارات الصاخبة التى تقال هنا منى فى محاولة لتبرير الجرائم الدامية التى تمارس ضد الشعب الكونغولى. وتستطيع الجمعية العامة أن تتوقع منى فى المجال ردا عن بيان موجه مباشرة إلى وفيما يتعلق بمسألة بمثل هذه الأهمية.

«وقد شهدت الجمعية العامة فى الأسابيع الماضية كيف تؤسس الحقيقة التاريخية فحالما يتكرر ادعاء عدة مرات فإنه لم يعد ادعاء بل يصبح حقيقة قائمة حتى ولم يكن هناك دليل قدم لتأييده ومع هذا فإن الحقائق متاحة لكل من يهتم بالحقيقة. فهؤلاء الذين يستشهدون بالتاريخ سوف يسمعون التاريخ بالتأكيد وسيكون عليهم أن يسمعوا حكمه والذى يصدر على أساس الحقائق من رجال متحررى العقول وصارمين فى اعتقادهم بأنه بتمحيص الحقائق فقط يمكن بناء مستقبل السلام وليس لدى سبب لأن أذافع عن نفسى وعن زملائى ضد الاتهامات والأحكام التى استمعت إليها. ودعونى فقط أقول إنكم وإنكم جميعا هم الحكام وليس هناك جانب واحد يستطيع أن يدعى هذه السلطة واثق أنكم سوف تسترشدون بهذه الحقيقة وبالعادلة بوجه خاص، دع هؤلاء الذين يعرفون ماذا فعلت الأمم المتحدة وما تفعله فى الكونغو وهؤلاء الذين لا يتبعون الأهداف الملائمة فقط لمصالحهم، دعهم يصدرن الأحكام على أفعالنا هناك، دع البلدان التى حررت نفسها فى الأعوام الخمسة عشر الماضية تتحدث عن نفسها. وإنى حقا آسف أن هذا التدخل الذى وجدت ضروريا أن أرد عليه قد اتجه مرة أخرى أن يضيف الطابع الشخصى على مسألة، والتى كما ذكرت هى من وجهة نظرى ليست مسألة رجل ولكن مؤسسة فالرجل لا يهم ولكن المهم

هى المؤسسة إن شخصا تنفيذا ضعيفا سوف يعنى أن الأمم المتحدة لن تكون قادرة على أن تخدم كأداة فعالة للحماية الأنشطة لمصالح هؤلاء الأعضاء الكثيرين الذين يحتاجون لهذه الحماية. فالرجل الذى يحمل مسؤولية التنفيذ الأول يجب أن يترك منصبه إذا أضعف الجهاز التنفيذى ويجب أن يبقى إذا كان ضروريا للحفاظ عليه وهذا فيما يبدو لى هو المعيار الوحيد والجوهرى الذى يجب أن يستخدم.

وقد قلت فى اليوم الماضى إنى لا أرغب فى الاستمرار فى العمل كسكرتير عام ليوم واحد لا تتطلبه الخدمة المستمرة وبيان هذا الصباح يشير أن الاتحاد السوفيتى يجد من المستحيل العمل مع السكرتير العام الحالى، وقد يبدو هذا سببا قويا لكى يجعلنى أستقيل، ومع هذا فإن الاتحاد السوفيتى قد أوضح كذلك أنه إذا استقال السكرتير العام فى الحال فإنهم لا يريدون انتخاب سكرتير عام جديد ولكنهم يصرون على ترتيب، أعتقد بناء على خبرة عريضة، سوف يجعل من المستحيل الاحتفاظ بجهاز تنفيذى فعال.

«وأتصور أنه باستقالتى فإن فى هذه الفترة الحاسمة وهذه اللحظة الفارقة من الخطورة والصعوبة سوف أقذف بالمنظمة فى الرياح، وليس لدى قصد فى أن أفعل هذا الآن لدى مسؤولية تجاه كل هذه الدول الأعضاء التى تعتبر المنظمة ذات أهمية حاسمة بالنسبة لهم، المسؤولية التى تتجاوز كل الاعتبارات الأخرى - إنه ليس الاتحاد السوفيتى - وحقا كل القوى الكبرى الأخرى - التى تحتاج الأمم المتحدة لحمايتها، إنهم كل الآخرين بهذا المعنى فإن المنظمة هى قبل كل شىء منظمتهم وإنى أعتقد بشكل عميق فى الحكمة التى سوف توجهكم. سوف أظل فى منصبى خلال فترة عملى الخادم للمنظمة فى صالح كل هذه الأمم الأخرى طالما أنهم يريدون منى ذلك. فى هذا السياق فإنه من السهل جدا أن تستقيل ومن الصعب جدا أن تبقى، إنه من السهل جدا أن تتنحى لرغبة قوة كبرى وهى مسألة أخرى

أن تقاوم، وكما هو معروف لكل أعضاء هذه الجمعية فقد فعلت هذا في عدة مناسبات وعدة اتجاهات فإذا كانت هذه رغبة هذه الأمم التي ترى المنظمة كأفضل حماية لها في عالم اليوم فسوف أستقيل الآن».

وقد استمعت الجمعية في صمت لهذه الكلمات حتى عبارة «المسئولية التي تتجاوز كل الاعتبارات الأخرى» حين انطلق ترحيب حماسي استمر لعدة دقائق كاملة. ومرة أخرى حين بدأ همرشولد عبارة «سوف أظل في منصبى» بدأ ترحيب آخر حاول أن يوقفه برفعه يدها وكان عليه أن يبدأ العبارة مرة أخرى، وحين انتهى نهضت الجمعية العامة على أقدامها بهدير من الموافقة والتصفيق الذي استمر لعدة دقائق(*).

وللمرة الأولى في حياته خالف همرشولد قاعدته في عدم استخدام الخطابة وباستمرار الترحيب بدا يبدو أنه غير مستريح بشكل حاد وقد كتب إلى رالف باناش ملاحظة مختصرة تقول: «هل قرأتها جيدا؟» وهي الملاحظة التي أجاب عليها باناش وأعادها إليه «على نحو كامل. كان الصوت أكثر الأصوات رنيناً سمعتها منك، وكانت السرعة محسوبة والنطق واضحاً شفافاً صافياً. كل هذا قد أضاف بشكل للنص الممتاز وهكذا فإنه أعظم وأكثر البيانات تلقائية في سجلات الأمم المتحدة. تهنتى».

همرشولد والدول النامية

توافقت فترة داج همرشولد كسكرتير عام للأمم المتحدة مع عصر تصفية الاستعمار وظهور دول جديدة على الخريطة الدولية وخاصة في أفريقيا وآسيا.

* عقب خطاب همرشولد جرى تصويت في الجمعية العامة حصل فيه همرشولد على الثقة بأغلبية ٨٣ عضواً مقابل ١١ - كانوا الكتلة السوفيتية بالإضافة إلى كوبا وغينيا) ورغم هذا التأييد الذي ناله همرشولد إلا أن سحب الاتحاد السوفيتي الثقة من السكرتير العام كان له تأثيره السلبي على أداء وقدرة همرشولد خاصة في مناطق أفريقيا والشرق الأوسط وآسيا وبشكل خاص على دبلوماسيته الوقائية.

وفى دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة الخامسة عشرة عام ١٩٦٠ وهى آخر دورة شهدها همرشولد - قبلت الجمعية العامة فى عضويتها ١٣ دولة أفريقية جديدة. وقد نظر همرشولد لهذا التطور خاصة من منظور الأمم المتحدة ومسئولياتها باعتبار ما يلقيه ظهور هذه الدول الجديدة على المنظمة الدولية من مسئوليات لمواجهة متطلبات هذه الدول للبناء وتنمية اقتصادها بما ستحتاجه فى هذا الشأن من مساعدات مادية وفنية دولية اعتبر همرشولد أن الأمم المتحدة يجب أن تكون القناة الرئيسية التى تشرف وتوجه من خلالها هذه المساعدات وتتولى الإشراف على تنفيذ برامجها.

وقد ساعدت خلفية همرشولد الأكاديمية والعملية فى الشؤون الاقتصادية والاقتصاد السياسى على تأصيل تصوره لمساعدة الدول النامية الجديدة على بناء اقتصادياتها ومجتمعاتها. فحتى أصبح سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة كانت حياة همرشولد مهتمة إلى حد بعيد بالمسائل الاقتصادية وفى جامعة أوبسالا، وبعد أن درس الفلسفة الاجتماعية والاقتصاد السياسى وتاريخ الأدب الفرنسى لمدة عامين، تخصص فى الاقتصاد وحصل على درجته عام ١٩٢٨ حيث كان عمره ٢٣ عاماً. وفى علم ١٩٥٧ درس الاقتصاد فى جامعة كمبريدج تحت إشراف جون مانيارد كينز وفى عام ١٩٣٠ أصبح سكرتيراً للجنة الحكومية للبطالة وكتب رسالته للدكتوراه الاقتصاد وعنوانها: The spread of business cycle.

وبحصوله على درجة الدكتوراه من جامعة استكهولم عام ١٩٣٣ أصبح أستاذاً مساعداً فى الاقتصاد السياسى بالجامعة وفى سن ٣١ وبعد أن خدم عاماً كسكرتير فى بنك السويد عين فى منصب الوكيل الدائم لوزارة المالية وعمل فى نفس الوقت كرئيس لمجلس إدارة البنك الأهلى السويدى وهو المنصب الذى ظل يتولاه حتى عام ١٩٤٨. ويبدو أنه منذ بداية حياته رفض أن يصبح اقتصادياً نظرياً منفصلاً عن العمل العملى وكانت مهارته

وهو فى وزارة المالية فى تحويل الأفكار إلى أعمال مدعما بإحساس حاد بالواقع السياسى وإمكانيات حيث واجه تحديه الكبير الأول.

وفى عام ١٩٤٧ عين وكيلا لوزارة الخارجية حيث كان مسئولا عن المسائل الاقتصادية وفى نفس العام كان ممثلا للسويد فى مؤتمر باريس حيث وضع مشروع ماريشال وفى عام ١٩٤٨ كان رئيسا لوفد السويد فى مؤتمر باريس لمنظمة التعاون الاقتصادى الأوربى ولعدة أعوام بعد ذلك عمل كنائب رئيس للجنة OEEC التنفيذية. وإلى هذه المهام وهذا التاريخ يعود حماس همرشولد للخدمة المدنية الدولية كأداة للدبلوماسية المتعددة وكذلك سمعته كمفاوض لامع فى أوربا. كما تخصص فى المشكلات الاقتصادية والتعاون الاقتصادى الدولى عندما شغل منصب وكيل وزارة الخارجية السويدية وسكرتير عام فيها ثم وزير الدولة فى عام ١٩٥١.

وفى الأمم المتحدة ورغم تنامى ضغط المسئوليات السياسية تابع همرشولد باهتمام خاص النشاطات الاقتصادية للمنظمة وظل اهتمامه الدائم فى ما عرف تقليديا بالاقتصاد السياسى وحيث كان بالنسبة له مظهرا واحدا لصورة أوسع للمجتمع وأداة تحقيق أهداف سياسية واجتماعية وأخلاقية. وفى رسالته الأخيرة وتقديمه لتقريره إلى الجمعية العامة أشار مرة أخرى لجانب أساسى لفلسفته للأمم المتحدة: مبدأ المساواة ونتائج الاقتصادية وقد منحه عمله كسكرتير للجنة الحكومية للبطالة خبرة للمشكلات الاجتماعية وضرورة التوسط للتوصل إلى حل عادل بين الجماعات والمصالح المتصارعة وهى التجربة التى لم ينساها أبدا.

وقد جاء همرشولد إلى الأمم المتحدة فى وقت كان النشاط الاقتصادى للمنظمة فى حالة تراجع، فالدول الصناعية الكبرى، خوفا من بزوغ أغلبية جديدة من الدول النامية، لم تكن مستعدة لكل توكل الأمم المتحدة فى نشاطات هامة حقيقية فى المجال الاقتصادى والاجتماعى وكانت تفضل

أن تعالج مشكلات التجارة من خلال الاتفاقيات العامة للتجارة والمسائل التي تؤثر في أشكال رءوس الأموال من خلال قنوات محافظة أكثر مثل البنك الدولي للإنشاء والتعمير IBRD وصندوق النقد الدولي IMF وحيث كان ثقل التصويت يعطى سيطرة للأقطار المتقدمة. في هذه الظروف فإن البرنامج النسبي .

للأمم المتحدة للمساعدة الفنية للبلدان النامية، وبغض النظر عن أهدافه المحددة، كان كافياً فيما يتعلق بدور الأمم المتحدة في حقل النشاط الذي أكدته الميثاق بقوة. وقد عقد همرشولد آمالاً كبيرة على إمكانيات هذا البرنامج وكان مصمماً أنه لا بد أن ينمو من مجرد مركز لتقديم منح دراسية وتعيين الخبراء إلى أداة هامة للتنمية الاقتصادية.

وقد أدى إحساس همرشولد بعدم المساواة بين الأمم سواء فيما يتعلق بالفرص أو بالمركز الحقيقي، إلى الاعتقاد إن شكلاً من الوعي الاجتماعي الدولي يجب أن يتدعم من خلال نظام معد جيداً وقوى للمنظمات الدولية، وكان مصمماً إن يحمي ويطور إمكانيات نظام الأمم المتحدة في هذا الدور. وقد فضلاً مثلاً حين تحولت المنظمة الأوروبية والتعاون الاقتصادي OEEC-

والذي لعب دوراً كبيراً في تأسيسها، إلى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD، وأعطت لنفسها مسئولية بالنسبة لمشكلات التنمية في العالم الثالث. وقد اعتبر هذا التطور كتطفل لنادي الرجل الغني في مشكلات تقع ضمن الاختصاص المشروع للأمم المتحدة وللأسس الأكثر اتساعاً وديموقراطية التي تستند عليها.

وحقيقة إن همرشولد لم يعيش لكي يرى نمو دور الأمم المتحدة في التنمية الاقتصادية وانتقالها من دورها مشى إلى أداة هامة للمساعدة. فقد تحقق هذا التطور تحت تأثير قبول أكثر من سبعين دولة في المنظمة

وبالتالى ظهور العالم الثالث كقوة هامة فى عملية اتخاذ القرار فى الأمم المتحدة. ومع هذا فإن آماله هى التى وجهت وألهمت هذا التطور. ومنذ البداية كان مصرا على أن الأمم المتحدة يجب أن تركز على نوع النشاط الاقتصادى والمهيا بشكل فريد لمباشرته وأنها يجب أن لا تتفق مصادرها الضعيفة فى أشياء مثل البحوث الاقتصاد والتحليل التى يمكن - أن تجرى وربما أفضل فى الجامعات والمؤسسات الوطنية الأخرى وكان يعتقد أن الدور الأكثر أهمية للأمم المتحدة يكمن فى التنمية الاقتصادية للبلدان الجديدة والأقل نموا والحاسمة سواء للنجاح النهائى لعملية تصفية الاستعمار وتأسيس نظام سياسى أكثر استقرارا فى العالم.

وفى البيانات التى كان يقدمها كل عام إلى المجلس الاقتصادى والاجتماعى حول السياسة الاقتصادية العامة احتلت مشكلات العالم النامى مكانا متزايدا فى الأهمية وعلى جانب آخر مثل الأمم المتحدة للوكالات المتخصصة تحديا خاصا لعقل همرشولد المنظم وقام بجهد مستمر لتحويل هذه المجموعة الضخمة الثقيلة الخطو إلى جهاز منسق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وكما ذكر عام ١٩٥٣ - لمجلس محافظى صندوق النقد الدولى:

«أينما يمكن أن نجد أنفسنا على خريطة مناخ السياسة الدولية علينا أن نحتفظ بوعى هادئ بالمطالب العاجلة التى تواجهنا. وإذ نعمل معا بشكل وثيق بهذا الوعى فسيكون لدينا فرصة كبيرة للوصول بسلام إلى مناخ هادئ وريح ثابتة،

وعبر سنواته فى الأمم المتحدة طور همرشولد أفكاره حول الدور الاقتصادى للمنظمات الدولية بتركيز متزايد على التزام الأمم المتحدة تجاه الدول النامية وكما ذكر للمجلس الاقتصادى والاجتماعى عام ١٩٥٦:

«لسوء الحظ فإن الانجاز الذى تحقق فى استقرار اقتصاديات الدول المتقدمة لانجد مثيلا له فى استقرار اقتصاديات الدول المتخلفة. كما أن

تقدما كافيا لم يتحقق فى استقرار وتكامل الاقتصاد العالمى ككل . ويستمر العالم فى انقسامه إلى منطقتين اقتصاديتين تقوم بينهما علاقات تجارية هامشية .. وفى الوقت الذى نمت فيه التجارة بشكل هام ، فإن تدفق رأس المال لم يكتسب أبدا الأهمية الذى كان عليها منذ جيل مضى سواء فى العلاقات مع التجارة أم بالنسبة للدخل والاستثمار .. فإذا أريد للدول المتخلفة حتى أن تحتفظ بنصيبها النسبى من الإنتاج الكلى العالمى ، فإنهم لا يستطيعون الاعتماد فقط على الصادرات المتوسعة للمنتجات الدولية إلى الدول الصناعية وإنما يجب أن تشرع فى برنامج للتنمية الاقتصادية الواسعة وهدف معقول للتنمية الاقتصادية يجب على الأقل أن ينص على معدل أعلى للنمو الاقتصادى أكثر من الدول المتقدمة وإلا فسوف يكون مستحيلا أبدا زيادة حصة الدول المتخلفة فى توزيع متوسط الدخل للعالم . وفشلنا حتى الآن فى تحقيق هذا الهدف إنما يصور بطريقة مأساوية حاجتنا لتكثيف جهودنا القومية والدولية للإسراع بعملية التنمية الاقتصادية» .

وقد كان هershولد قلقا بوجه خاص من مشكلة تذبذب الأسعار العالمية للسلع من الدول النامية التى تعتمد اقتصادياتها إلى حد كبير على منتج واحد ، وكان يؤيد بقوة محاولة تنظيم تقلبات سعر السلع الأولية باتفاقيات دولية . وكما لاحظ عام ١٩٥٦ :

«من الأمور المخيبة للأمل أن تقدما ضئيلا قد تحقق فى استقرار أسعار السلع الأولية . غير أن الكثير يمكن عمله إذا ما أظهرها نفس الفهم والإرادة الجيدة الذى أظهرناه فى تطوير برنامج المساعدة الفنية . إن التقلبات العنيفة فى أسعار السلع الأولية ، وهى المصدر الوحيد للعملة الأجنبية ، ، إنما يشل جهود الدول النامية من أجل تنمية طويلة الأجل ، كما أن هذه التقلبات لاتخدم هدفا مفيدا للدول المتقدمة وماتعنيه هذه التقلبات للأقطار المختلفة يمكن استيعابه وفهمه من حقيقة أن تغيرا فى ٥ ٪ فقط فى

متوسط أسعار صادراتهم إنما تساوى كل التدفق السنوى للرأسمال الخاص والعام والمنح الحكومية للدول المتخلفة».

وكان همرشولد يمقت، فى العلاقة بين الدول المتقدمة والمتخلفة، صور التفضل والوصاية الأبوية والاتجاهات الاستعمارية الجديدة. وقد وصف عبارة الدول المتخلفة فى حديثه أمام غرفة التجارة الدولية عام ١٩٥٤ بأنه «لفظ غريب إذا ما أدركت أن بعض الدول لها حضارات تترد إلى أبعد من أى شىء نعرفه. فقد حصلوا على نصج الفرد بشكل يجعلك تشعر بالتواضع - إنهم متخلفون فقط بالمعنى الاقتصادى غير أنهم من أجل أن يفوا بمطالب شعوبهم فى طريقه للحياة مقارنة بالدول المتقدمة فإن عليهم أن يحققوا فى حقتين أهدافا حققتها الدول المتقدمة على الأقل فى ٢٠٠ عام، وفى المناخ المعادى للاستعمار فى الوقت الحالى، فإن المساعدة يجب أن تكون حرة من أى طابع للاعتماد أو الخضوع للضغوط السياسية، فقد كانت الأمم المتحدة فى وضع فريد لتلبية هذا المطلب وبإدخال الأقطار المتخلفة فى السوق العالمى والطريقة السليمة فإن الأمم المتحدة إنما تضع أيضا الأساس الذى لاغنى عنه للعالم يمكن للأسباب الأساسية للصراعات السياسية أن تخفض.

وكما ذكر عام ١٩٥٦ أيضا «بالنسبة لنا فى الأمم المتحدة وبالنسبة لكل الحكومات التى تمتلك شعورا نحو مستقبل هذا العالم فإنه من التحديات الضرورية أن تواجه الحاجات الاقتصادية للأغلبية العريضة للبشرية وأقول هذا بعقل بارد وأفكر فقط فى المشكلة السياسية».

وباعتبار أن موارد الأمم المتحدة ضئيلة للغاية مقارنة بالمشكلات الواسعة والمعقدة للفقراء فى العالم فإن همرشولد لم يتوقف أبدا عن تأكيد هذا التناقض وفى الدعوة والنداء إلى مبالغ للمساعدة الفنية للتنمية الاقتصادية. كما أنه أمعن النظر فى ضرورة تدريب الأفراد اللازمين لتنفيذ

برامج عالم للتنمية الاقتصادية، وكان أحد الأشكال الجديدة للمساعدة برنامج أفراد منفذين للعملياتسمى:

operational and Executive personnel programme(opEx).

وقد طرح هذه الفكرة لأول مرة فى خطابه أمام جامعة ماكجيل فى مايو عام ١٩٥٦ والذى ربح فيه بفكرة ليستر بيرسون بتأسيس خدمة مهنية دولية وفنية للأمم المتحدة بخبراء مدربين بشكل خاص للعمل فى المناطق المتخلفة. ويعتمد هذا المشروع على تعبئة أناس مؤهلين والذين - رغم احتفاظهم بوضعهم الدولى سوف يعملون فى الدول النامية كجزء من إدارتها الوطنية وسوف يخدم أفراد هذا البرنامج حتى يتم تدريب أفراد محليين بشكل كافٍ لى يحلوا محلهم.. وسوف يتلقون رواتبهم من الحكومة الوطنية ولكن إذا دعت الضرورة فإن الأمم المتحدة سوف تدفع الفرق بين مرتبتهم وبين ماكانوا يتلقونه فى بلادهم.

وقد تحمس همرشولد لهذه الفكرة وسماها عام ١٩٥٦ «بطفلى المفضل فى الوقت الراهن» واقترحها أمام المجلس الاقتصادى والاجتماعى فى جنيف هذا العام. وفى تقديمه كاقترح رسمى للجمعية العامة عام ١٩٥٨ دعا البرنامج بأنه واحد من أهم القضايا منذ أن بدأ برنامج المساعدة الفنية للأمم المتحدة عام ١٩٤٩ «أنه بالطبع النقيض الكامل للبرامج ذات الطبيعة والترتيبات الاستعمارية، إنه سوف يبدأ فقط عندما تطلبه الحكومات ويمكن أن يتوقف فى أى وقت من جانب الحكومة المعنية وبقرارها الخاص».

ورغم الصعاب التى واجهها المشروع فقد استطاع همرشولد أن يعلن عام ١٩٦٠ أن المرحلة التجريبية للبرامج قد انتهت وأن البرنامج سوف يكون دائما جزء من برنامج المساعدة الفنية واكتسبت الفكرة - وإن كان ببطء قوة اندفاع وبعد عشر سنوات كان هناك ٨٦ من أعضاء هذا البرنامج من الأمم المتحدة وحدها يقدمون خدماتهم عبر العالم كله.

وفى نطاق اهتمامه بأن جعل المساعدة الاقتصادية الفنية للدول النامية فعالة، شغلت الدول المناهضة فى أفريقيا اهتمام همرشولد بشكل متزايد منذ عام ١٩٥٨. ومع قوة الاندفاع التى اكتسبتها حركة الاستقلال الأفريقى والتى صاحبها فى نفس الوقت فضاء تغمره المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتحدة فأعضاء الأمم المتحدة من الدول الأفريقية الذين كانوا عشرة عام ١٩٥٨ أصبحوا ٢٧ عضوا عام ١٩٦١ وفى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٥٨ توجه همرشولد إلى أديس أبابا لى يفتتح الدورة الأولى للجنة الاقتصادية الأفريقية. وفى جنيف عام ١٩٥٨ خاطب المجلس الاقتصادى الاجتماعى بقوله: «هل نحن متأكدين أن هناك وعيا كافيا بالمشكلات والاحباطات التى تتجمع بشكل متزايد فى الأقطار المتخلفة مع نمو إدراك شعوبها أكثر فأكثر بحقيقة أن الوقت يتسرب منهم، هل نستطيع أن نظل قانعين بحقيقة أن كل الجهود فى السنوات الأخيرة - ولأود أن أقل من شأنها - مازالت غير كافية لمنع الفجوة بين البلدان الفقيرة والغنية من أن تستمر إلى الأبد؟ إن ثمة شعورا منتشرا فى البلدان النامية بالحاجة إلى تقدم كبير على طريق التنمية الاقتصادية.

وتعبيرا عن اهتماماته بالعالم الثالث فى دوله النامية عمد همرشولد إلى إجراء زيارات واسعة لهذه الدول وكان هدفه الرئيسى هو مقابلة قادتها وأن يحصل على معلومات مباشرة عن مشكلاتها.

وقد حملته رحلته الأولى من هذه الرحلات إلى ١٢ دولة فى يناير عام ١٩٥٦ فى الشرق الأدنى وآسيا، والجولة الثانية فى مارس ١٩٥٩ إلى ٩ دول اسيوية وفى نهاية عام ١٩٥٩ قرر أن يقوم بجولة واسعة أفريقية، وفى اعلانه عن هذه الجولة أمام مؤتمر صحفى قال: «لقد أردت أولا وقبل كل شىء وبالقدر الذى استطيعه أن أحصل على الأقل على العلاقات الشخصية الضرورية وعلى النوع الصحيح من المناقشات وتبادل الرأى

وأستطيع أن أقتطف كمثال هو أنى لم أكن لأقدر على أن أفعل ما فعلته فى لاوس مالم يكن لدى ميزة المعرفة الشخصية من زيارة سابقة مع هؤلاء الذين يتحملون المسؤولية.. أنى اتذكرها كمثال على كيف يمكن للصلة الشخصية فى ذاتها أن تضيف بشكل جوهوى لما يمكن أن تفعله من زاوية الأمم المتحدة . أريد أن أحصل على هذه الميزة ومن أحل ذلك على أن أقضى هذه الأسابيع من الصلات الشخصية .

وقد امتدت رحلته الأفريقية من ٢١ ديسمبر ١٩٥٩ حتى نهاية يناير ١٩٦٠ قام بها بطائرة خاصة إلى ٢٤ دولة أفريقية وأقاليم ومناطق توقف خلالها ٢٧ مرة كل منها ليوم أو يومين وحملته هذه الرحلة إلى السنغال وليبيريا وغينيا وغانا وتوجو لاند الفرنسية ولاجوس وياوندى الإنجليزية والفرنسية وكادونا فى شمال نيجيريا والكونغو الفرنسية، واليويبولد فيل، وستانا فيل فى الكونغو البلجيكية، ورواندا اورندى، (بعد ذلك رواندا بور أندى) وتانجانيقا وزنبار ومومبسا ونيروبي واوغندا والصومال واثيوبيا والخرطوم. وبعد مناقشات فى القاهرة إلى تونس ومراكش. وبالنسبة لرجل أقل طاقة وعزما والتزاما فإن مثل هذه الرحلة كانت ستكون مرهقة للغاية وسلسلة من مقابلات المطارات الرسمية والواجبات والمناقشات، غير أن همرشولد عاش كل لحظة فيها بحماس عاطفى وحب استطاع وحصل على انطباعات مباشرة وعن تنوع المشكلات والاتجاهات فى القارة الافريقية وقد قدمت، كما أ برق لأحد مساعديه من ليوبولد فيل غذاء للفكر يحمل على التحدى بشكل متزايد «كما قدمت له الرحلة فرصة لشرح وجهات نظره لقادة أفريقيا الجديدة وأن يستمع لوجهة نظرهم وأن يقيم معرفة شخصية بهم. وقد انتهز كل فرصة ممكنة لكى يؤكد الفرق بين خبراء الأمم المتحدة والموظفين الاستعماريين وكما ذكر لمؤتمر صحفى فى دار السلام: «فى نطاق حدود صارمة لأهداف محددة وحيث ليس هناك إمكانية لملا الفراغ للافتقار للمرشح الوطنى فقد تقدمنا وبعثنا برجل أو انتخبنا رجلا

للحكومة، وقد اقامت قاعدتين صارمتين جدا فى هذا الشأن: إنها يجب أن تكون بمبادرة وطلب الحكومة المعنية وبحيث لانريد أن نقم ايدينا بدون دعوة، فإذا مارحب برجل فإن نصف واجبه يجب أن يكون هو أن يعمل بسرعة على تعليم عنصر وطنى لكى يحل محله بقدر السرعة. إن جزءا كبيرا من خدمته هو أن يجعل نفسه غير ضرورى»

وقد تأثر همرشولد تأثرا كبيرا بالجيل الجديد من القادة الأفارقة والذي وجد العديد منهم مرموقين فى أسلوبهم المباشر بما لا يشبه أى شىء سبق أن قابلة، كما هالته ضخامة مشكلات أفريقيا والصعاب الواضحة المنتظرة لبلد مثل الكونغر البلجيكى والتي كانت مقبلة على الاستقلال دون استعداد تقريبا لحكم نفسها ولكنه رأى بشكل مباشر الميراث المعقد الذى فرضه الاستعمار على افريقيا وما فعلته القوى الاستعمارية الأوربية فى نهاية القرن ١٩ دون اعتبار للحقائق القبلية أو الاقتصادية والمشكلات التى سوف تخلقها للأمم الجديدة حين تستقل. وفى طريق عودته إلى نيويورك دعا فى خطاب امام اللجنة الاقتصادية لأفريقيا فى طنجة إلى التعاون الاقتصادى المباشر من خلال تنسيق السياسات وتوسيع التجارة الإقليمية والعمل المنسق فى النقل والاستثمارات الأساسية. وفى هذا تصور همرشولد أن التقدم سوف يكون أكثر صعوبة إذا كان على كل دولة أن تتقدم بنفسها فقط بما قد تحصل عليه من مساعدة من خارج القارة وأنه وفقا للظروف التاريخية يجب أن نعترف بحقيقة أن حدودا سياسية سوف تتقاطع مع مناطق اقتصادية طبيعية وبطريقة سوف تجعل المشروعات الاقتصادية المفيدة مستحيلة دون عمل منسق من المناطق المتجاورة. وبناء على الخبرة التى حصلها من رحلته الافريقية قال همرشولد « باعتبارى عائد من جولة عبر القارة ربما يكون طبيعيا أن أذكر الأهمية القصوى لشبكة من النقل الداخلى والمواصلات ومن الأنهار الدولية والتى بدونها فإن الإمكانيات الاقتصادية لأفريقيا لن تتحقق» .

مثل هذه النظرة البعيدة التى بدت فى شهر العسل لعام استقلال أفريقيا قد تبدو أقل سذاجة من الآن ولكن الشهور الثمانية عشر التالية سوف تظهر مشكلات أكثر إلحاحا وسوف تظل رؤية همرشولد لقارة تنطلق على طريق التعاون الناجح بقيادة قادرين جدد وبمساعدة ونصيحة الأمم المتحدة. وقد قيل بعد ذلك: إن جولته الأفريقية قد أعطته وجهة نظر غير واقعية ومبالغة فى الأمل وهى وجهة النظر التى سببت فى خيبة الأمل التى سبقت موته غير أنه صحيح أيضا أن ضغوط أزمة الكونغو كانت ستكون بالتأكيد أكثر صعوبة بالنسبة له دون هذه الصلة الشخصية المبكرة. مع قادة أفريقيا الجدد.

وقد كان من الواضح أن جولة همرشولد الأفريقية قد شجعت تصميمه على أن تطلب الأمم المتحدة دورا ملائما فى تنمية أفريقيا: «أن الرحلة قد جعلتني بشكل قليل أكثر حكمة وبشكل أكثر تواضعا ، وقال بعد عودته: «الحقيقة الأكثر تشجيعا أنه عبر نطاق واسع من البلدان تجد الجيل الجديد من قادة أفريقيا على أكبر قدر من الحرية والتكرس والذكاء وانى واثق أن هذه البلدان هؤلاء القادة سوف تسير فى طريق المستقبل السعيد».

وهنا يبدو جانب المبالغة فى التفاؤل الذى سيطر على همرشولد كما ذكر للجنة الاقتصادية لأفريقية «أن الصورة التى عدت بها هى صورة منعشة من الشباب والقوة وبشكل عام من الجدارة من جانب القادة لاستيعاب الحقائق على الرغم من عدم الصبر المفهوم والتيارات الأيديولوجية القوية والتى هى مكونات ضرورية للتغيرات السريعة التى تجرى الآن».

وبعد جولته أصبحت أفريقيا موضوعا مسيطرا فى مؤتمرات الصحفية وخطبه وبياناته: «أن هناك أناس قادرين بشكل كبير فى القارة ولكنهم قلة ذلك أن فترة النمو والتعليم والتكوين السياسى فى أفريقيا كانت قصيرة

جدا.. وفي مثل هذه الفترة القصيرة كان من الطبيعي جدا أن تبرز هذه المجموعات والطبقات الاجتماعية التي يمكن أن تخرج منها إدارة وقيادة سياسية. أن هذه البلدان عليها أن تعتمد على عدد قليل من الناس وبشكل تعوض النوعية الأعداد والكم وباعتبار ماسوف تحتاجه الأقطار الجديدة من خبراء أجانب وفنيين فقد لاحظ همرشولد «أنه بينما تحققت بعض الاستثمارات الملفتة للنظر، إنه من الواضح أيضا الافتقار إلى ما أستطيع أن أسميه البنية التحتية الاقتصادية اللازمة لوحدة سياسية، كما سوف يكون مطلوبا جهدا تعليميا ضخما لكي يتحقق للناس ليس فقط الوعي القومي ولكن إلى الدرجة التي يشكلون فيها كأفراد أحرار حكمهم على المسائل السياسية».

وأخيرا فقد كان همرشولد على وعى حاد بما أسماه: «أهمية التأييد المعنوي، لأن البشر والمال والتعليم قد لا تعنى شيئا مالم تقدم بالروح الصحيحة.. فلا الشعور بالتفوق الزائف ولا الشعور بالتشاؤم العقيم أو التفاؤل السهل، ما هو مطلوب هو الواقعية والفهم»..

وقد كان هذا التناول بشكل خاص تحديا للأمم المتحدة لأنه كان من السهل على البلدان الجديدة أن تتلقى المساعدة المالية والفنية من جهاز دولي أكثر مما تتلقاه من دولة واحدة وقال «إنه حتى ومالم تشعر البلاد المتلقى أن هذا عمل من أعمال التضامن داخل منظمة لهم فيها حقوق متساوية مع المانحين، فلن نصل حقا إلى النقطة المثلى ليس فقط سيكولوجيا ولكن سياسيا واقتصاديا».

لعل هذه الأفكار والتصورات عن واقع الدول ومستقبل الدول الأفريقية الجديدة ومسئوليات المنظمة الدولية والمجتمع الدولي تجاهها وأكثر من هذا تصور مشاركتها على قدم المساواة في القرار الدولي، لم يكن من المحتمل أن تلقى التقدير من بعض الدوائر الغربية.. بل إنه حتى شخصية دولية

اشتراكية مثل بول هنرى سباك سوف يكتب بعد هذا بعدة سنوات: «إنه لم يكن هناك شك فى تأثيره على بلدان أفريقيا وآسيا. لقد دعم هذه الثقة دون أن يكون منصفاً لأوروبا ولقد مرتجربة معاداة الاستعمار وهى منتصرة ومشتعلة وقد شارك فيها بإحساس بالواجب ولكن أيضاً وأنا واثق عن اقتناع».

وقد أظهر همرشولد وعيه باتجاهات أوروبا نحو تصفية الاستعمار فى خطبة له فى جامعة لوند Lund فى السويد ٤ مايو ١٩٥٩ «أن المرء يمكن أن يتطلع إلى الخلف وإلى الهدوء المستحيل للعالم المغلق وقد يجد تحرر وطنه الروحى فى عملية التفكك نفسها ومأساتها، أو قد يتطلع المرء إلى الأمام نحو ومضة يلهمها حلم حضارة جديدة وحيث تتحقق على مستوى يضم العالم كله، وقد استخدمت عبارة تضامن، إنها عبارة أساسية فى هذا الخصوص وبالنسبة لى إنها الإجابة على الأسئلة وردود الفعل المثيرة والتى مازالت فى بعض الأحيان منتظرة ومن هؤلاء الذين حصنوا انفسهم فى الماضى ونظروا غالباً إلى أى أوربى لايبكى على قوى أوروبا المتراجعة كخائن».

وقد كان رد فعله قويا ضد وجهة النظر التى يعتنقها البعض فى الأمم المتحدة والتى ترى المنظمة كنادى مغلق على نفسه، ويعتبرون أن وصول الأمم الأفريقية الجديدة سوف تقلب الأوضاع فى المنظمة الدولية وتزعجها. فقد قال عام ١٩٦٠: «إنى أعتقد بقوة وقدرة هذه الدول على أن تقدم مساهمة قيمة بمجرد أن تجد طريقها فى متاهة الأمم المتحدة، واثق أنهم سوف يضيفون حياة للمناقشات وللنظر فى المسائل. إن ما يصدى هو فكرة أن الدول الجديدة يمكن أن تأخذ مواقف غير مسئولة وأنا نفسى لأعتقد فى ذلك لحظة.. وأن من الطبيعى تماماً أنهم مثلنا جميعاً عليهم أن يتلمسوا طريقهم عبر النظام السياسى وإطار الإجراءات والذى كان حتى الآن غير معلوم لنا».

ويبدو أن وجهات نظر همرشولد في أفريقيا قد أثارت أسوأ مخاوف الرئيس الفرنسي ديغول ففي لقائهم الأول عام ١٩٥٩ تحدث همرشولد مطولا حول الاتجاه السياسى للاستقلال الحتمى للمستعمرات الفرنسية فى أفريقيا، فى نفس الوقت الذى اعتبر فيه أن نصيحة ومساعدة فرنسا سوف تكون مطلوبة فى النطاق والبيئة الواسعة التى تقدمها الأمم المتحدة وحتى لاتبد و مساعدتها كعمل من أعمال التفضل ولكن مساعدة يقدمها الشقيق الأكبر إلى الأصغر وكلا منهما له حقوق متساوية والاحترام الذاتى وإمكانية المكانة المتساوية. وكان من وجهة نظر همرشولد أن ربط الماضى بالحاضر وما سيكون على القوى الاستعمارية أن تقدمه لأفريقيا سوف يقدم بشكل أفضل من خلال الأمم المتحدة والتحرر من الشكوك الأفريقية فى والنوايا الغربية كما كتب فى مارس عام ١٩٦٠: «أن التنمية الأفريقية تضع المجتمع الدولى موضع الاختبار.. وفى الأمم المتحدة عليها أن تحارب ضد عقبات سياسية ثقيلة وبموارد ضعيفة جدا لكى تقوم بأدنى الضرورات التى يطلبها القادة الأفارقة بشكل متحمس. وتنظر القوى الاستعمارية السابقة إلى ذلك بعدم الموافقة وآخرين بالغيرة، والنتيجة واحدة فى كلا الحالتين ومع هذا علينا أن نسلك وفقا لتقديرنا ولهذه الواجبات التى فرضها علينا المنتقدون أنفسهم كموقعين على الميثاق».

همرشولد ونزع السلاح

ألمحنا فى تقديم هذا الفصل أن اهتمام داج همرشولد بقضية نزع السلاح كان يصدر أساسا ويتفق مع تطور الأمم المتحدة وباعتبار الأبعاد التى بدأ يكتسبها سباق التسلح سواء فى تسارعه أو فى خطورته المهددة للبشرية بأسرها وذلك بعد بزوغ العصر النووى والقوة التدميرية الكاملة والتى يمكن أن تشمل البشرية بأسرها.

بهذه الأبعاد اعتبر همرشولد أن قضية نزع السلاح والحد منه لم تعد تهم فقط القوى الكبرى وإنما البشرية بأسرها ممثلة في المجتمع الدولي بكل وحداته الكبيرة والصغيرة. لذلك سوف نجد إصرار همرشولد أولا على أن مناقشة قضايا نزع السلاح هي اختصاص أصيل للأمم المتحدة ويجب أن تجرى أساسا في نطاقها وثانيا على أهمية مشاركة الدول الصغيرة والمتوسطة في اللجان والمنابر التي شكلت لبحث قضايا نزع السلاح وأن لا يقتصر ذلك فقط على القوى الكبرى وتحالفاتها.

غير أنه في نفس الوقت فإن همرشولد لم يكن لديه أو هام أكيدة حول امكانية تقدم مبكر وسريع حول نزع السلاح ولكنه ظل عميق الاقتناع بأن الجهود يجب أن تبذل وتستمر وإنه حتى لو حققت هذه الجهود مكاسب قليلة ومتقطعة إلا أنها تبرر الطاقة التي تبذل في سبيلها.

وفي عام ١٩٥٥ أجاب على ما اعتبره سؤالا انهزاميا حول نزع السلاح: اننى أثق بقوة ضد التشاؤم المبطن في هذه العبارات الساخرة بل أعتقد أنها من قبيل عدم المسؤولية. إنه ليس هناك شواهد أو خبرات تجعلنا نحاول مرة أخرى، ومن الصحيح أن هناك تداخلا بين الجو السياسى من ناحية ونزع السلاح من ناحية أخرى ولكن حين يقول الناس هذه العبارات البسيطة إنه اذا تحسن الموقف السياسى فسوف يتبعه نزع السلاح وإنه لهذا السبب فإنه ليس هناك معنى لمناقشات نزع السلاح فإنهم بهذا يتجاهلون عاملا جوهريا.. إن دراسة نزع السلاح ذاتها ربما تكون القوة الدافعة والمحركة للتقدم نحو تفاهما دولى أعظم. وهذا يعنى أن نزع السلاح ليس أبدا نتيجة الوضع السياسى فقط، إنه جزئيا أداة لخلق الوضع السياسى . وفيما أعتقد فإن علينا أن نظهر صبرا أعظم في هذا الميدان أكثر من أى وقت مضى .

وعندما بدأ الجو الدولي ينبىء ببعض التحسن خاصة بعد مؤتمر قمة جنيف عام ١٩٥٥ بدأ همرشولد يعطى اهتماما أكبر لقضايا نزع السلاح. وفي عام ١٩٥٧ بدأ يستكشف إمكانية وقف تجارب التفجيرات الذرية كما دفعه تطور سباق التكنولوجيا الفضائية بعد إطلاق السوفييت للقمر الصناعي عام ١٩٥٧ واقترح عقد جلسة لمجلس الأمن لمناقشة التوقف فى مباحثات نزع السلاح كما بادر إلى تقديم بيانات أمام المجلس عن وضع نزع السلاح مثلما فعل فى أبريل عام ١٩٥٨ مستخدما فرصة تقديم كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة مقترحات حول نزع السلاح: (الاقتراح الذى قدمه الاتحاد السوفيتى لاتخاذ إجراءات عاجلة لوضع حد لطلعات الطائرات العسكرية الامريكية المزودة بقنابل ذرية وهيدروجينية فى اتجاه الاتحاد السوفيتى واقتراح الولايات المتحدة انشاء منطقة تفتيش فى المنطقة القطبية الجنوبية والبدء فى نظام تفتيش دولى يهدف إلى إزالة خطر الهجوم المفاجئ).

فى ظل هذا كان همرشولد يتحدث باسم الشعوب «التي تتوقع بشغف التخلص من هذا الكابوس الراهن وهى الشعوب التي ينعكس صوتها فى الميثاق الذى أعمل وفقا له» وكانت ملاحظات همرشولد تلك «تعبيرا عن مشاعر عميقة تجرى فى العالم كله ولها الحق أن تسمع هنا خارج نطاق سياسات الحكومات إنى آمل أن كلا من الحكومات الممثلة حول هذه المائدة سوف تحاول أن تتصرف على أساس من الثقة كمخرج من التفكك والانحدار الذى نعانى منه جميعا».

غير أن هذا التدخل من جانب همرشولد أخذ بشكل خاطئ وقوبل بامتنعاض من جانب القوتين، وإزاء رد الفعل الذى قوبلت به ملاحظاته حرص همرشولد على أن يوضح بشكل أكثر دوافعه وفهمه بل وأسلوب معالجته لهذه القضية: «ثمة نقطة فى تطور نزع السلاح حيث إنه فى كل

مرة تتخذ فيها مبادرة بنية طيبة فى نتائجها وفوائدها الممكنة فإنها لا تتكشف بشكل خاص ولدى إحساسنا بأننا قد فاتنا القطار وعلينا أن نكون متأكدين أن الطريق لن يظل مفتوحا باستمرار أمام القطارات فى المستقبل. إن هذا الشعور بالعجلة والشعور بالمسئولية تجاه كل فرصة جديدة اينما جاءت وأيا كان مضمونها المحدود هو ما دفعنى إلى أن أشعر أننا أمام واحدة من المناسبات التى تشكل فيها سياسات السكرتير العام وإلى حد كبير جزءا من واجبه وهى مكمله وتتفق جدا مع الدبلوماسية الخاصة .. وكما ترون فإن أى انبعاث صغير يمكن أن يؤدى إلى صدع، والصدع يمكن أن يؤدى إلى انفتاح وعندئذ يمكنك أن تخترق الحائط ..»

غير أن أهم ماميز تناول واهتمام همرشولد لنزع السلاح باعتباره أنه من الاهتمامات المشروعة والمشاركة لكل الدول الأعضاء هو معارضته، وحينما كان ذلك ممكنا، الميل لمعاملة نزع السلاح باعتبار أنه اهتمام خالص يهم القوى العظمى وحدها وبشكل يجعل من الأفضل تناوله خارج نطاق الأمم المتحدة. ولذلك فإنه فى عامى ١٩٥٨، ١٩٥٩ حين كانت لجنة نزع السلاح فى حالة توقف أصر همرشولد على تضمين بند حول نزع السلاح على جدول أعمال الجمعية العامة كما قاوم دائما مفهوم الصفوة الذى أدى إلى مناقشة موضوعات هامة مثل نزع السلاح أو مستقبل الطاقة الذرية بواسطة عدد محدود من الدول فقط وخارج نطاق الأمم المتحدة. فحين كانت الوكالة الدولية للطاقة الذرية تحت الإنشاء قاوم همرشولد الاتجاهات الاستقطابية التى كانت تهدف إلى فصل الوكالة بقدر الإمكان عن المجرىات السياسية للأمم المتحدة. وقد اعتبر همرشولد أنه مادامت الوكالة يمكن أن تلعب دورا رئيسيا ليس فقط فى الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية، ولكن أيضا فى نظام التحكيم فى التسلح فى المستقبل والضمانات النووية والتفتيش فقد حاول فى الأصل أن يجعل من الوكالة

جهازا ضمن اطار الأمم المتحدة ذاتها، ولكنه فشل فى ذلك إلا أنه أصر أن تبقى الوكالة على صلة وثيقة بالأمم المتحدة، وفى وجه اعتراضات العلماء واعداء العالمية الذين اعتبروا أن الوكالة الدولية للطاقة يجب أن تظل بمنأى عن المشاحنات السياسية للأمم المتحدة وإحباطاتها، رد همرشولد بأن هذه وجهة نظر غير واقعية طالما أنه - سواء أحب العلماء أم كرهوا - فإن الطاقة الذرية هى عامل رئيسى فى السياسة العالمية وقد تجسد إصراره على علاقة خاصة بين الوكالة والأمم المتحدة بشكل رسمى فى الاتفاقية بين الوكالة والأمم المتحدة. وقبل اقتراحه بأن تقدم لجنة الأمم المتحدة العلمية الاستشارية النصيحة للوكالة.

ومن الأمثلة البارزة على إصراره على الطابع والمضمون الدولى لنزع السلاح ومناقشاته ولجانه والأجهزة التى تعالجه شعوره بالابتئاس حين علم أن وزراء خارجية الدول الكبرى قرروا إنشاء لجنة جديدة لنزع السلاح هى لجنة العشرة:

TEN NATIONS DISARMMENT COMMITTEE

خارج الأمم المتحدة، وإن كانت مرتبطة بها بشكل غامض، وتتكون هذه اللجنة من الدول الأربع الكبرى وست دول أخرى مرتبطة بهم. وقد كان رد فعله فى الحال قويا تجاه هذه الخطوة. وفى مذكرة إلى الدول الغربية الكبرى فى نيويورك اعتبر أن هذا الجهاز الجديد الذى لا يضم ممثلين عن آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أو الدول المحايدة فى أوروبا إنما هو «بناء ثنائى محض» ولا يمكن الادعاء بأنه يتصرف نيابة عن الأمم المتحدة. ورغم أنه كان من الحقائق أن لجنة نزع السلاح التى أنشأتها الجمعية العامة عام ١٩٥٨ لى تضم كل أعضائها لم تكن قادرة على أداء المعمل المطلوب بشكل سليم، إلا أن همرشولد اعتبر أن القوى الكبرى لاتستطيع أن تتجاهل وجودها كلية، وقد كان من الواجب على الأقل إخطار

لجنة نزع السلاح بقرار إنشاء لجنة العشرة الجديدة وأن تقدم هذه المجموعة تقاريرها إلى لجنة نزع السلاح.

والواقع أن ردود فعل همرشولد واحتجابه لم تذهب هباء فقد تضمن البيان المشترك للقوى الأربع الكبرى بإنشاء هذه اللجنة إن قرار إنشاء هذه المجموعة لا ينتقص باى حال أويغور على مسئوليات الأمم المتحدة فى هذا الحقل «بل إنه أخذ بعين الاعتبار المسئولية الخاصة التى تقع عليهم للوصول إلى قاعدة للاتفاق» وقد كان المأمول أن هذه المجموعة سوف تقدم قاعدة مفيدة لمزيد من النظر فى نزع السلاح فى الأمم المتحدة «كما سوف تبقى لجنة نزع السلاح على علم كامل، وكخطوة أولى وفى هذا الاتجاه فقد طلبوا من السكرتير العام عقد لجنة نزع السلاح خلال سبتمبر ١٩٥٩ إذا كان هذا ممكنا من أجل أن يخطر الأعضاء بشكل كامل بطبيعة وأهداف المداولات»

وقد أثبتت التطورات مخاوف همرشولد من حدود وطبيعة مجموعة العشرة الجديدة ، فقد قدم الأعضاء الغربيين فى مجموعة العشرة اقتراحا عارضه الاتحاد السوفيتى ووفود الدول الاشتراكية لإنشاء منظمة دولية مستقلة لنزع السلاح، وقد صدم همرشولد من عدم المسئولية والافتقار للواقعية وهذا النوع من «اللهو» الذى اعتبره محاولة لخداع النفس ولخلق أمم متحدة جديدة من أجل الالتفاف حول بعض جوانب الميثاق التى لا ترضى واضعى الخطة الجديدة . وكما كتب لوزير الخارجية الأمريكى فى مارس ١٩٥٩ : .. إن هناك فى الوقت الحاضر اتجاهًا غريبًا للتفكير أجده مقلقا .. فإذا مانوقش الحد من التسلح خارج نطاق الأمم المتحدة وإذا مانجحت الجهود الحالية لبناء جهاز دولى ذى عضوية واسعة لمساعدة الدول النامية فإن النتيجة ستكون أضعاف التعاون الدولى الشامل، وسوف تسلب الأمم المتحدة جزءا هاما من مضمونها الجوهرى دون أن نخلق

بدائل جديدة قابلة للحياة»، ويبدو أن حجج همرشولد قد نجحت في إقناع الولايات المتحدة بعدم عملية الخطة الجديدة.

ماذا بقى من همرشولد

كيف نستطيع اليوم بعد مرور قرابة حقبة أربع أن نقيم خبرة وتجربة داج همرشولد في الأمم المتحدة، وأن نرى شخصيته وفكره وممارسته لدوره وتصوره للمنظمة الدولية؟ صحيح أنه قد ظهر وعمل في عصر مختلف وظروف مختلفة، إلا أنه يحق لنا أن نطرح عددا من الأسئلة مثل تلك التي طرحها مؤرخ حياته بريان - إيركهارت وان نتساءل إن كان قد مثل وترك آثارا دائمة أم أنه كان مجرد ظاهرة لامعة، نجم أضاء في السماء ثم مر ولم يخلّف أثرا بعد رحيله؟ أم أنه كان أسبق من عصره وبشكل سوف يجعل أفكاره وتصورات بل وممارساته العملية وما استحدثته من آليات صالحة وذات معنى ويجعلها جديرة بالبقاء والبناء عليها؟ أم أن هذا التساؤل الأخير قد حسمه وأجاب عليه الدبلوماسي التونسي منجى سليم الذى انتهى إلى أن إسهامات همرشولد في عصره لم تمت معه وما زالت باقية ولها صلة بالحاضر وستظل لها صلة بالمستقبل، ومثلما عبر الرئيس التانزانى السابق جولياس نيريرى من أن اسم همرشولد سيظل مرتبطا بالعديد من الأحداث وفى الكثير من تفاصيل التاريخ وتنتهى جميعا إلى أمر واحد: البحث عن السلام فى العالم.

وكما رأينا فى سياق فصول هذا الكتاب أن فكر همرشولد تجاه المنظمة الدولية قد تطور على أساس أن هذه المنظمة تمثل معنى وفائدة بشكل خاص للدول الصغيرة والمتوسطة والتي تجد فيها ملاذها ومنبرها والضمان الحقيقى لمصالحها، وهو الفكر الذى تطور بتطور النمو فى عدد الدول الصغيرة وحصولها على استقلالها وانضمامها إلى المنظمة الدولية. ونستطيع أن نتصور علاقة متبادلة بين فكر همرشولد وما دافع عنه فيما

يتعلق بالدول الجديدة ووضعها الدولي وما أدخلته على الخريطة السياسية للعالم ، وبين الثقة التي اكتسبتها هذه الدول في إمكاناتها وذاتها وهو ما دفعها بالتالي إلى التجمع والتعبير عن نفسها؛ وهى الثقة التى غدت وشجعت على تجمع دول آسيا وأفريقيا فى باندونج عام ١٩٥٥ ثم بعد ذلك فى بلورة فكره حركة عدم الانحياز.

غير أننا ونحن نناقش فكر همرشولد فيما يتعلق بدول العالم الثالث يحق أن نتساءل عما إذا كان همرشولد فى حماسه والثقة التى عبر عنها خاصة فى الدول الأفريقية الجديدة وإمكاناتها وقادتها الجدد وقدرتها على بناء «مستقبل سعيد» قد بالغ فى هذا التوقع وهذه الثقة أخذاً فى الاعتبار الإحباطات التى مرت بها القارة الأفريقية وتراجع أداؤها الاقتصادى وما انغمست فيه من حروب أهلية وصراعات داخلية.

وفى تصورنا أن ما أبداه همرشولد من تفاؤل وحماس تجاه الدول الأفريقية لم يكن نتيجة سوء تقدير بقدر ما كان نتيجة إحساسه بالعدالة أولاً ثم مثاليته التى قدرت أنه بعد المعاناة من الاستعمار فإن هذه الدول سوف تنهض وسوف يساعدها المجتمع الدولى على ذلك، كما من دوافعه لهذا الحماس نظرتة الأوسع إلى الاستقرار الدولى بسد الفجوة الواسعة التى تفصل الدول المتقدمة عن الدول المتخلفة والتى إذا استمرت يمكن أن تكون مصدر للتوترات الدولية.

غير أنه إذا كان هذا الجانب فى تفكير همرشولد يمكن أن يخضع للتساؤل فإن ما يمكن الحديث عنه بثقة حول إسهامات همرشولد فى المنظمة الدولية ودورها هو هذه المجموعة من الآليات والمفاهيم التى كانت نتاجاً مباشراً لفكره الخلاق ونعنى بها مفاهيم الدبلوماسية الشخصية والدبلوماسية الوقائية وأهم من هذا كله قوات حفظ السلام وهى المفاهيم والآليات التى

أصبحت مرتبطة باسم الأمم المتحدة وأكسبتها قيمة ووجودها فى مناطق التوتر والصراع فى العالم .

ونتصور أن خطة السلام Agenda for Peace التى قدمها السكرتير العام السابق للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالى ، وحاول فيها أن يقدم منظومة كاملة من الاجراءات والآليات لدعم دور المنظمة الدولية فى الأمن الجماعى، إنما هى بناء وتطوير لما فكر فيه وأرساه داج همرشولد .

كذلك فإن من جوانب شخصية وفكر وممارسات همرشولد التى لاتخضع للشك أو التساؤل هو ايمانه الاصيل بالأمم المتحدة باعتبارها الأداة التى تحافظ على أمن وسلام البشرية وهو الإيمان الذى استتبعه حرصه وتصميمه على بناء الجهاز التنفيذى للمنظمة ممثلا فى سكرتيرتها وكفاءتها وفاعليتها واهم من هذا استقلاليته وعدم تعرضها لضغوط أو تأثير وخاصة من الدول الكبرى، واعتباره أن هذه الاستقلالية هى التى سوف تعطى فى النهاية لهذا الجهاز - وعلى قمته السكرتير العام - فعاليته ومصداقيته .

وقد كان هذا هو الاتجاه الثابت لهمرشولد منذ أن جاء إلى نيويورك عام ١٩٥٣ وقد فعل هذا فى عدة اتجاهات ومع كل القوى الكبرى، كما فعله وهو يعلم أنه ربما يضر بجدواه الشخصية، غير أن دافعه الرئيسى كان هو الاعتبار الدائمة المتعلقة بكيان المنظمة ومستقبلها، كما كان يتصرف دائما وعينه على من سيخلفونه فى منصبه وأن لايتترك سابقة يمكن أن تؤثر على أدائهم وتصورهم لهذا المنصب . والواقع أن مثل هذا الموقف الصارم لم يكن ممكنا بدون أن يمتلك صاحبه عناصر ومقومات تكامل الشخصية ونضج الفكر والشجاعة والحكمة والإحساس الفادح بالمسئولية .

التأملات

بعد موت داج همرشولد عثر على مخطوط فى منزله عليه عنوان Markings مع خطاب غير مؤرخ موجه إلى Leif Belvage الوكيل الدائم لوزارة الخارجية السويدية يقول فيه :

عزيزى ليف

ربما تتذكر ما سبق أن ذكرته لك مرة إننى رغم كل شىء قد احتفظت بمفكرة اريدك أن تكون مسئولاً عنها يوماً ما وهامى ذى.

لقد بدأتها بدون أن أفكر فى أن يقرأها شخص آخر، لكن مع تاريخى الأخير وكل ما قيل وكتب عنى، فقد تغير الموقف. إن هذه اليوميات تقدم الصورة الحقيقية الوحيدة عنى، وهذا هو السبب فى أنه خلال السنوات الأخيرة زادت أهمية نشرها رغم أننى قد واصلت الكتابة لنفسى وليس للجمهور.

فإذا وجدت أنها تستحق النشر فلك إذن أن تفعل ذلك كنوع من الكتاب الأبيض حول مفاوضاتى مع نفسى ومع الله ...»

وفى تقديمه للترجمة الإنجليزية للكتاب يقول W. H. Auden الشاعر وصديق همرشولد إن قارئ الكتاب قد يندهش مما لم يتضمنه. فهمرشولد لم يشر إشارة واحدة لحياته كموظف دولى أو عن الأشخاص الذين قابلهم

أو الأحداث التاريخية لعصره والذي لعب فيها دورا هاما، ولكن إذا اعترضته الدهشة مما تضمنه الكتاب فإن مثل هذا القارئ لم يقرأ القصيدة التي كتبها مباشرة بعد تعيينه سكرتيرا عاما لبرنامج إذاعي والذي عبر فيه عن مكوناته الروحية والفكرية إذ قال: «لقد ورثت عن أجيال من الجنود والرسميين الحكوميين من أسرة والدي الاعتقاد بأنه ليس هناك حياة أكثر إشباعا من الخدمة المنزهة لبلدك وللإنسانية. ومثل هذه الخدمة تتطلب التضحية بكل المصالح الشخصية ولكن كذلك أن تقف بدون تردد دفاعا عن ماعتقده. كما ورثت من الباحثين ورجال الدين من أسرة أُمي الاعتقاد بأن كل البشر متساويين كأبناء الله وإنما يجب أن نلقاهم ونعاملهم كإسآدنا. إن الإيمان هو حالة عقلية وروحية، ونصوص الدين هي مجموعة من الصيغ التي تسجل خبرة روحية أساسية، وإن الواقع الذي يصل إلى حواسنا ونستطيع أن نحله بأدوات المنطق يجب أن لا ينظر إليه كوصف الفلسفة. وقد تأخرت في فهم ماذا يعنى هذا وحين توصلت أخيرا في فهم هذه النقطة فإن المعتقدات التي تربيت عليها والتي في الواقع أعطت حياتي اتجاهها حتى في الوقت الذي كان عقلي يتحدى صلاحيتها، أصبحت أنظر لها وأدركها باعتبارها معتقداتي الخاصة ومن خلال اختياري الحر.. إن توضيح كيف يستطيع الإنسان أن يعيش حياة نشطة من الخدمة الاجتماعية وفي اتساق كامل مع نفسه وكعضو في عائلة الروح، قد عثرت عليه في كتابات الصوفيين العظام للعصور الوسطى والذين كانت تضحيتهم بالنفس الطريق إلى تحقيق الذات والذين كانوا في إخلاصهم للفكر وتركيزهم على جوهر الأشياء قد وجدوا القوة لأن يقولوا نعم لكل مطلب يطالبهم به جيرانهم، وأن يقولوا نعم أيضا للمصير الذي يخبأ لهم.. والحب هذه الكلمة التي أسيئ كثيرا استخدامها وأسيئ تفسيرها كانت تعنى لى ببساطة تدفق الحياة التي شعر هؤلاء الصوفيون العظام أنها تغمرهم حين يعيشون في حالة انكار حقيقي ونسيان للنفس، ومثل هذا الحب يجد تعبيرا طبيعيا في

الوفاء غير المتردد بالواجب والقبول غير المتحفظ للحياة أيا كان ما يحدث لهم من عناء شخصي أو معاناه أو سعادة» .

وهكذا فإن «علامات» إنما تسجل اكتشاف همرشولد التدريجي ماذا يعنى أن يقول نعم لجاره ولقدره وللمحن والاعراض المختلفة والطبيعة البشرية والعالم والشيطان والذي جعلت من الصعب عليه - مثلما فعلت معنا جميعا أن يقول ذلك .

غير أن أودن يختلف كلية مع ما ذهب إليه همرشولد من أن هذه المذكرات هي الصورة الوحيدة الحقيقية عن نفسه وعن شخصيته، فعند أودن أنه حتى لو كانت هذه المذكرات اعتراف مفصل وواسع مثل اعترافات بوزويل أوروسو اوجيد فإن ما عبر عنه همرشولد يظل غير حقيقى . إن أى إنسان لا يستطيع أن يرسم صورته الشخصية بشكل صحيح لأنه وكما يقول ثورو: «إنه من الصعب أن يرى الإنسان نفسه مثلما ينظر إلى الخلق دون أن يدور حول نفسه» والحقيقة - يضيف أودن - إن أصدقائنا وأعدائنا يعلمون عنا دائما أفضل مما نعلم عن أنفسنا . أن هناك لمسات تصحيحية لصورتهم عنا التي تمكنا فقط أن نصنعها وهذه كقاعدة تتصل بنقاط ضعفنا . ومن البديهي أننا سوف نفكر جميعا فى أنفسنا باعتبارنا أكثر حساسية من أناس آخرين لأنه عندما نفتقد الحساسية فى تعاملنا مع الآخرين لا نستطيع أن نكون على وعى بها فى نفس الوقت ذلك أن الوعى بعدم الحساسية هو تناقض مع النفس، وثانيا فنحن لا نستطيع أن نتفادى التفكير إن اغلبية الأشخاص الذين قابلناهم لديهم شخصيات أقوى منا ونحن لا نستطيع أن نراقب الآخرين وهم يصنعون اختياراتهم، إننا فقط نعلم ماذا يفعلون وكيف يسلكون غير أن أحدا لا يستطيع بأمانة أن يفكر عن نفسه كشخصية قوية لأنه ايا كان نجاحه والتغلب على نفسه فإنه بالضرورة على وعى بالشكوك والإغراءات التى تصاحب كل اختيار هام .

فإذا ما قرانا «علامات» دون أن نتذكر كل الوقت إنها كتبت بواسطة رجل حقق نجاحا عالميا كبيرا فسوف نفشل فى أن نستوعب معنى الحزن والطابع الروحى لما كتبه. وسوف نستكمل فهمنا لما كتب همرشولد وتأملاته عن نفسه بقراءتنا لخطبة العامة وللأنطباعات التى تركها همرشولد على الآخرين - فقد لاحظ Wilder foote الذى كان قريبا منه وعمل خلال عهده مديرا للإعلام فى الأمم المتحدة أن ما ألهم همرشولد ودعمه كانت قوة معتقداته وعمقها ونقاؤها والمثل العليا التى كان يحملها عن الحياة والعلاقات البشرية وهى المثل التى أخلص لها فى العمل وفى الحياة.

أما الدبلوماسى الدانمركى Eyvind Bartels والذى رغم عرضه المعادى للكتاب فقد شهد على قدرات همرشولد وبصيرته فقال: «إنه بعد الحرب بوقت قصير وفى لقاء بين الحكومتين الدانمركية والسويدية كانت المرة الأولى التى رأيت فيها همرشولد فقد قدمه إلينا اصدقاؤه فى الحكومة السويدية كمعجزة وقد اثر فينا فعلا على هذا النحو. وفى خطاب طويل ناقش المشكلات السياسية الاقتصادية فى العلاقة مع الولايات المتحدة والتى كانت تبدو لنا شيئا بعيدا جدا، ومع ذلك فإن المرأ حين يتذكر الآن يستطيع أن يرى كيف أن همرشولد قد صاغ المشكلات الاقتصادية والسياسية والتى سوف تسيطر بعد ذلك على النقاش الأطلنطى. والمرة الثانية التى رأيت فيها كان فى باريس عام ١٩٤٧ خلال مناقشة خطة مارشال وقد نحى همرشولد دائما العون الذى يقدمه الدولار الأمريكى باختياره مسألة ثانوية وأثار السؤال الجوهرى حول نتيجة هذا التعاون الجديد بالنسبة للسيادة القومية للدول الأوربية. فى هذا الوقت كان مثل هذا السؤال يبدو نظريا بشكل كبير. والآن حين ننظر إليه نجد أن همرشولد قد لمس مشكلة أوربية تشتعل اليوم كما اشتعلت دائما ولم تجد بعد حلالها.

ومما له أهمية - فى ضوء يوميات همرشولد - هو الانطباع الذى تركه على زميل له فى جامعة أوبسالا والذى صاحبه فى العديد من الرحلات فى منطقة لابلاند: «لم يكن إحساسه بالواجب واجتهاده بثقلان عليه على العكس بدا أن له طبيعة سعيدة.. ووسط كل ثقافته وإحساسه بالمسؤولية وتفاؤله المثالى كان فى همرشولد الشاب شىء من الولد المازح.

أما أودن فهو يعتبر أن شهادته الشخصية غير هامة ولكنه فى تقديمه لها يذكر أنه فى لقاءاتهم المختصرة والغير متعددة فقد أحبه منذ اللحظة الأولى كما لمس أن معرفته وفهمه للشعر - وهو الميدان الوحيد الذى يستطيع أودن كشاعر أن يحكم بشكل كفؤ على نوعية فكره - كان استثنائيا ويثير أودن سؤالا حول تأملات همرشولد المبكرة التى كتبت قبل عام ١٩٥٣ حيث ليس هناك فصل واحد له تاريخ وفى النسخة السويدية هناك أربع صفحات مؤرخة ١٩٢٥ - ١٩٣٠ وخمس مؤرخة ٤٢-١٩٤٤، ١٣ مؤرخة ما بين ١٩٤٥-١٩٤٩ وفى ديسمبر ١٩٥٦ كتب همرشولد متسائلا: هذه المذكرات؟ إنها معالم تبدأ فى رسمها بعد أن تكون قد وصلت إلى نقطة تحتاج إليها، نقطة ثابتة لا تستطيع بأى حال أن تفقد النظر إليها.. ويبدو أن هذه النقطة الثابتة هى تلك التى أشار إليها فى مدخله Whit sun-day عام ١٩٦١:

«ولكن عند لحظة ما أجبت بنعم لشخص ما أو لشيء ما، ومن هذه الساعة تأكدت أن الوجود له معنى وأنه لذلك فإن حياتى فى استسلامها لها هدف».

أما عن متى تم الوصول إلى هذه النقطة المحددة فإنها يجب أن تكون بعد ما دونه بتاريخ ١٩٥٢ حيث قال: «إن ما أبحث عنه هو شىء عبثى - أن يكون للحياة معنى، وأن ما أجاهد من أجله أمر مستحيل - أن تكتسب حياتى معنى».

وأن يكون الإنسان موهوبا ولكن لا يعرف كيف يستخدم هذه الموهبة بشكل أفضل وأن يكون ذا طموح كبير ولكنه يشعر فى نفس الوقت بعدم القيمة، يمثل خليطا خطرا يمكن أن ينتهى بانهيار عقلى أو الانتحار. وتظهر تأملات همرشولد المبكرة بأن فكرة الانتحار لم تكن غريبة عنه. وقد وصف حالتين فعليتين من الانتحار - بافتراض أنه قد شاهدهما شخصا - بانبهار وحين وقعت له حادثة تصادم سيارة كانت الفكرة الأخيرة التى راودته قبل أن يفقد الوعى فكرة سعيدة «حسنا لقد تمت مهمتى».. وفى نهاية عام ١٩٥٢ اعترف بأن الانتحار قد أغراه بشكل حقيقى: «إنه الطريق الذى يغويك لكى تتغلب على وحدتك بالهرب النهائى من الحياة. لا قد يكون الموت هو هديتك الأخيرة للحياة ولكن لا يجب أن يكون عملا من أعمال الخيانة ضدها».

وقبل أن يكتشف الحل بوقت طويل أدرك همرشولد تماما ما هى المشكلة. فإذا كان عليه أن لا ينحدر فعليه أن يتعلم كيف ينسى نفسه وأن يعلم أنه ليس فى مقدوره أن يفعل هذا. إن الانتقال من اليأس من نفسه إلى الإيمان بالله يبدو أنه كان عملية بطيئة تتخللها انتكاسات. وثمة قضيتان أصبحتا تشغلان تفكيره، الأولى أنه ليس هناك إنسان يستطيع أن يحقق بشكل سليم ما هو مدعو لتحقيقه فى هذه الحياة مالم يتعلم أن ينسى ذاته وأن يعمل كأداة لله، أما القضية الثانية، وهى ما تتصل به شخصيا، أن الطريق الذى دعى إليه سوف يقود إلى الصليب يعنى المعاناة والمهانة الدنيوية والتضحية الجسدية بحياته. هذا الانشغال بالتضحية بالمعنى الجدلى هل كان يعنى تصورا لنهايته؟ وهل توقع أن يغتال كما حدث للكونت برنادوت؟ أو يتعرض لهجوم غاضب فى الجمعية العامة؟ أم يسقط ميتا بسكتة قلبية نتيجة الاجهاد فى العمل؟ وكما نعلم جميعا فإن همرشولد قد قتل خلال أدائه للواجب غير أنه من الصعب أن نعتبر حادث ارتطام

طائرة على أنه عمل من أعمال التصحيحية بالمعنى الذى استخدم به
همرشولد اللفظ، وهو ما يمكن أن يحدث لأى منا بغض النظر عن أى
التزام.

وبالإضافة إلى المعاناة الروحية للوحدة وأن يترك وراءه العالم الذى
صنع منه ما هو، فقد كان على همرشولد أن يتحمل وبشكل حاد بسبب
ضميره المتطرف والمعاناة الجسدية للضغط العصبى المستمر والعمل الزائد.
فإذا شعر قارئ تأملاته للفترة ما بين ١٩٥٣ - ١٩٥٧ بعدم الصبر نتيجة
لجديتها الصارمة فليتذكر أن معظم هذه التأملات كتبها رجل لا ينام لأكثر
من أربع أو خمس ساعات يوميا ولمدة أسابيع وأن مثل هذا الرجل من
الصعب أن تتوقع منه أن يفكر أو يكتب بخفه أو بتأنق فى الأسلوب وليتذكر
مثل هذا القارئ أن رجلا مثل همرشولد قد شرع بشكل متعمد لتصفية كل
الدوافع الذاتية لعمله وأن يعمل فقط لخير الآخرين ومجد الله ويتجرد من
كل إغراءات الجسد والشهرة والمال وهى الإغراءات التى كان يمكن أن
تخفف من آلام كده وتعبه.

وفى ضوء ما تكشف عنه تأملات همرشولد هل كانت الحياة السياسية
بكل ما تعنيه من ضغوط وممارسات واختيارات واختبارات صعبة هى
الوسط أو البيئة الطبيعية التى تلتقى ويمكن أن يتجاوب ويتعايش معها؟
وهل كان تكوينه وخلفياته فى عمله الحكومى يتفق مع متطلبات الحياة
السياسية؟ لقد كان همرشولد موظفا مدنيا أى منفذا للسياسة وليس صانعا
لها. وعلى أساس من خبرته ومعتقداته فقد يجد نفسه مع أوضد سياسة
ولكن فى نهاية الأمر ليس هو الذى يقرر وليس عليه إلا أن يتفد وكان هذا
يعنى أنه رغم وجوده فى الخدمة العامة إلا أنه لم يدخل ساحة الحياة العامة
والنقاش والجدل العام. أما فى منصب السكرتير العام وهى وظيفته الدولية
فإنه فى النهاية لابد أن يتضمن موقفا سياسيا يزداد تعقلا فى عالم يتكون

من عديد من الدول المستقلة غالبا ما تكون فى خلاف مع بعضها ولذلك فإنه فى العديد من المناسبات وجد همرشولد نفسه فى موقف عليه أن يأخذ فيه قرارا سياسيا سواء كان نتيجة لاتفاق الحكومات أو القرارات المنظمة الدولية أو لأن اختلاف القوى العظمى خاصة لم يترك له خيار آخر. فى مثل هذا الموقف كان يتغلب الموقف والتصور الفلسفى لمفهوم حياة السكرتير العام، وهو التصور الذى لا يلقى ميوله أو تعاطفاته الشخصية، ولكنه فى نفس الوقت عليه أن يراعى ردود الفعل البشرية التى تجعله يتحكم فى نفسه لكى لا يدع أفكاره ومثله الشخصية تؤثر فى تصرفاته وقراراته، وقد اعتبر أن مثل هذا الموقف ليس شيئا فريدا «أليس كل قاضٍ يقع - مهنياً - تحت مثل هذا الالتزام؟»

إن الوسط الذى يعمل فيه السياسى هو ساحة للنقاش العام ولكى يشعر المرء بانتمائه إليه والارتياح فيه فإن هذا يتطلب تجنباً صعباً للمسئولية وأن لا يكون حساساً لكل سهام النقد مهما كانت حادة أو مؤذية ويخرج المرء من تأملات همرشولد بانطباع أنه فشل ليس فقط فى أن يتجنب مثل هذا الاختيار، ولكنه ظل أكثر حساسية من معظم الناس. وبدأ أنه قد شعر بأى نقد أيا كانت دوافعه على أنه يمس تكامله الشخصى. وهذه الحساسية لابد أنها جعلت الحياة صعبة بشكل استثنائى بالنسبة له حين كان يزج به فى قضايا سياسية محل خلاف كبير.

غير أنه مايدفع على الارتياح أنه فى السنوات الثلاث الأخيرة من حياته شرع يكتب أشعارا وحيث يثبت ذلك أنه قد حصل أخيرا على صفاء الذهن الذى صلى من أجله طويلا.

إن تأملات همرشولد التى كتبها ما بين عام ١٩٢٥ - ١٩٦١ والتى أسماها مفاوضاته مع نفسه ومع الله، لا يجب أن تقرأ كعمل ادبى، إنها

كذلك وثيقة تاريخية ذات أهمية أولى باعتبار أنها تروى محاولة رجل محترف من رجال العمل لكى يوحد فى حياة واحدة: حياة العمل والنشاط مع حياة التأمل، وهما تكمن معنى ملاحظته :

«فى عصرنا فإن الطريق إلى القداسة إنما يمر بالضرورة بعالم الفعل والعمل» .

إلى جانب هذا الإطار العام الذى رثيت فيه تأملات همرشولد وخلفياتها ومؤثراتها على فكره، فقد خضعت هذه التأملات لتحليلات أكثر تفصيلا وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الفلسفية والدينية والروحية الكبرى التى تثيرها وكيف انعكست فيها حياة همرشولد الروحية ومشكلاتها وأزمته الدينية والروحية ودلالاتها على نضجه الفكرى والعاطفى والاخلاقى، وعلى القضايا التى شغلته مثل أنانية الإنسان ومعنى الحياة والوحدة واستجابته لنداء الله والمصير وقيمة التفانى وتكريس نفسه لخدمة البشرية. وبلغت النظر فيمن أجروا هذه التحليلات وما يعطيها قيمتها أنها صدرت عن شخصيات اسكندنافية وسويدية وحيث قرأت التأملات ونظرت فيها فى نصها السويدي كما أنها مثل: Gustaf Aulen لها خبراتها وخلفياتها العميقة فى الدين والفلسفة .

وأول ماتلفت هذه التحليلات النظر إليه فى التأملات هو ماتثيره من تشابهات مع أول عمل فى العصر المسيحى من أعمال الحياة الشخصية الروحية وهى اعترافات Confessions القديس أوغسطين فثمة تشابهات بين الكتابين سواء من حيث علاقة كل كاتب بأمه أو الشك والصراع الذى ميز رحلة كل من القديس أوغسطين وهمرشولد نحو الإيمان. غير أنه رغم هذا التشابه فإنه يجب أن لا يدفعنا بعيدا، فكتاب التأملات لهمرشولد هو كتاب لعصرنا وعصر يختلف بشكل جذرى عن عصر القديس أوغسطين .

كما نتوقف فى هذه التحليلات عندما تحمله تأملات همرشولد فى

مجموعها من طابع الحكم والأقوال المأثورة، وما يثيره ذلك من دهشة باعتبار أن جانباً كبيراً منها قد كتب خلال فترة تولي همرشولد منصب سكرتير عام الأمم المتحدة الأمر الذي يعنى أنها كتبت بشكل سريع وفي ساعات متأخرة من الليل وبعد ساعات طويلة من العمل. ورغم هذا فكلما تأمل المرء في «علامات» وتعمق في دراستها كلما تأثر بتماسك وترابط فكر همرشولد، وتدفع قارئها في النهاية إلى أن لها شخصيتها الذاتية وأن كتابه يعالج من البداية حتى النهاية حياة همرشولد الروحية.

ومما له دلالة أنه عند نشر الكتاب أثار عدداً من ردود الفعل المختلفة ولكن كان ثمة إجماعاً ممن عرضوا للكتاب وناقشوه إنه كان مفاجأة عامة، فلم يتخيل أحد أن هذا الرجل المثقل بالعمل إلى حد مؤلم كان يستطيع أن يضع سرا على الورق هذه التجارب الروحية والشخصية وما كان أكثر مفاجأة لمعظم الناس هو الاتجاه الدينى الذى ظهر فى الكتاب. وإن كان الأمر لم يكن يستوجب هذه المفاجأة. ذلك أن همرشولد لم يخف يوماً موقفه الدينى. ففي حديث بالراديو عام ١٩٥٣ اعترف بشكل علنى بعقيدته المسيحية والتزامه بها «بدون أى مساومة لما تتطلبه الأمانة الفكرية والتي هى المفتاح الرئيسى لنضج العقل» كما أثبت همرشولد فى مناسبات أخرى اتجاهه الإيجابى نحو العقيدة المسيحية ورغم هذا فإنه يمكن تفهم دهشة هؤلاء فرغم أنه كان هناك اعترافات مماثلة فى التاريخ المسيحى إلا أنها قد كتبت من رجال ونساء عاشوا حياة تأمل هادئة أما «علامات» همرشولد فقد كتبها - على الأقل فى الجانب الكبير منها - رجل دولة يحمل مآعب العالم.

بخلاف هذا النظر العام حول اتجاه تأملات همرشولد فقد أثارت عدداً من سوء الفهم الحاد من جانب بعض المحللين والمعلقين الإسكندنافيين فقد اتهم بعضهم همرشولد بتمجيد الذات الذى يقارب التجديف وتساءل أحدهم

«هل يرى همرشولد نفسه كالمسيح؟» وذهب إلى أن عددا من فقرات الكتاب تشير أن الإجابة على هذا السؤال هي نعم وقال آخر: إنه يعتبر أن «علامات» هي محاولة لخلق أسطورة همرشولد والتي يبدو فيها السكرتير العام «كمسيح جديد».

وإذا كانت هذه الاتهامات قد ظهرت عند ظهور الكتاب إلا أنها توقفت ولا يتوقع تكرارها من جديد. والواقع أنه ليس هناك ما يستدعى مناقشة هذه الاتهامات تفصيلا. ذلك أن تحليل الكتاب في مجموعه سوف يظهر المسافة الشاسعة بين الاتهامات وبين عبارات وكلمات همرشولد نفسه فالسؤال الحقيقي ليس هو ما إذا كان همرشولد يعتقد نفسه مسيحاً جديداً فمن الواضح أنه ليس كذلك، ولكن ما يجب أن يناقش هو كيف يمكن لمثل هذه التفسيرات السيئة أن تظهر كما أن ما يمكن تأكيده أن هؤلاء النقاد قد عزلوا بعض الفقرات والبيانات من سياقها وفشلوا في أن يقرأوا ما أراد الكتاب أن يقوله في مجموعه كما قد فشلوا في فهم اللغة الدينية التي استخدمها همرشولد حين تحدث مثلما فعل متصوفة العصور الوسطى - عن علاقته بالمسيح وأتباعه له: *imitatio* بمعنى «أن يتبع المسيح على طريقه في التضحية» وأن هذه العبارة وكما وردت في الإنجيل لا تشير إلى التوافق وإنما إلى التلمذة *Discipleship* فمن الواضح إن همرشولد لم يعتبر نفسه أكثر من مريد *Disciple* ومما يدل على عدم تماسك ما قاله النقاد عن رغبة همرشولد في بناء نوع من تقديس شخصيته، وما يثيره هذا من سخرية، هو ما أكد عليه همرشولد من احترام الكلمة والحرص على استخدامها بعناية فائقة والتحذير من إساءة استخدامها ومحاولته في كتابه أن يجد الكلمات الصحيحة وبالشكل الدقيق والمحكم الذي يلزم ويلبى ما يريد أن يقوله ولما يعتبر أنه الحقيقية، وفحصه الذاتي وبشكل قاسى وكشفه كل جوانب النقص فيه. غير أنه في الحديث عن نص الكتاب وأسلوبه فإنه -

للمفارقة يمكن أن تقدم نوعاً من العذر لمن وجهوا هذه الاتهامات لهرشولد. فمع الدقة والتركيز الذي تتميز به لغة هرشولد إلا أنه من الصعب القول إن الكتاب سهل القراءة والفهم دائماً، فأسلوب هرشولد يمكن أن يكون واضحاً ولكن الكثير من فقراته من الصعب إدراكها وفهمها. ومن الصعاب التي تواجه من يقرأها أن بعض صفحاتها قد تشير إلى موقف غير معلوم لنا كما أن الأسلوب يتميز غالباً بالغموض والكثافة وتفضيل استخدام كلمات قليلة بقدر الإمكان.

وقد استعرضنا في الفصول السابقة تأثير البيئة الأسرية لهرشولد وخاصة أمه وأبيه وعلى مكونات الفكرية والشخصية غير أنه في دراسته وتحليل كتاب التأملات فإن الذين تعرضوا لتحليله تفصيلاً وخاصة في جوانبه الدينية والفلسفية يذهبون إلى البحث في المؤثرات الأعمق من شخصيات أو قوى وتيارات دينية وفكرية وفلسفية وكيف بدت وانعكست في تأملاته.

في هذا الشأن يتوقف من حللوا تأملات هرشولد بشكل خاص عند: ألبرت شفيترز وصوفية ومتصوفى العصور الوسطى.

ففيما يتعلق بتأثير شفيترز فإن هرشولد يعترف بأنه مدين له في موضعين: ففي أخلاقيات شفيترز فقد وجد هرشولد أن مثله التي خلفها «قد تناسقت وتكيفت مع مطالب عالمنا اليوم، ومع أن شفيترز كان يعنى الكثير بالنسبة لهرشولد إلا أنه يجب ملاحظة أن تأثيره كان أساساً حول القضايا الأخلاقية، بالنموذج المثير بل والثورى الذى قدمه شفيترز والذي جعله يهجر ليس فقط حياته الجامعية ولكن أيضاً الحضارة الغربية ويتوجه لى يعمل ويبحث فى غابات أفريقيا. وكان هدفه أساساً أن يرد بعضاً من دين الرجل الأبيض الضخم للسود. هذا النموذج اجتذب هرشولد بوجه خاص وعبر عن ذلك بعبارات واضحة حيث اعتبر شفيترز: «مثلاً حياً

للأخلاقيات والمثل التي يعلن عنها، كما عبر همرشولد عن هذا الاتجاه نحو شفيتزر في مقال نشره في السويد عام ١٩٥١ وفي مراسله مع شفيتزر خلال عهده في الأمم المتحدة..

ومما يجدر ذكره أن همرشولد حين تحدث عن شفيتزر أكد على أمرين هاميين استمدهما من وجهة نظره الأخلاقية للحياة ومفتاح الرجل الحديث لعالم الأناجيل.

وعلى الرغم إننا نعثر في كتاب تأملات همرشولد على عدد من الاقتباسات من متصوفة العصور الوسطى لا نعثر على اقتباس واحد من شفيتزر أو على شعار فلسفته وهي: «توقير الحياة»، إلا أن هناك العديد من النقاط في كتاب همرشولد تشير بوضوح إلى تأثير ونفوذ شفيتزر عليه وتوجد أساسا في الجزء الأول من الكتاب قبل عام ١٩٥٣ كما أن ثمة فقرات بعد ذلك تكشف عن شخصية شفيتزر.

وفي عام ١٩٤٢ كتب همرشولد: «إن إرادتنا الخلاقة السرية تتكهن بنظرها في الآخرين وتختبر شموليتها، ومثل هذا الحدس يبني طريقا نحو معرفة القوة التي هي في ذاتها ومضنة sparke في داخلنا فنقطة بدايته هي: إرادتنا الخلاقة «فكلمة، خلاقة تؤكد نشاط الإرادة وهذه الإرادة ليست إرادة، إنها تنعكس في إرادة الآخرين وهي بهذا الانعكاس تختبر بالتالي تجسدها في الإرادة الكلية وهذه الخبرة يصفها همرشولد باعتبارها حدسا intuition وهي كلمة تقود إلى معرفة القوة، القوة التي هي في الحقيقة إرادة كلية ولكن أي نوع من الشعور؟ ليس هناك شك في أنها قوة الحب: إن عبارة «الشعلة أو الومضة في داخلنا، ترتبط بما سبق أن كتبه عن الإرادة الفردية والإرادة الكلية، إن الإرادة الكلية الشاملة هي التيار الذي يجمع كل الإرادات الفردية.

هذا التماثل والتوافق بين هذا المفهوم وبين فكر شفيتزر الرئيسى عن الحياة هو أمر واضح، فنقطة بداية شفيتزر هو تعبره «أنى حياة تريد أن تعيش فى وسط حياة تريد أن تعيش» ومن هذا يشتق شعاره: توقير الحياة. وكما أعاد أحد الكتاب صياغة هذه العبارة: إننى أتعرف على نفسى فى كل مظاهر الحياة تدريجيا نعيش فيها جميعا ولذلك أريد أن أراها وكأنها حياتى. إن لدى توقيرا لحياتى الخاصة ولذلك يجب أن يكون لدى توقير لحياة الآخرين» إن توقير الحياة يعنى ويتطلب خدمة الناس. وفى هذه الخدمة فإن إرادة الحياة، الإرادة الخلاقة تكشف عن نفسها على أنها إرادة الحب، وإرادة الحب هذه كما تكشف عن نفسها الإنسان مظهرة القوة».

والإرادة الكلية للحياة وهذه الإرادة الخلقية العالمية هى «الله».

من هذا التماثل بين فكر همرشولد وفكر شفيتزر، إلا أننا نستطيع أن نتبين اختلافا بينهما حول وجهة النظر عن الإنسان فوجهة نظر شفيتزر عن الإنسان هى أكثر تفاؤلا من همرشولد وإن كان هذا لا يعنى أن وجهة نظر متشائمة. ففى رؤيته للإطار الشامل للحياة اكتشف هذه الومضة أو الشرارة فى داخلنا.. وعبر تأملاته. ورغم كل الشكوك والمحن، فقد ظل يحافظ على وجهة نظره الإيجابية تلك.

أما عن تأثير متصوفة العصور الوسطى على همرشولد فإنه من الواضح أنه إذا كان قد وجد عوناً من شفيتزر فى موضوعات الأخلاق إلا أن العون الذى تلقاه من متصوفى العصور الوسطى وخبرتهم الصوفية كان فى مجال العقيدة والدين. ولم يكن همرشولد ينتسب إلى فكر شفيتزر عن المتصوفة حين كتب من كل صوفية الماضى يجب القول أن مضمونها الأخلاقى طفيف جدا إنها تضع البشر على طريق التأمل الباطنى ولكن ليس على طريق الأخلاق الحية». وكما نلمس من تعبيرات همرشولد عام ١٩٥٣ ساعده المتصوفة على أن يرى كيف يجب على الإنسان أن يعيش

حياة من الخدمة الاجتماعية النشطة وفي تناسق كامل مع نفسه كعضو في مجتمع الروح «وهذا القول يجذب الانتباه إلى شيئين:

الأول أن همرشولد لم ينكر أن الصوفية كانت ضعيفة في نقطة الأخلاق على العكس فإن الطريق من الصوفية إلى العمل الأخلاقي كان مباشرة وقد كان هذا هو التفسير الذي كرره وكان موضع تقرير في كتابه وفي وصف همرشولد لما كانت نظرة الصوفية إلى الحياة تعنى بالنسبة له نجد بعض الكلمات التي تأكدت بشكل مؤثر في كتابه إن العون الذي كان ينشده في كتابات هؤلاء المتصوفة العظام للعصور الوسطى والذين كان «الاستسلام المطلق»، طريقا إلى تحقيق الإنسان لذاته، «والذين في إخلاصهم لهدفهم وجدوا القوة لكي يقولوا نعم لكل مطلب واجههم به جيرانهم»، وأبعد من ذلك فإن الكلمة التي أسىء استخدامها وتفسيرها كثيرا، الحب كانت تعنى بالنسبة للمتوصفة ببساطة تدفق القوة التي يشعرون أنها تملأهم حين يعيشون في نسيان تام للنفس وهذا الحب نجد تعبيراً عنه في الإنجاز غير المتردد للواجب والقبول غير المتحفظ للحياة، أيا كان ما يجلب عليهم هذا شخصيا من كد ومعاناة وسعادة ثم يختتم «إنى أعلم أن اكتشافاتهم حول قوانين الحياة الباطنية والسلوك لم تفقد قيمتها»

وثمة نقطة يجب التوقف عندها عند بحث علاقة همرشولد بتصوفة العصور الوسطى وهي المقتطفات التي استشهد بها ليس فقط بالمتصوفة المسيحيين ولكن أيضا بغيرهم من ذوى المذاهب والمعتقدات غير المسيحية.

فمع إشارته إلى العون الذي قدمه متصوفة العصور الوسطى المسيحيون في إعادة اكتشاف العقيدة المسيحية للإيمان المسيحي، فقد أشار أيضا مؤلفين غير مسيحيين بعضهم متصوفة مثل إشارته للصوفي الاسلامي ابن الرومي وقوله «إن محبى الله ليس لهم دين إلا الله وحده» كما نعثر لديه على بعض المقتطفات من كتاب صينييين قدماء وبعض

التعبيرات من اليونانية القديمة. فماذا تعنى هذه الإشارات بالنسبة
لهمرشولد؟ أو فى سياق أوسع وأكثر دقة ما الذى تكشف عنه فيما يتعلق
باتجاهه نحو الديانات غير المسيحية؟ فى الإجابة على هذا السؤال فإننا
بالتأكيد لا نحصر أنفسنا فى الفقرات التى ذكرت آنفاً، فقد أثار همرشولد
هذا السؤال بشكل مباشر وغير مباشر فى عديد من النقاط. فى اتجاهه نحو
الديانات والثقافات غير المسيحية نستطيع أن نعثر على توضيح لذلك فى
اعتباره أنه ليس من الممكن ولا من المسموح به أن نرسم حدوداً على أفعال
الله فى العالم فالله لا يتصرف فقط فى الفضاء المسيحى، إن أفعاله تتسع
للعالم وعلاماته يمكن الاستدلال عليها فى كل مكان تسوده ديانات غير
مسيحية. ولذلك ليس مصادفة أن يتضمن كتابه مقتطفات من ديانات غير
مسيحية بل إن همرشولد قد بحث وبشغف عن تعبيرات يمكن أن تعلو على
حواجز الديانات. وقد قوى هذا الاتجاه عمله كسكرتير عام للأمم المتحدة
حيث نجد أن كل الاقتباسات من المصادر غير المسيحية تنتمى إلى هذه
الفترة وهكذا فليس من المدهش بأية حال أن يبحث بشكل دائم عن صلات
على مستوى أعمق مما تتيحه السياسة. وخلال سنواته فى الأمم المتحدة
كان لديه فرصة كافية لتكوين انطباعات شخصية عن الثقافات والديانات
الأجنبية وسوف نعثر فى كتاباته وخطبه والعديد من خطباته لأصدقائه
على توقيير هذه الثقافات والديانات غير المسيحية. نجد ذلك بوجه خاص
فى خطاب لصديقه بموسكو والذى استعاد فيه رحلته عام ١٩٥٩ إلى شرق
آسيا، فالإتجاه نحو الحياة الذى التقى به هناك كان خبرة جديدة: «خبرة
عظيمة فإلى أى حد يبدو فن الحياة الآسيوى أكثر نضجاً وحساسية إذا قورن
بفن الحياة لدينا فوفقاً لهذه النظرة عليك أن تقبل أن كل شىء هو وهم قبل
أن تستطيع أن تسيطر على الواقع بسهولة وأناقة وجدية وسعادة، مثل هذه
النظرة إلى الحياة كوهم من الصعب أن تكون مقبولة من رجل كان يبحث
بقوة عن معنى الحياة، ورغم هذا فإن كلمات همرشولد عن الخبرة الآسيوية

ونظرتها للحياه تكشف عن تفتح وتعاطف من جانبه . وثمة استشهاد آخر نلمس منه اهتمام همرشولد إلى الثقافات والحضارات غير الغربية والدعوة إلى احترامها ففي خطاب له عام ١٩٥٩ في جامعة لوند نجد أفكارا مميزة لهمرشولد ووجهات نظره التي غالبا ما أكدها . فقد عبر عن امله في أن يتوجه أبناء الحضارة الغربية إلى الدول الأقل حظا في آسيا وأفريقيا بهدف واحد فقط هو خدمة هذه الشعوب وقال «إنهم يستطيعون أن يفعلوا ذلك بوعى بثروات ميراثهم الثقافى وكل ما تدافع عنه أوربا، ولكنهم يجب أن يفعلوا ذلك أيضا بوعى إن أفضل وأسلم طريق لا ستمرار هذا الميراث التاريخى هو أن يلتقوا بالشعوب الأخرى والثقافات الأخرى باحترام متواضع للمنح الفريدة والتي قدموها بدورهم ومازالوا يقدمونها. إن عليهم ان يتيقنوا ان من علامات ومستوى الحضارة أن تكون حقا قادرا على الاستماع والتعليم والاستجابة بطريقة، ومساعدة الشعوب الأقل حظا»، مع هذه التأثير الواضح بالصوفية وشخصياتها والتي انعكست بوضوح فى تأملات همرشولد هل يمكن أن نعتبر أن همرشولد نفسه كان صوفيا؟ يقول: «إنه بالنظر إلى غموض معانى الصوفية فلن يكون من السهل الإجابة على هذا السؤال إجابة قاطعة بنعم أولا، غير أن الشيء الهام بالنسبة لنا نتيجة لذلك هو أن لا ندعى ما إذا كان صوفيا أم لا ولكن أن نستكشف ما الذى كانت يعنيه المتصوفة بالنسبة له . لقد أبلغنا همرشولد بوضوح أن - المتصوفة المهمين بالنسبة له كانوا «المتصوفة العظام للعصور الوسطى» كما قال بوضوح إن العون الذى قدموه له قد أدى إلى فهم افضل للإيمان المسيحى، ولن يكون مدهشا إذا ما اعتبرنا أن العلاقة بين الصوفية والعقيدة المسيحية كانت علاقة هزت هذا الجانب . فليس هناك، من ناحية أدنى شك أنه فى مجرى التاريخ فإن الحركات الصوفية قد اعادت وفى أكثر من مناسبة إحياء جوانب مركزية أساسية من الإيمان المسيحى والتي كانت قد كبتت بشكل كامل فالصوفية مثلا كانت قد اكدت دائما الحياه مع الله

باعتبارها مركز الإيمان كما أن كتب متصوفة العصور الوسطى وخاصة توماس كمبيز Thomas à Kempis . قد اعتبرت عبر العصور مرشدا صوفيا أو قيمة وقد استخدمها واستعان بها همرشولد كثيرا . غير أنه من ناحية أخرى لا يمكن إنكار أن الصوفية قد أدت في بعض الأوقات إلى تآكل في القصيدة المسيحية .. على أية حال فإنه بالنسبة لهمرشولد فإن الصوفية قد قدمت له طريقا متقدما نحو الإيمان المسيحي ، وهنا تبدو كلماته في عام ١٩٥٣ ذات أهمية «إنني أعلم أن اكتشافاتهم عن قوانين الحياة الباطنية والفعل لم تفقد أهميتها ومن الواضح أن هذا يعني أن همرشولد لم يعتبر أن العون الذي تلقاه من المتصوفة يمكن ينتهي بمجرد تحقيقه لفرصة ، على العكس فإن اكتشافات المتصوفة تتضمن عناصر عن رؤى جديدة وجوهرية كي يجب أن نتذكر إن كان بطريقة ما مستعدا لتلقي هذه الرسالة المحررة ، فقد ذكر في كتاباته المبكرة إننا نلتقي أكثر من مرة فكرة أن الإيمان بالله يجب أن لا يكون شيئا أكثر من مجرد الموافقة الفكرية على وجود الله كما يجب أن تكون أكثر من مجرد «مشاعر» بشرية ، وهكذا ما اكتشفه همرشولد في صلاته مع متصوفة العصور الوسطى كان مصححا لمفهوم فكري عن الإيمان ، وبهذا المعنى لا يمكن إنكار أن المتصوفة كانوا عنصرا هاما خلال الفترة التي كانت تنمو فيها سرا قول همرشولد نعم لله ، كما أن تأثيرهم عليه لم يكن قاصرا على فترة زمنية . وحين يتحدث همرشولد عن اكتشافات المتصوفة فإن في ذهنه ليس فقط «الحياة الباطنة» ، «العقل» ولكن أيضا العلاقة بين الجانبين والقوانين التي تحكمها . وقد رأينا كيف فسر همرشولد المتصوفة بطريقته الخاصة واقترب منهم بمفاهيمه المسبقة الدقيقة وتوقعاته وربما ما هو مثير للانتباه بشكل أكثر هو تأكيدهم على دور العمل والسلوك متصوفة العصور الوسطى ، وبما كان هذا نابعا من يقينه فإن الحياة يجب أن تستخدم في خدمة الآخرين .

إن تأثيرهم عليه قد استمر عبر سنوات حياته؟ في دراسة التأمّلات يجد القارئ أن معظم الاقتباسات من المتصوفة كانت ما بين ١٩٥٥ - ١٩٥٦ وقبل هذا الوقت كان هناك القليل منها: واحدة كل عام. مثل هذه الإحصاءات تشير إلى أن تأثير المتصوفة عليه وصل القمة في منتصف الخمسينات.

غير أن هذه النتيجة قد تكون متسّعة ذلك أننا نعثر فيما بعد ١٩٥٨ على فقرات تدل بوضوح على استمرار تأثير الصوفية.

فإذا انتقلنا إلى جانب هام في تطور همرشولد الروحي وبشكل خاص الأسئلة المحيرة التي ميزت أزمته الدينية الطويلة وصراعاته مع نفسه وكيف انعكست في كتاب تأملاته فسوف نجد أن هذه الأزمة قد دارت حول ثلاث قضايا هامة :-

١ - التمرّكز حول الذات أو الأنانية Self Centeredness

٢ - الوحدة Loneliness

٣ - فقدان الحياة للمعنى Meaningless of life

وبدءاً فيجب الانتباه إلى أنه من وجهة النظر الخاصة فقد كانت هذه السنوات سنوات ازدهار شخصي حيث تقلد همرشولد بسرعة في المناصب الهامة حيث أصبح في النهاية وزيراً في الحكومة السويدية وكانت قدراته على التعامل بشكل فعال مع القضايا الصعبة معروفة ومقدرة بشكل واسع، ولم يكن يتصور أنه في نفس هذا الوقت تكون الحياة الباطنية لهذا الرجل المحظوظ والمصقول كالبحر الهائج. والحقيقة أن هذه القضايا الثلاث لم يكن من الممكن فصل إحداها عن الأخرى فهي تنتمي إلى بعضها البعض بشكل حميم وتلقى ظلالها على بعضها البعض ومع هذا فإن كلا لهما ما تقوله حوله المشكلة الكلية التي عنت صاحب المذكرات.

فإذا ما حللنا باختصار كلا من هذه القضايا اتصالاً بأزمة همرشولد الروحية كما بدت في تأملاته فسوف نجد أن فيما يتعلق بالقضية الأولى فإن بين العناصر التأسيسية لحياة همرشولد مطلبه الحاد أو ما وصفه نفسه «جوعه» للاستقامة الخلقية Righteousness ونفاذ الفكر وفي إطار هذا الجوع امتحن نفسه وكانت النتيجة نقدا ذاتيا قاسيا لا يلين. وتظهر صفحات قليلة من تأملاته نوعية نقده وتشير إلى تركيزه على الأنانية وتمركز الإنسان حول ذاته، وهو يشعر بإصرار بالحكم على ذاته «يوما بيوم / أنت تعاني من الكرب / الكرب تحت حكم غير منطوق / يهدم حياتك / بينما سقطت أوراق النباتات في جنة الأحق» وعنده أن الأنانية تقتل المشاعر نحو الآخرين «هل لديك حقا مشاعر نحو أى فرد أو أى شيء فيما عدا نفسك؟ فبدون قوة الالتزام الشخصى فإن خبرتك عن الآخرين هي خبرة في أكثرها جمالية ومع هذا فإن هذه الخبرة المشوهة تصلك بجزء من الواقع الروحي الذي يكشف عن فورك التام».

أما عن قضية الوحدة فإن فقرات كثيرة من التأملات تتحدث عن الجوع للرفقة والمشاركة. «الجوع للاستقامة الخلقية والمشاركة القائمة على هذه الاستقامة وتحقق فيها» فاعتراف همرشولد بوحده يجب أن يرى من جوانب مختلفة كانت إنسانية بشكل عميق نبذ الزواج، العلاقات الاجتماعية والأصدقاء وفيما يتعلق بمسألة الزواج ورفضه الارتباط به فقد بدا في عام ١٩٥٢ حاسما في هذا الشأن:

بعدم القدرة على عميق الرغبة

وشعورا بأنه ليس من حقى التطفل على الآخر

وخجلا من أن أكشف عريى الخاص

وتوقعى لتوافق كامل كشرط للحياة معا

فكيف يمكن للأمور أن تسير بطريقة أخرى؟

هنا يتحدث همرشولد عن خجله وبدون شك فإن نوعا ما من الخجل والتحفظ هو جزء من طبيعته، ومع هذا وفيما يتعلق بالعلاقات الإنسانية فإن معنى وحدته هي مسألة معقدة. فهو بالتأكيد يفتقد بقوة الأشكال العادية للعلاقات والصلات الاجتماعية، ولكن هذا لا يعنى كما سبق أن أشرنا أنه كان ضد الحياة الاجتماعية وبدون صداقات، فهناك العديد من الشواهد على عكس ذلك بل وشواهد على قدرة رائعة على التواصل الاجتماعى كما لم يكن لديه صعوبة فى التعامل مع زملائه فى العمل حيث وجد العديد منهم الذين اعتبرهم أصدقاء بالمعنى المألوف للكلمة ومن ثم تميزت حياته بصداقات حميمة. غير أنه من ناحية أخرى فإن توقعه من الصداقة التى كانت تستحق اسمها ومعاييرها عنده كانت بعيدة المدى وتتطلب مستويات من الصعب تلبيتها ومما له أهمية أنه تم التحدث أبدا بشكل مفتوح مع أى أحد فيما عدا Lief belage والذى ائتمنه على مذكراته وتحدث معه عنها ومحتوياتها بشكل موجز فيما كتبه منها كان سرا احتفظ به لنفسه. وهكذا فإن وحدته كانت وحدة مختارة.

ومع هذا وبلغة معنى الوحدة فى التأملات فإنه من المؤكد أنه ليس كافيا أن نأخذ فى الاعتبار العلاقات الإنسانية فقط، ففي الحقيقة فإن وحدته لها جذور أكثر عمقا. فهي يمكن أن توصف بأنها وحدة كونية أو بشكل أكثر تحديدا وحدة تتعلق بالوجود فى مجموعه:

أطول رحلة

هى الرحلة إلى الباطن

لمن اختار مصيره

الذى شرع فى البحث عن ضالته

وعن مصدر وجوده

(وهل هناك مصدر)

فما زال معك

ولكن دون علاقة

معزولا فى شعورك

مثل إنسان مقضى عليه بالموت

أو من وداعه الوشيك

الذى تكرر قبل الأوان

للوحدة والتي هى المصير النهائى لكل شىء

وواضح ما تحمل هذه الفقرة من يأس. ومع هذا هناك فقرة تنتمى لنفس الفترة الزمنية وتبدو أكثر إيجابية «إنه واحد من الذين يتخذون القفر كوسادة ويعتبر النجم شقيقه، وحيدا، ولكن الوحدة يمكن أن تكون مشاركة وصلة حميمة، وحديثة يمكن أن يكون عن نفسه أو عن شخصية تخيلها، ومع هذا فإن تأمل همرشولد الأخير عن الوحدة عام ١٩٥٢ يقول «إن الوحدة ليست المرض حتى الموت ولكن هل يمكن علاجها إلا بالموت»

أما عن مسألة الحياة والبحث عن معناها أو عدم جدواها فقد كانت أحد ملامح تأملات همرشولد خلال فترة أزمتة الروحية هو صراعه الشاق للبحث عن معنى للحياة. فى هذه الفترة كان همرشولد حين يقرأ عن أشخاص منذ زمن طويل يترجم ويرى التاريخ فى ضوء حضوره الخاص.. «أننى أقرأ عن أنفسنا كيف سنكون حين نصبح ماضيا. وحيث سنبدو كأغبياء وحمقى ودمى متحركة أنانية تحركها خيوط مزدحمة تتعقد من

وقت لآخر.. انه ليس كاريكاتيرا الذى أراه فى المرأة المشوهة للبحث التاريخى وإنما ببساطة الدليل على أن كل شىء كان مجرد خيلاء»

ومن الطبيعى أن يؤدى شعورا قويا بعدم جدوى الحياة إلى اليأس ويثير دافعا نحو تدمير الذات والانتحار. ولكن همرشولد رفض هذا المخرج واعتبره «خيانة إن التعب يجعل الألم باهتا ومعتما ويثير أفكارا تغرى بالموت ويبدو أن هذا هو الطريق الذى يغريك للتغلب على وحدتك والهرب النهائى من الحياة لا قد يكون الموت هو منحتك النهائية للحياة، ولكنه لا يجب أن يكون عملا من أعمال الخيانة ضدها» وهكذا فإن حزن تأملاته عن فراغ الحياة لا توقفه عن نشدان المعنى رغم وعيه الشخصى بسخف ما يطلبه:

«ان ما أطلبه سخيـف.. إن يكون للحياة معنى وما أجاهد من أجله مستحيل أن تكتسب حياتى معنى لا أجرؤ على الاعتقاد أنى لست وحيدا» مثل هذه الأسئلة جعلته يعتقد أن «يبحث على السخرية، إنه من الأمور المثيرة للسخرية أنه يبحث إنسان فى العشرين من عمره على معنى للحياة، إنه لا يعرف ما الذى يتحدث عنه». «والآن وفى السابعة والأربعين من عمرى فإنى أشعر أنى مثير للسخرية وأن إدراكى لذلك يمنعنى من ان اضع ذلك على الورق».

كانت هذه هى كلمات همرشولد الأخيرة حول انعدام المعنى منذ هذا الوقت حين لم يكن يرى أى معنى للحياة على الإطلاق .

وواضح أن هذه الفقرات من تأملاته تكسب معنى قائما بل وتبدو وفى بعض الأحياء سوداء كالليل ومع هذا ثمة ألوان أخرى تبدو وفى التأملات خلال هذه الأزمة. وبداءه فانه يجب ملاحظة أن همرشولد لم يفقد أبدا اليقين حول مثله الاخلاقية ومتطلباتها فالإحساس القديم بالواجب والالتزام الذى لا مهرب منه بخدمة البشر والوعى الدائم بالمسؤولية كانت دائما

مطالب صارمة لا تهتز ولم تكن أية موضع شك أو تساؤل، وهنا هذا فإنه في نفس الوقت ومن وجهة دينية فإن هذه السنوات كانت سنوات نضال وشك تميزت مثلما ذكر بعد ذلك «بجهد دائم وبشكل صريح ومباشر لبناء اعتقاد شخصي في ضوء الخبرة والتفكير الأمين، وتقودنا التأملات الى استنتاجين فيما يتعلق بهذا الجهد: لقد كان همرشولد واعيا تماما بما يعنيه الإيمان بالله وما لا يعنيه وأكثر من ذلك لم يكن الأمر يخلو من ومضات من الضوء تخترق كآبة عذابه وان كانت هذه الومضات يلحق بها علامات استفهام وتمتلك بلاغة ملفقة للنظر.

ثمة علامتان رئيسيتان في تطور همرشولد الروحي ونضجه الفكري نراها قد انعكستا بوضوح في تأملاته وفي التعبير عنها والتي تستطيع من خلالها رصد هذا التطور وتتبعه. العلامة الأولى هي قوله «نعم» واستجابته لله وللضمير وللمصير، أما العلامة الثانية فهي تكريس حياته لخدمة الآخرين وتفانيه في هذه الخدمة والعثور على شيء يعيش من أجله وعظيم بما فيه الكفاية يموت في سبيله».

وفي تتبع العلامة الأولى فسوف نجد أن تعبير نعم ظهر للمرة الأولى في ليلة رأس السنة عام ١٩٥٣ وبدأ مادونه عن هذا اليوم باقتباس من ترنيمة سويدية معروفة جيدا سبق أن استخدمها في رأس السنة في أعوام سابقة وسوف يستخدمها مرة أخرى في بدايات عام ١٩٥٤ وحتى عام ١٩٥٧، وتقول هذه الترنيمة «الليل يسدل استاره تقريبا، ومن الصواب والاعتقاد أن هذه الترنيمة ليست ترنيمة عادية لمساء إنها أكثر من ذلك تأمل في سرعة زوال الحياة.

إلى أي مدى يبدو المظهر الخادع للانغماس في شئون الدنيا

إلى أي مدى قصر أفراحها ومسراتها

إن الليل يقترب الآن عجباً

إننا نترك كل كنوز الأرض

بعد استخدام هذه الترنيمة المعروفة يواصل همرشولد «لكل ما كان شكراً ولكل ما يكون نعم»، وهنا يبدأ لحن جديد في الكتاب. في السنوات الماضية في النغمات السائدة كانت تلك التي تتعلق بالصراع واليأس ورغم وجود بعض التلميحات المضيئة فإن الموقف الآن مختلفاً فشكره للماضي وقوله نعم لما سوف يأتي يعنى أنه قد عبر الحدود وإن وقتاً جديداً قد حل. وفي عام ١٩٥٤ علق همرشولد على الكلمات التي دخل بها عام ١٩٥٣ فبعد تأكيد خبرته التي اكتسبها حديثاً فقد كتب «شكراً لهؤلاء الذين علموني شكراً للأيام التي علمتني هذا» ويكرر همرشولد من الآن نعم كثيراً إنها نعم لله ولكن أيضاً لنفسه وللحياة والمصير ويلخص ذلك «نعم لله نعم للمصير ونعم لنفسك» ونعم لله هي الحاسمة وهذه تتضمن العنصرين الآخرين فنعم لله تعنى الإيمان بالله ويقدم تعريفات للإيمان يستمد بعضها من القديس جون:

Saint John Of the Gross

«الإيمان هو اتحاد الله مع الروح «الإيمان ومالم يسمع عنه» «أن يكون في أيدي الله»

أو «تحت أيادي الله» وتتكرر هذه التعريفات عدة مرات في الكتاب ومن الكلمات التي تتكرر أيضاً أتصلاً بذلك السكون Stillness والصمت Si-lence ففي السكون يلتقى الله بالروح فروح الله حاضرة في السكون.

وخلاصة القول فإنه لا يجب أن ننسى أن قول همرشولد نعم للمصير إنما هي متضمنة في قوله نعم لله غير أن هذا لا يعنى أن علينا أن نرى كل حدث كأنه عكاس لإرادة الله فهناك أيضاً قوى مدمرة في دراما الوجود ففي

كل حدث فى الحياة هناك معنى يقدمه الله لكى يتحقق الإنسان بهذا المعنى، أن نقول نعم للمصير هو أن نقول نعم لله وإرادته . وهكذا تصبح الحياة ذات معنى والمصير ليس قدرا باردا بلا معنى وتكتسب الحياة معنى حين يرى المصير كانعكاس لإرادة الله ويجرى باختيار الإنسان .

أما التكرس والتفانى فى خدمة شىء يعيش من أجله الإنسان فتستطيع أن تتبعه فيما سجله همرشولد عام ١٩٥٢ «صلى لعل وحدتك قد تحفزك على أن تعثر على شىء تعيش من أجله عظيما بما فيه الكفاية لكى تموت فى سبيله» .

وبالنسبة لهمرشولد لم يكن فى حاجة إلى حافز لأن رغباته قد تحققت بدون جهد خاص من جانبه . فبدون توقع تلقى مهمة خاصة واستثنائية والتي حركت بالفعل إحساسا عميقا بالتكرس والتفانى والإخلاص فى لمثل أعلى . وقد سبق أن أشرنا إلى ردود فعله المباشر على تعيينه سكرتيرا عاما، وعند سفره لتسلم المنصب لم يكن لديه خبرة أو تجربة لما يعنيه أن يكون سكرتيرا عاما للأمم المتحدة . فى هذا الشأن ~~لننظر~~ فيما دونه فى كتاب تأملاته منذ عام ١٩٥٠ وما يكشف بوضوح عن اتجاهه نحو ما دعى لأدائه: تضحية وتحرير حيث «أنا» ليست هدفا بلية حال: التفانى، الجزاء، أو الثمن . إن تلتزم بمهمة بما لا أستطيع أن أطلب شيئا ذا قيمة لنفسى» . إن هذه العبارات تظهر كيف اقترب همرشولد من مهمته: شعوره الباطن بأنه مدعو للقيام بعمل ونتيجة لذلك يشعر بالاستسلام الكامل والذي هو تحرر فى نفس الوقت . إن نفس الشعور القوى بالتفانى والذي يبدو فيما دونه عن الأمم المتحدة «إنك مكرس لهذه المهمة ولكن عليك أن تعطى نفسك لهذا الحلم الإنسانى ومن أجل أن يتحقق فى الواقع» . وبعد ذلك بعامين ووسط فترة ولايته الأولى كسكرتير عام لم يتغير اتجاهه نحو مهمته ولكن الاذن الصاغية أن تسمع شيئا له نغمة جديدة تحت على عدم الشكوى للشخص

الذى يعكس قدرات الإنسان غير العادية ومسئوليته ليس هناك عذر إذا ما فقد شعوره بأنه دعى، ولكن إذا ما حافظ على هذا الشعور.. فأن كل شيء يستطيع ان يفعله يصبح له معنى ولا شيء له ثمن، ولذلك اذا اشتكى فانه إنما يدين نفسه». واتصالا برؤية همرشولد للمنظمة الدولية واعتبارها «خلق ضعيف من صنع يد الانسان»، فإنه يفصل ذلك فى تأملاته «خلق ضعيف نعم ولكن أعظم ما خلقته البشرية. حلم البشرية أعظم خلق للبشرية، والذى هو انبل حلم للفرد - ان يفقد نفسه وان يستقبل الموت والإذلال بسرور إذا كان ذلك هو ما يتطلبه الحلم». وعند نقطة أخرى يوضح همرشولد التناقض فى ضعف المنظمة وعظمة هدفها، فى ضوء هذا تتأكد مسؤوليته: «إن ما تخدمه هو فكرة، فكرة يجب أن تنتصر اذا ما كانت البشرية تستحق أن تبقى، إنها هذه الفكرة التى يجب أن تساعد على انتصارها بكل قوتك». وحين يفكر همرشولد فى طبيعة مهمة فإنه ركز أكثر على مسؤوليته وبشكل يتفق مع ماورد فى الإنجيل إن من يأخذ الكثير يطلب منه الكثير. ورغم أن عظمة مهمته لا يمكن إنكارها إلا أنه لا يفاخر بها إنها فقط تتطلب مسؤولية أعظم. انه لا يعتبر أن عمله أرفع من عمل الآخرين: إلى أى مدى تفضل الآلهة ذلك الذى اختبرت شخصيته فى موقف كان للشجاعة معنى بالنسبة له... وان القليل الذى يعمل حول ضعفه الكامن وبأى سهولة يمكن أن يقع فى الشرك ويعميه الزهو بالنفس»، ويعود همرشولد دائما إلى هذا الموضوع: «أن الشيء الحاسم هو كيف يتصرف الإنسان ليس فى الظروف الخارجية لحياته: سوف تجد فى خضوعك واستسلامك أن حياتك قد فقدت كل معناها بغض النظر عن ماتمنح لتحقيقها».

وحين نستعرض سنوات همرشولد كسكرتير عام للأمم المتحدة فهل نلاحظ أى تغيير فى اتجاهه نحو مهمته وعمله؟ بشكل رئيسى فقد ظل

اتجاهه هو نفسه خلال هذ السنوات حيث نجد دائما نفس الشعور بالمسؤولية ونفس الشكر للمهمة التى أوكلت اليه . وسوف نجده يدون فى تأملاته فى راس سنة عام ١٩٥٩ ما يمكن اعتباره كلمة السر «الاعتراف بالفضل» إنك تحصل على كل شىء مقابل لا شىء لا تتردد إذا ما طلب أن تعطى كل نفسك والتي هى فى الحقيقة لا شىء.

كما نجد دائما ميله للنقد الذاتى ، ودائما يتقرب إلى الله بالعرفان بالفضل كلما اتخذت خطوة نحو سلام البشرية . وفى النهاية كان يعتبر أن كل عمل طيب عمل الله نفسه حيث الإنسان فقط ليس إلا أداة ، وليلة عيد الميلاد عام ١٩٥٦ كتب «إن جهودك الذاتية ليست هى التى تنجز الأمور انه الله وحده ولكن ابتهج إذا ما استخدم الله جهودك فى من أجل غاياته . ابتهج إذا ما شعرت أن .. فعلته كان ضروريا ولكن تذكر عندئذ أنك كنت ببساطة الاداة التى اضاف بها حبه صغيرة نحو الكمال الذى خلقه لأغراضه الخاصة» .

وثمة نقاط فى الكتاب تعكس وجهة نظر همرشولد فى الإنسان وكيف كان يشعر بالحزن من المؤامرات وصراع القوة والمكائد التى تميز عالم السياسة وقد كتب فى هذا بإخلاص واضح: أن يعيش غارقا فى هذا السيل الثقيل هو أدنى من مستوى البشر فى الرؤية والشعور والطاقة .. كن حذرا من خطر مزدوج ، خطر الغرق والطفو ومن الخط بنفسك من أن يبدو هذا الوضع هو الوضع الطبيعى وأن ترفع رايتك فى فراغ من التفوق . والحقيقة أن مواقف مثل الحب والصبر والاستقامة والتواضع ضرورة من اجل سلامتك وعزائك» . وقد حارب همرشولد على الأقل فى صلواته ضد كل ميل نحو احتقار الآخرين وكان هدف من يؤدى الصلاة هو ان يحب الحياة والبشر كما يحبهم الله ومع هذا ورغم معتقداته العميقة وثقته فإنه لا يمكن إنكار أن وجهة نظر همرشولد عن الانسان قد اكتست ظلالا أكثر قتامة

خلال سنواته الأخيرة . فى هذه السنوات نعثر على إشارات إلى هذه الظلال
وبالشك فى القدرة على تحمل صحبة الآخرين والاجهاد والتعب والحديث
عن المكائد

متعب للغاية لكى أكون فى رفقة الآخرين

أن تنشذ الوحدة إنك متعب للغاية للتلائم

ورغم طاقته الضخمة على العمل وما كان مطالبابه من العمل ليلا
ونهارا وقدر ضئيل من الراحة فإن أكثر السطور تعبير عن تعبها وضعها
على الورق فى يونيه عام ١٩٦٢ :

متعب

ووحيد

متعب للغاية

إن التعب يوجع

وقطرات الماء الذائبة تسيل برفق

تحت الصخور

والأصابع تتخدر

والمفاصل ترتعش

إنه الآن

الآن لا يجب أن تستسلم

على طريق الآخرين

ثمة أماكن للراحة
أماكن فى الشمس
حيث يمكن أن يلتقوا
ولكن هذا
وهو طريقك
وإنه الآن
الآن يجب أن تسقط
أبك
إذا استطعت
أبكى
ولكن لا تشك
إن الطريق قد اختارك
ويجب أن تكون ممتنا شاكرًا

ومنذ عام ١٩٥٢ وكلمات همرشولد تدوى «شيئًا تعيش من أجله وعظيمًا بما فيه الكفاية لكى نموت فى سبيله». وتظهر تأملاته أن أفكاره دائما ما تحركت نحو موضوع الموت وخلال سنوات أزمته كان الموت يغريه ومع ذلك وبدون تردد رفضه واعتبره خيانة للحياة. وليس ثمة دلالات أنه كان بالضرورة يخشى الموت فقد كان يعلم دائما أن المهمة التى عهدت إليه تتضمن التضحية وفى سنواته الأخيرة كان دائما يركز على هاجس أن يكون الموت هو التضحية. وفى نهاية عام ١٩٥٧ نجد سلسلة من

المدونات فى تأملاته تعالج الموت: «لاتبحث عن الموت فسوف يعثر الموت عليك ولكن ابحث عن الطريق الذى يجعل الموت انجازا». ويؤكد فى ثانية «ان الجسد يحب ان يكون فى ألفة مع الموت كشئ بديهى وشيك وخطوة محايدة وعاطفية على الطريق الذى وجدت أنه جدير بحياتك». ويركز فى فقرة ثالثة على حقيقة «أن الموت يجب أن يزخرف كعنصر فى التضحية أن الموت هو إنجاز ولكنه دائما تفسخ وهو ابداء ليس سموا». وفى مدونة أخرى تركز على ضرورة أن تكون دائما مستعداً للموت «فى التحليل الأخير فإن مفهومنا عن التضحية (الموت فى الترجمة الإنجليزية) هو الذى يقرر إجابتنا على كل الأسئلة التى يضعها أمامنا وهذا هو السبب فى أنها تتطلب مكانها ووقتها الملائم»

ومن المستحيل أن لانقرأ إشارات همر شولد الأخيرة كما وردت فى تأملاته عن الموت باعتبارها نذيرا كثيبا لما سوف يقع قريبا ولكن همرشولد لم يكتب هذه الإشارات فى مثل هذا الإطار الفكرى، فهذه الصفحات لاتشئ بالقلق والعصبية أو التردد. وفى نهاية عام ١٩٥٩ كتب «أن الفصل قد أغلق/ لاشئ يربطنى/ كل شئ جاهز وعلى استعداد». وفى بعض أبيات الشعر المؤرخة فى ٧ يوليو ١٩٦١ نقرأ:

إذا ما سئلت إن كان لدى الشجاعة

لكى اذهب إلى النهاية

فسوف أجيب بنعم

وبدون أن أفكر مرة ثانية

وفى يونيو عام ١٩٦١ قرر بهدوء تام، أن آخرين قد رحلوا من قبل وآخرين سوف يتبعونهم «وسبق هذا مباشرة قوله:

ماذا لدى لأخافه

إذا ما أصابت سهامهم

ماذا فى ذلك

لكى تبكى عليه

ويبدو فى هذه الخطوط ثبات تفكيره

بالنسبة لمن يمتلك الإيمان / فإن المعجزة الأخيرة

ستكون أعظم من الأولى

وترتبط الفقرات السابقة بما كتبه كذلك «حين أفكر فى هؤلاء الذين سبقونى أشعر أنى كنت فى حفل فى الساعة التى تفتقر إلى البهجة والحياة والتى يجب أن تستمر بعد أن ينصرف ضيوف الشرف» وقوله «حين أفكر فى هؤلاء الذين سيأتون بعدى أو يعيشون بعدى أشعر بأنى أشارك فى الاستعدادات لحفل لن أشارك فى أفراحه»

ويقول بعض المعلقين عن حق أنه ليس هناك فى هذه العبارات ما ينبئ عن بهجة عيد الفصح ولكن تبدو العبارة الأولى غريبة حقا كما أن من الصعب أن نعرف من هم ضيوف الشرف، ذلك أن من الواضح أن همر شولد لم يكن يقدر بشكل كبير المستوى الروحى للجيل الحاضر. ومع هذا فإن الجملة الثانية عن الحفل السعيد المتوقع تنبئ بنظرة متفائلة عن المستقبل والتى لم تكن لتصدر عن فكر مكتئب وحزين ورغم هذا فإننا حين نختبر نظرة همر شولد فى سنواته الأخيرة من خلال بعض الأبيات القصيرة عام ١٩٦٠ سنجد أنها تشهد على ثقل عبئه وقوة روحه فى آن واحد:

الطريق
الذى تستسلكه
المرح
الذى سوف تنساه
الكوب
الذى سوف تفرغه
الألم
الذى سوف تخفيه
الحقيقة
التي ستقولها
النهاية
التي سوف تتحملها

- لا تنظر إلى أسفل لكي تختبر الأرض قبل أن تخطو خطواتك الثانية .. إن من يحتفظ بعينه مثبتة على الأفق البعيد هو وحده الذى سيجد طريقه الصحيح .
- لا تقيس أبدا ارتفاع الجبل حتى تكون قد وصلت إلى القمة عندئذ سوف ترى كم كان منخفضا .
- إن ما يجب أن تفعله هو أن تكون نفسك وما يجب أن تصلى من أجله هو أن تكون مرآة سوف ينعكس عليها عظمة الحياة وفقا لدرجة نقاء القلب التى وصلت إليها .
- إن لم يكن هدفك قد حددته أكثر أشجانك تكتما فإنه حتى النصر سوف يجعلك فقط تشعر بشكل مؤلم بضعفك .

● إننا نحمل نقمتنا فى داخلنا: إن إعجاب الأمس بالنفس هو الأب الشرعى لشعور اليوم بالذنب

● إن الطريق الصعب هو أن تعجب من أجل الآخرين من أجل أن تنقذ روح الإنسان إن الطريق السهل فهو أن تعيش للآخرين من أجل أن تستعيد احترام الإنسان لنفسه.

● إنك لاتستطيع أن تتلاعب بالجانب الحيوانى فىك دون أن تصبح كلية حيوانا أو تتلاعب بالزيف دون أن تفقد حقا فى تحقيقه أو تتلاعب بالقسوة دون أن تفقد حساسية عقلك. إن من يريد أن يحتفظ بحقيقته منظمة لايجعل فيها مكان للأعشاب الضارة.

● مثل النحل نحن نستقطر السم من العسل للدفاع عن نفسنا أما ما يحدث للنحلة عندما تستخدم لدغتها فهو أمر معروف تماما.

● هل مازال لديك حقا مشاعر تجاه أى شخص أو أى شىء فيما عدا نفسك؟ بدون قوة الالتزام الشخصى فإن خبرتك عن الآخرين هى الأكثر جمالية ومع هذا واليوم فإنه حتى ومثل هذه الخبرة المبتورة تجعلك على صلة بجزء من الواقع الروحى الذى يكشف عن قصدك الكامل

● إن ما يجب أن يحدث يجب أن يحدث وفى حدود «يجب» هذه فأنت لذلك غير معرض للخطر

● ليس مسموح لك أن تختار إطارا معيناً، ولكن ما نصنعه داخلنا هو من اختيارنا ومتروك لنا ومن يشاء المغامرة سوف يختبرها وفقاً لمقدار شجاعته ومن يبغي التضحية سوف ينالها وفقاً لنقاء قلبه.

● إن من يستحق القسوة هو فقط الذى يبررها كل يوم.

● الافتقار إلى الشخصية بكل سهولة نحن نخلط الخوف من الدفاع عن معتقداتنا، والميل بأن نكون أكثر تأثرا بمعتقدات الآخرين بأكثر من معتقداتنا ، بالحاجة للشعور القوى الناجح بأن نعطي أهمية كاملة لحجج الجانب الآخر. إنها لعبة الاستغماية حين يريد الشيطان أن يلعب على افتقارنا للشخصية فإنه يسميها تسامحا وحين يريد أن يحبط محاولتنا الأولى أن نتعلم التسامح فإنه يسميها الافتقار للشخصية.

● ثمة نقطة يصبح بعدها كل شيء بسيطا ولا يعود هناك بعد أى اختيار لأن كل ما راهنت عليه سوف يفقد إذا ما نظرت إلى الخلف إن الحياة تسير إلى اللعودة.

● هل يجرو من هيات له الظروف أن يدرك مصيره الحقيقى إن يرفضه لأنه ببساطة ليس مستعدا لأن يسلم كل شيء آخر.

● إن ما أطلبه هو ضرب من العبث أن يكون للحياة معنى وما أجاهد من أجله هو أمر مستحيل أن تكسب حياتى معنى.

● إن أصعب الأشياء هو أن تموت بشكل صحيح وهو امتحان لا يعفى منه إنسان ولكن كم عدد من ينجحون فيه؟ وأنت إنك تصلى من أجل القوة لكى تواجه الامتحان ولكن أيضا من أجل الرأفة من جانب الممتحن.

● هل قتامة عالمى انعكاس لفقرى أم لأمانتى. عرض من أعراض القوة أم الضعف؟ دلالة أننى قد ضللت طريقى أم أتبعه؟ هل يقدم اليأس إجابة؟

● إن الطيبة هى شيء بسيط للغاية أن نعيش دائما من أجل الآخرين وأن لانبحث ابدا عن منفعة ذاتية.

● إذا ما تمكنت فقط أن أنمو أكثر حرصا أو أكثر بساطة وأكثر هدوء وأكثر دفئا.

● إن مركزك لا يعطيك أبدا الحق فى أن تسيطر إنه فقط يفرض عليك واجب أن تعيش بشكل يجعل الآخرين يتلقون أوامرك دون أن يشعروا بالإهانة .

● إن الكرامة الحقيقية تلك التى لاتنتقص بلا مبالاة من الآخرين .

● إن أخطاءك فى الماضى تجعل علاقتك بالآخرين صعبة حين يظهر لك الحاضر إنك يمكن أن تكررهما .

● إن الصلاة متجسدة فى كلمات تخصص موجة طول دائمة التى يجب أن يستمر عليها الحوار حتى حين يكون فكرنا مشغولاً بأمور أخرى .

● إن المهمة تصبح واجبا من اللحظة التى تشك فيها أن تكون جزءا جوهريا من هذا التكامل الذى وحده يؤهل الإنسان بأن يتولى المسئولية

● احترام الكلمة هى الوصية الأولى فى فرع المعرفة الذى يتعلم منه الإنسان النضج العقلى والعاطفى والأخلاقى، واحترام الكلمة بما يعنى توظيفها واستخدامها بعناية دقيقة ويحب قلبى لايعرف الفساد هو أمر جوهري إذا ما شئنا تقدماً للمجتمع أو للجنس البشرى، وأن تسيئ استعمال الكلمة هو أن تظهر الاحتقار للإنسان إنها تقوض الجسور وتسمم الآبار ويجعل الإنسان يرتد عن طريق تطوره الطويل

● شجاعة اختلافنا بدون أن تصبح غير مسئول أن تقبل ما يفرقنا بتواضع وكبرياء إنه «بالجديد» تنقذ البشرية أو تتعرض للخيانة .

● دوام الأشياء تعليق ساخر على ادعاءاتك بما تملكه .

● إن ثمة علاقة سببية وعميقة بين قمة طموح الإنسان وعمق سقوطه الممكن .

● افعل ما تقدر عليه وسوف تستشعر المهمة بسهولة بين يديك وبشكل

تستطيع معه أن تنظر إلى الإمام ونحو الاختبارات الأكثر صعوبة التي قد تكون في انتظارك.

● حين نستبدل نضارة الصباح بفجر منتصف الليل، وحين ترتعش عضلات القدم تحت الضغط يبدو التسلق لانهاية له، وفجأة لن تسير الأمور كما تود عندئذ عليك أن لا تتردد.

● إن العفو هو الإجابة على حلم الطفل بمعجزة تعيد ما كسر إلى وضعه الكامل مرة أخرى وما لوث نظيفا من جديد. ويوضح الحلم لماذا نحتاج لأن يغفر لنا.... لماذا يجب أن نغفر وفي حضرة الله لا شيء يقف بيننا وبينه فقد غفر لنا ولكننا لانستطيع أن نشعر بوجوده إذا ما سمح لأي شيء أن يقف بيننا وبين الآخرين.

● قلق، قلق، قلق

لماذا؟!

لأنه حين تمنحك الظروف الفرصة لكي تخلق فإنك تقنع بأن تواجه مطالب اللحظة من يوم لآخر.

ولأنه بالحرص على رأى الآخرين الطيب والغيرة من إمكان أن يصبحوا مشهورين فقد أنزلت بنفسك إلى التساؤل عما سيحدث في النهاية لما فعلته ولما أصبحت عليه وكيف يمكن للإنسان أن يكون ميتا خلف واجهة من القدرة العظيمة والولاء والطموح بورك في قلقك كعلامة على إنه مازال هناك حياة فيك.

● «رجال الساعة» الواقون جدا من أنفسهم والمختالين بيننا في جلجلة نجاحهم وأهميتهم كيف تدعهم يثيرونك، دعهم يستمتعون بانتصارهم على المستوى الذى ينتمون إليه.

● إن السؤال يجيب على نفسه:

أعتقد أننا يجب أن نموت بشكل لائق حتى يمكن على الأقل للدماثة أن تدوم .

● أن يحدث فحسب لرجل واحد وليس للآخرين غير أنه لا يستطيع أن يدعى الفضل للمنح والمسئوليات التي خصصت له . إن المصير هو شيء لا يجب أن نرغب فيه ولا يمكن تجنبه .. إنه لغز غير مناقض للعقل لأنه يعنى أن العالم ومجرى التاريخ البشرى له معنى .

● كن ممتنا كلما أصبحت أفعالك أقل فأقل ارتباطا باسمك وكلما وطأت قدمك الأرض برفق أكثر .

● إن أكثر المآزق الأخلاقية خطورة حين ترغم على إخفاء الحقيقة من أجل أن تساعد على انتصارها ماذا كان هذا سيصبح فى أى وقت واجبا فى الدور الذى خصصه لنا القدر . فأى طريق ضيق سيكون طريقا فى كل الأوقات إذا كان لنا أن لانفنى .

● النجاح ؟ من أجل مجد الله أم من أجل مجدك من أجل سلام البشرية أم سلامك ؟ على إجابة هذا السؤال تعتمد نتيجة أفعالك .

● علينا أن نحصل على سلام وتوازن الفكر وبشكل يمكننا أن نعطي كل كلمة فقط وزنها الصحيح وأن نشعر بالتواضع أمام كل عبارة مديح

● لا تنظر إلى الخلف ولا تحلم بالمستقبل كذلك فلن يعيد كل ذلك الماضى ولن يلبي أحلامك اليومية إن واجبك وخبراتك ومصيرك هنا والآن .

● لا تبحث عن الموت فسوف يجدك ولكن أبحث عن الطريق الذى يجعل الموت إنجازا .

● كعنصر فى التضحية فإن الموت إنجازا ولكنه غالبا تفسخ وهو أبدا ليس سموا .

● ليس هناك اختيار لا يتأثر بالطريق التي تنظر بها الشخصية إلى مصيرها والجسد إلى موته وفي التحليل الأخير لانه مفهومنا هو الذى يقرر إجاباتنا على كل هذه الأسئلة.

● هل تختار كلماتك بعناية كافية وإلى أى انطباع تتركه وهل تعتقد أنك كنت تحاول أن تتعلق؟ أن أسئلة مثل هذه هى التى تبقى عليك يقظا. هل لم تعد واثقا أن ردود أفعالك الغريزية سوف ترشدك إلى الطريق الصحيح؟

فإذا كان كذلك فأنت تعلم لماذا لقد سمحت لجوعك «للعدالة» أن يجعلك واعيا بنفسك وبشكل فى أدائك لمهمتك لم تعد تنسى نفسك وهكذا. وهكذا فقط هل تجرحك آراء الجمهور.

● امتدح هؤلاء من نقادك والذين بالنسبة لهم لاشئ يرقى إلى المستوى.

المراجع

- The Servent of Peace, A selection of Speeches and statements edited and introduced by: Wilder Foote. London, 1962.
- Brian Urquhart, "Hammarskjold", Alfred A. Knopf, New York, 1972.
- Joseph P. Lash "Dag Hammarskjold", Custodian at Peace", Doubleday & Company, 1961.
- Richard Miller, "Dag Hammarskjold and the crisis of Diplomacy" Oceana Publications, 1961.
- The quest for peace, : Dag Hammarskjold, Memorial Lectures" edited By: Andrew W. Cordier and Wilder Foote, Columbia University Press, 1965.
- Bo Beskow, "Dag Hammarskjold: Strictly Personal - A Portrait " New York, 1969.
- D A G Hammarskjold: "Markings", Translated from the Swedish By: Lief Sjober & s w. H Auden. Ballantine Books.
- Gustaf Aulen, "Dag Hammarskjold White Book, : The Meaning of Markings" Philadelphia, 1969.
- Humphrey Trevelyan, "Ten months with Dag Hammarskjold" in, "Public and Private", Hamish Hamilton, London, 1981.

السفير الدكتور السيد أمين شلبي

- من مواليد ١٩٣٦

أولاً:

حصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة ١٩٨٠.

ثانياً:

- التحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٦١.

- أسهم فى تأسيس معهد الدراسات الدبلوماسية عند إنشائه عام ١٩٦٦،
وعمل فى إدارته حتى عام ١٩٦٩، ثم نائباً لمديره (١٩٨٦ - ١٩٨٨).

- وعمل فى سفارات مصر فى: براج بلجراد، موسكو. لاجوس، ووزيرا
مفوضاً فى سفارة مصر فى واشنطن (١٩٨٢ - ١٩٨٦)، ثم سفيراً لمصر
فى النرويج (١٩٩٠ - ١٩٩٤). حصل على وسام الاستحقاق النرويجى.

- عمل مديراً لإدارة التخطيط السياسى بوزارة الخارجية (١٩٩٤ - ١٩٩٦).

ثالثاً:

صدر للمؤلف

١ - التنظيم الدولى فى مفترق الطرق.

٢ - هنرى كيسنجر. حياته وفكره.

٣ - الوفاق الأمريكى السوفيتى ١٩٦٣ - ١٩٧٦ (الهيئة العامة
للكتاب) ١٩٨١.

٤ - قراءة جديدة للحرب الباردة. دار المعارف ١٩٨٣.

٥ - الدبلوماسية المعاصرة. عالم الكتب ١٩٨٩ - طبعة ثانية ١٩٩٧.

٦ - من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولى جديد (الهيئة العامة للكتاب) ١٩٨٦ .

٧ - العلاقات الأمريكية / المصرية ١٩٤٦ - ١٩٥٦ (مترجم) - مكتبة مدبولى - ١٩٩٦ .

٨ - ما بعد الحرب الباردة: قضايا وإشكاليات. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية. الأهرام ١٩٩٧ .

٩ - الصين وروسيا: من الخصومة إلى المشاركة الاستراتيجية. مركز الدراسات الآسيوية. كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. جامعة القاهرة ١٩٩٨ .

١٠ - جورج كينان: الدبلوماسية المؤرخ. الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧ .

١١ - حوارات المستقبل: هيئة قصور الثقافة ١٩٩٨ .

نشر العديد من المقالات والدراسات فى الصحف والدوريات المصرية والعربية والأجنبية . كما حاضر فى معهد الدراسات الدبلوماسية ، وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وأكاديمية ناصر للعلوم العسكرية . وأشارك فى العديد من الندوات فى مصر والخارج .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٩/٢٨٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 6068 - 7